
مركز
الحضارة
العربية
بنات إبليس
نساء فى مملكة الشر

إهـــــــــداء٢٠٠٨
دار الكتب و الوثائق القومية
القاهرة

بنات ابليس

حسين عبد الواحد

الطبعة العربية الأولى يناير ١٩٩٨

رقم الإيداع: ٩٨/٣٣٥٦

الترقيم الدولى I.S.B.N.9771-291-081-0



- مركز الحضارة العربية ، مؤسسة ثقافية مستقلة ، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل .
- يتطلع مركز الحضارة العربية ، إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات ، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب ، ونشرها وتوزيعها .
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه .
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .

◆

رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

الجمع والصف الإلكترونى
مركز الحضارة العربية

تنفيذ : شريف على عباس

4 ش العلمين عمارات الأوقاف
ميدان الكيت كات
تليفاكس : 3448368

حسين عبد الواحد

بنـــات ابليـــس



مقدمة

منذ المراحل المبكرة للتاريخ الإنسانى ، كان هناك موقف عدوانى واضح ضد المرأة !!

وقد أرجع الفيلسوف الإغريقى أفلاطون ذلك إلى حقيقة أن المرأة كانت هى المخلوق الثانى على الأرض بعد الرجل .. وكان أفلاطون يعتقد أن الإنسان يولد فى الأصل رجلاً فإذا ثبت ضعفه أو جبنه أو شره فأنه يخلق مرة أخرى فى صورة إمرأة !!

ويقال إن حواء خلقت من ضلع آدم .. ولكن لماذا الضلع بالتحديد وليس أى عضو آخر من أعضاء جسم أول مخلوق بشرى .. وتأتى الإجابة فى بعض كتب تفسير النصوص الدينية بأن السبب فى ذلك يرجع إلى أن الضلع جزء محدود القيمة من أجزاء جسم الإنسان وهو مسألة تعتبر من قبيل الكماليات التى يستطيع الإنسان أن يعيش بدونها ..

هكذا ، كانت المرأة منذ البداية ، أو أريد لها أن تكون ، رمزاً للتفاهة واللا قيمة !!

ومنذ قديم الأزل ، كان هناك ربط واضح بين المرأة والشر ، ففى المنياهوت اليهودى ، وهو رسالة تفسير للتلمود البابلى ، توجد هذه الصلاة اليهودية .. "مبارك اسمك أنت يا من لم تخلقنى إمرأة" . وفى كتاب "هاجيجاه" اليهودى ترد قائمة بالفئات غير المطالبة بالحضور إلى المعبد وهم المعوقون ، والشواذ ، والعميان ، والعبيد .. والنساء !! ويقول التلمود اليهودى صراحة .."المرأة مثل نبات السلوى .. فهى مليئة بالقذارة وفمها ملئ بالدم" !!

ويقول مارتن لوثر زعيم حركة الإصلاح البروتستانتى فى أوربا "لا ينتظر أى خير من المرأة .. فقد خلق الله آدم سيداً للمخلوقات ولكن حواء أفسدت كل شئ .

والمرأة فى المسيحية طاهرة فى رأى البعض ما دامت عذراء ولكن ممارستها للحياة بالشكل الطبيعى الذى خلقت له تفقدها الطهر والبراءة والقداسة !!

وهناك الكثير من المسلمين ، يحمّلون حواء مسئولية خروج آدم من الجنة ويتهمونها بالتحالف مع الشيطان أو بأنها الآداة التى استخدمها الشيطان لكى يغرى آدم بارتكاب المعصية والخطيئة . ولذلك ، يميل الكثيرون إلى تشبيه المرأة بالأفعى أو الحية التى يقال أنها شاركت فى المؤامرة الشيطانية لطرد آدم من الجنة !!

ومعظم الكتاب بما فى ذلك المعروفين بتعاطفهم مع المرأة كانوا يحاسبونها بمنتهى القسوة إذا ما ارتكبت أقل خطأ فى رواياتهم .. فديدمونة فى رائعة شكسبير «عطيل» قُتلت لمجرد الاشتباه

فى خطيئتها ونفس الشئ حدث مع شخصيات نسائية عديدة فى الأدب العالمى ..

وكما ذكرنا من قبل ، هناك بعض النماذج الطيبة للمرأة فى الأدب العالمى ولكن المرأة الطيبة فى كل هذه الأعمال كانت تطرح وكأنها الاستثناء الذى لا ينفى القاعدة بل يؤكدها .. وكانت شخصية المرأة الفاضلة مرتبطة دائماً بالزوجة أوالأم .. ولقد ارتبطت صفات سلبية عديدة بشخصية المرأة فى الأدب فهى ضعيفة خائفة باكية .. بل ان هذه الصفات السلبية كان ينظر إليها على أنها أهم العوامل التى تجذب الرجل للمرأة ..

ويقول الأديب أدموند بورك : "ان جمال المرأة يرجع إلى حد بعيد لضعفها أو رقتها بل ان هذا الجمال يتدعم بصفة أخرى مثل الجبن لوجود ارتباط فى الأذهان بين هذه الصفة والمرأة"..

وكثيرة هى المقولات التى رددها الأدباء والمفكرون والتى وصفت المرأة بأنها مخلوق بلا شخصية .. ضحل الفكر تافه العقلية .. ووصلت الأمور إلى حد وصف النساء بأنهن مخلوقات حمقاوات .. فارغات العقل .. ومنذ نهاية القرون الوسطى ترددت الصيحات التى تحذر الرجل من الارتباط بهذا المخلوق الغريب المعروف باسم المرأة .. وكان الشباب يحذرون من أن الارتباط بالمرأة يؤدى بهم إلى التخلف العقلى .. ونفس الصورة السيئة للمرأة عكستها أعمال شكسبير مثل «هاملت» حيث ظهرت أم بطل الرواية كخائنة ومتآمرة فى جريمة قتل زوجها وانتزاع عرشه والزواج من أخيه ..

وقد استمر هذا التيار المتحيز ضد المرأة من الأدب المعاصر .. ففى رواية "زوربا" للأديب اليونانى "نيكوس كازانتزاكس" يقول أحد أبطال الرواية وهو مصاب بالصمم ان سبب فقدانه لحاسة السمع يرجع إلى أن والده «سب العذراء مريم» وتضيف هذه الشخصية "الحمد لله على كل شئ فقد كان من الممكن ان تنتقم العذراء مريم من والدى بان تجعلنى أعمى أو مجنوناً أو أحدب الظهر أو حتى ، يا إلهى ، كان من الممكن ان تجعلنى فتاة" ..

وقد وصلت الأمور إلى ان سيدة مثل الليدى «مارى وورتلى مونتاج» كتبت تقول "ان عزائى الوحيد لانتمائى لجنس النساء هو أنى واثقة تماماً من أننى لن يحكم علىّ بأن أتزوج من إمرأة" أما السير "فيتز جيمس ستيفنس" فقد كتب يقول : «حقاً ان المرأة ليست مستريحة لوضعها وتعمل على تغييره ولكن محاولة إيجاد قوانين تحدد الحقوق والواجبات وتؤكد مساواة المرأة بالرجل ، رغم استحالة تحقيق ذلك ، تشبه محاولة وضع قدم ضخم وبشع فى حذاء صغير ورقيق حتى تبدو هذه القدم جميلة ..

وقد وصف الشاعر الانجليزى الكبير «درايدن» المرأة بأنها «شئ يجب صيده» أو «حيوان برى» .. وقال الأديب جوناثان سويفت فى رحلات جاليفر وهو يصف قوماً غرباء : «أنهم يقومون بتربية النساء والحيوانات» .. والشاعر صمويل باتلر أيضاً قال : "أرواح النساء صغيرة للغاية .. لدرجة ان المرأة تبدو بلا روح" .. وهناك أدباء ومفكرون حاولوا ان يكونوا أكثر اجتهاداً وعمقاً فقسموا النساء إلى أنواع وفصائل .. وقد نشرت مجلة "سبكتاتور" الانجليزية فى بداية القرن الثامن عشر مقالاً أشارت فيه إلى هذا التقسيم الغريب .. قالت : "فى البداية ، خلق الله أرواح جنس النساء من مواد تختلف عن أجسادهن .. كانت أرواح النوع الأول من النساء من تلك المواد التى خلق منها "الخنزير" .. والمرأة من هذا النوع تكون فاسقة نهمة للطعام والشراب وغير نظيفة وملابسها غير محتشمة وبيتها أشبه بالمكان الذى تعيش فيه الدواب والحيوانات ..

والنوع الثانى من النساء خلقت أرواحهن من نفس المواد التى خلقت منها "الثعالب" والمرأة من هذا النوع تكون ذكية وذات بصيرة .. ويمكن أن تكون إمرأة فاضلة أو شريرة ..

أما النوع الثالث من النساء فقد خلقت أرواحهن من نفس المادة التى خلقت منها "الكلاب والذئاب" .. والمرأة من هذا النوع هى التى توصف بالمرأة «السليطة» .. ذات اللسان البذئ والتى تزمجر وتكشر عن أنيابها لكل من يقترب منها. والنوع الرابع هن النساء اللاتى خلقت أرواحهن من "التراب أو الطين" .. والمرأة من هذا النوع كسولة تهدر وقتها فيما لا يفيد ولا هم لها سوى الطعام والخمول . والنوع الخامس ، وفقاً لهذا التقسيم الغريب ، هن النساء اللاتى خلقت أرواحهن من "ماء البحر" وهن متقلبات .

وهناك نوع سادس من النساء اللواتى خلقت أرواحهن من المادة التى خلق منها "الحمار" وتتميز المرأة من هذا النوع بتحمل زوجها وطاعته والعمل على إسعاده .. أما النوع السابع فالمرأة منه خلقت روحها من المادة التى خلقت منها "القطة" وهى مشاكسة مثيرة للمتاعب . والنوع الثامن هن اللاتى خلقت أرواحهن من مادة خلق "الفرس" والمرأة من هذا النوع قليلة الاهتمام بزوجها تقضى معظم وقتها فى التزين والتجمل وارتداء الملابس الجديدة وتصفيف شعرها .. ومثل هذه المرأة تكون رائعة فى أعين الرجل الغريب ولكن زوجها هو الوحيد الذى يعانى منها. والنوع التاسع والأخير من النساء هو المرأة التى خلقت روحها من مادة خلق "القرد" .. وهى قبيحة الشكل لا يوجد بها أى شئ جميل وهى تشعر بمرارة ، لذلك تسخر من جمال الأخريات وتمارس الغيبة والنميمة بشكل دائم» ..

وفى رواية "عمدة كاستر بردج" للأديب الأنجليزى الكبير «توماس هاردى» يصور المشهد الأول بطل الرواية وهو يبيع زوجته تحت تأثير الخمر التى لعبت برأسه .. ويقول توماس هاردى على لسان بطل روايته :"أننى لا أعرف لماذا لا يتخلص الرجل من زوجته التى لا يريدها فيبيعها كما يفعل الرجل الغجرى مع حصانه العجوز" ..

وهذه الصورة التى طرحها الأدب للمرأة تعكس بوضوح موقف المجتمعات ، فى ذلك الحين، من هذا المخلوق الذى ظل قروناً عديدة يعانى من التفرقة ومن حرص البعض على حرمانه من أبسط حقوقه المشروعة .. ولا شك ان الصورة تغيرت كثيراً الآن ولكن هل كان هذا التغير فى الاتجاه الإيجابى وهل شمل الشكل والمضمون معاً ..

باختصار ، يمكن القول أن الموقف العام من المرأة عبر مختلف مراحل التاريخ كان ظالماً وبعيداً عن الموضوعية لدرجة ان عداء المرأة أصبح تراثاً لدى كل الشعوب واتفق الكثيرون على أن الأنثى هى "رمزالخطيئة" و"بوابة الشيطان" حيث كان هذا هو الوصف الذى أطلق عليها فى القرن الخامس عشر .

وهذا الكتاب ، يتضمن نماذج عديدة من النساء اللاتى سقطن فى هاوية الخطيئة أو مستنقع الرذيلة وارتكبن أبشع الجرائم ، ورغم ذلك فان الكتاب لا يتخذ موقفاً من المرأة ولا يعاديها لمجرد أنها إمرأة بل يتناول خطاياها من زاوية انسانية ويحاول البحث عن الجذور التى تدفع المرأة إلى السقوط فى بئر الشر والرذيلة . ولا شك ان النماذج النسائية الشريرة التى يتناولها الكتاب قد ارتكبت جرائمها لأسباب أبعد بكثير عن انتمائها الجنسى لعالم النساء . فالخطيئة موجودة على الجانبين ويكفى المرأة ان الشيطان نفسه يشار إليه بصيغة المذكر وان الرجل أيضاً مسئول عن الكثير من الجرائم والكوارث والويلات التى تعاني وتقاسى منها الإنسانية ..

الفارق الوحيد ، ربما يكون هو ذلك الجانب المثير فى أخطاء المرأة وخطاياها .. فجرائم المرأة ذات مذاق خاص وطبيعة متميزة .. وهى ترتكب جرائمها بأسلوب فريد يجمع بين النعومة والشراسة .. الرقة والقسوة .. رحيق الحياة وسم الموت ..

وهكذا ، "فبنات إبليس" لسن هن النساء بشكل عام بل تلك الفئة الشريرة والمنحرفة من النساء اللاتى قدمن أرواحهن كقرابين فى معبد الشيطان تماماً كأبناء إبليس من الرجال الذين وهبوا حياتهم لخدمة الشر والخطيئة ..

حسين عبد الواحد

حواء .. خطيئة الأبرياء

إلى أى حد يمكن اعتبار حواء مسئولة عن تنفيذ مؤامرة إبليس ضد آدم لإخراجه من الجنة؟!

وإلى أى مدى يمكن اعتبار المرأة مسئولة عن أول جريمة قتل فى التاريخ وهى الجريمة التى قتل فيها قابيل شقيقه هابيل؟!!

قصة الخروج من الجنة كانت ولا زالت تشغل بال الكثيرين بما فيها من عظات وعبر ، ولما فيها أيضاً من تشويق وإمتاع وإثارة بالغة .

وهذه القصة هى أول تجسيد ، ومثل حى على طبيعة العلاقة بين الإنسان والشيطان ، بين الإنسان الذى استخلفه الله فى الأرض ، والشيطان الذى امتلأ قلبه بالحقد والحسد على الإنسان ورفض الأمر بالسجود لآدم تكبراً وغروراً .

وهى أيضاً أول مواجهة مباشرة وساخنة بين الشيطان والإنسان وأول محاولة لإبليس الملعون لإغراء آدم ونبيه والإيقاع بهم فى دائرة العصيان .

وقد بلغت هذه القصة قدراً كبيراً من الإثارة لدرجة أنها أصبحت حقلاً خصباً للتفكير والتأمل وقد تمادى كثيرون لأبعد من ذلك فنسجوا حولها القصص والأساطير .

وقبل الحديث عن قصة الخروج من الجنة يجب أن نعود إلى البداية .. إلى قصة خلق آدم عليه السلام .

لقد أخبر الله تعالى ملائكته أنه سيخلق بشراً من طين وأمرهم إذا سواه ونفخ فيه من روحه أن يقعوا له ساجدين سجود تكريم بالطبع لا سجود عبادة لأن الله لا يأمر أحداً أن يتوجه بالعبادة إلى سواه .

وسوى الله تعالى آدم من طين من حمأ مسنون "متغير" حتى إذا صار ذلك الطين صلصالاً "يصل إذا ضرب" كالفخار نفخ فيه من روحه فإذا هو إنسان حي من لحم ودم ، عظم وعصب ، يتحرك بإرادته ويدرك فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس كان من الجن ففسق من أمر ربه وأبى أن يسجد استكباراً ، ونسب إلى الله سبحانه وتعالى الظلم في أمره بالسجود لآدم ، وقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فطرده الله من الجنة .

"ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طينقال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين

(الآيات من ١١ : ١٣سورة الأعراف)

"ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم ، وإذقال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون (٣٣) قال فاخرج منها فإنك رجيم (٣٤) وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين"

(الآيات من ٢٦ إلى ٣٥ سورة الحجر)

طلب إبليس لعنة الله عليه من رب العزة سبحانه وتعالى أن ينظره إلى يوم الدين ، وتوعد آدم الذي طرد بسببه من الجنة بأن يغوي ذريته ويفسدهم على الله وأن يسعى في أن يجعل أكثرهم غير شاكرين لله إلا عباد الله المخلصين فوعده الله وكل من أطاعه من ذرية آدم بالنار .

"قال أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين قال اخرج منها مذموماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين "

(الآيات من ١٤ إلى ١٨سورة الأعراف)

"قال رب فانظرنى إلى يوم يبعثون لها قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط على مستقيم إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغارين وإن جهنم لموعدهم أجمعين" (الآيات من ٣٦ إلى ٤٣ سورة الحجر)

"قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين قال رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون) قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال فبغزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين" (الآيات ٧٧ من ٨٢ سورة ص)

أخبر الله تعالى ملائكته أنه سيجعل آدم خليفة فى الأرض فقالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) وتدعنا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ولا نعصى أوامرك ولا نفعل شيئاً من نواهيك فأخبرهم الله تعالى أنه يعلم فى هذا المخلوق من الأسرار ما لا يعلمون ويعلم ما يبدون وما يكتمون وأنهم غير عالمين بالسر فى استخلاف آدم وأنه اختص بعلم ما لا يعلمون .

ومعنى الخلافة عن الله فى الأرض أنه سيكون له سلطان عليها متصرفاً فى موادها ليجعلها ملائمة لحاجاته .

"وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون» (الآية ٣١سورة البقرة)

وأراد الله تعالى أن يحقق للملائكة بالفعل ويكشف لهم بالعمل ما غاب عنهم ويبين أن آدم الذى استحقره أولئك الملائكة محل لعناية الله وإيثاره بما لم يعطه لهم فعلّم الله آدم الأسماء كلها .

ثم عرض الله تعالى المسميات على الملائكة وطالبهم بأسمائهم فلم يعلموا ما يجيبون . وقالوا "سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم"

فقال تعالى "يا آدم أنبئهم بأسمائهم" ففعل .

وقال للملائكة «ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون»

"وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم

باسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون"(الآيات من ٣١ إلى ٣٣ سورة البقرة)

بعد ذلك ، كان أول اتهام لإمرأة فى التاريخ ..

المتهمة الأولى كانت هى أم البشرية

وأول إمرأة على وجه الأرض ..

حواء ..

فبعد ان خلق الله آدم ، عاش لفترة وحده مع الملائكة الذين كانوا مشغولين بالعبادة فأحس آدم بالوحدة .. وخلق الله حواء لكى يسكن إليها آدم . وسألته الملائكة عن اسمها فقال أسميتها حواء لأنها خلقت منى وأنا إنسان حى .

وصدر أمر الله تعالى بأن يسكن آدم الجنة مع حواء. "وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة، وكلا منها رغداً حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين"

(الآية ٣٥ من سورة البقرة)

عاش آدم وحواء أروع الأيام فى الجنة ولكن إبليس كان قد قرر أن يثبت عدم أحقية آدم فى هذا التكريم الذى يلقاه من ربه من خلال غوايته وحثه على المعصية وعلى أن يأكل من الشجرة المحرمة التى وصفها إبليس بأنها شجرة الخلد وملك لإبليس ..

وهنا تتردد القصص حول تورط حواء فى جريمة إبليس ضد آدم .. وتذكر بعض الأساطير وخاصة الأدبيات اليهودية أن حواء هى التى أغوت آدم لكى يأكل من الشجرة التى حرمها عليه ربه.

ولكن الحقيقة ان النص القرآنى لا يشير إلى حواء كمسئولة عن أول معصية فى تاريخ البشرية بل هو يحدد صراحة ان آدم هو المسئول عما حدث فهو الذى مد يده إلى الشجرة وقطف منها إحدى الثمار وقدمها إلى حواء ليأكل الاثنان من الثمرة المحرمة .

وكانت نتيجة هذه المعصية هى الخروج من الجنة .. وهبط آدم وحواء معاً إلى الأرض ..

بعض المفسرين أشاروا إلى أن الشجرة المحرمة التى أغوى الشيطان آدم على أن يأكل منها هى رمز للعلاقة الجنسية أو الزوجية بين آدم وحواء بدليل ما إكتشفه آدم بعد أكل الثمرة المحرمة..

فقد اكتشف آدم أنه عار وأن زوجته عارية .. اكتشف أنه رجل وإنها إمرأة وبدأ هو وزوجته فى قطع أوراق الشجر لكى يغطى كل منهما جسده العارى ..

وبعض كتب التفسير الأخرى تقول أنه لا مجال للرمز وأن الشجرة المحرمة كانت شجرة بالفعل أو أنها شجرة تفاح أغوت حواء آدم على أن يأكل منها وبذلك ، فقد عملت حواء لحساب إبليس ضد زوجها وشاركته فى التآمر على آدم المخلوق الذى اختاره الله لكى يكون خليفته فى الأرض .

ولكن النص القرآنى مرة أخرى يشير إلى إحساس آدم وحواء معاً بالندم على الخطيئة .

"قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ..."

(الآية ٢٣ سورة الأعراف)

وقبل الله توبة آدم وحواء وعفا عنهما وأرسلهما إلى الأرض حيث بدأت حياة الإنسان متحملاً المسئولية التى أبت الجبال أن تحملها .

ورغم أن أول قاتل فى تاريخ الإنسانية كان هو قابيل ابن آدم الذى قتل شقيقه هابيل إلا أن البعض أراد أن يحمّل المرأة مسئولية هذه الجريمة أيضاً رغم أن القاتل والقتيل كانا من الرجال .

وأستند أصحاب هذا الرأى على حقيقة أن الخلاف بين قابيل وهابيل كان يدور حول إمرأة..

فقد كان القاتل يريد زوجة شقيقه لنفسه وأمرهما آدم أن يقدما قرباناً وقدم كل واحد منهما قرباناً فتقبل الله من أحدهما ولم يتقبل من الآخر الذى هدد شقيقه بالقتل .. ولكن الشقيق الطيب رد قائلاً :

"لئن بسطت إلىّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك . إنى أخاف الله رب العالمين"

ورغم ذلك ، قتل قابيل هابيل .. وقال آدم حين عرف القصة "هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين .."

ورغم وضوح المسئولية وتوافر القصد الجنائى وسبق الإصرار والترصد لدى القاتل قابيل فى جريمة قتل شقيقه هابيل ، إلا أن البعض ما زال يربط بين المرأة وأول جريمة قتل فى تاريخ البشرية وكأن الرجل ملاك لا يخطئ بينما المرأة شيطانة لا يأتى من ورائها خير .. إنها لعنة حواء .. أو بمعنى آخر خطيئة الأبرياء ..

إمرأة لوط ..

انها الزوجة الخائنة التى أفشت أهم الأسرار فى حياة زوجها ..

وهى المرأة الملعونة التى حرضت على الفسق والرذيلة دون أن تحصل على مقابل سوى إرضاء نفسها الشريرة .. لذلك كان عقاب السماء لها مروعاً ..

فقد هلكت مع أحط أنواع البشر عندما تدخلت السماء لتدمر مملكة الشذوذ فى سدوم وعمورة ...

لوط هو النبى الذى أرسله الله تعالى لهداية شعب فاجر يعشق الشذوذ الجنسى سواء بين الرجال أو النساء ..

وهو النبى الذى وجه دعوته لقوم من المرضى النفسيين الذين يعانون من الرغبة التى لا تقاوم فى ممارسة الجنس مع طرف آخر من نفس النوع .. وفى نفس الوقت ، كان قوم لوط هم الأمة الملعونة التى عاشت فى سدوم وعمورة حياة سيطر عليها الفسق والفجور، لذلك ، كانت المعركة التى خاضها النبى لوط أخلاقية فى المقام الأول ،أى تتعلق بالممارسات اللاخلاقية قبل أن يكون هدفها الأساسى هو التوحيد أو ترك عبادة الأوثان أو النار أو النجوم لعبادة الله الواحد الأحد ..

نعم .. لم يكن قوم لوط مجرد كـفار، بل كانوا كفاراً من نوع آخر ، يختلط فـيهم الكفر بمعناه الشائع ، وهو عـدم عبادة الله الواحـد الأحد ، مع ممارسـات لا أخلاقيـة منحطة ، أبرزها الشذوذ الجنسى الذى تفشى بينهم كالوباء ..

وكـما حـدث مع بقيـة الأنبيـاء ، واجـهت دعوة النبى الطاهـر لوط مقـاومة من جـانب قومـه الفاسقين .. والأكثر من ذلك ، أنه لم يجد دعماً من أقرب الناس إليه وهى زوجته ، على عكس ما حدث مع بقية أنبياء الله الذين حظى أغلبهم بحماية ومساندة الأقارب والأصدقاء .

وعندمـا حضـر وفـد من الملائـكة لبيت النبـى لوط بهدف زيارته ، وهـم فى صورة بشـرية ، أصيب النبى الطاهر بـالفزع ولـم يعرف ماذا يفـعل فى مواجهـة هذا الموقف الصعب . وكـان سر صعوبة الموقف يكمن فى ادراك لوط لحقيقة قومه ، ومـا سيفعلونه مع ضيوفه ، لذلك وجد نفسه فى حرج شـديد ، وهو النبى ، لأنه بيـساطة كـان عاجزاً عن حـماية ضـيوفـه .. عاجزاً عن تـقديم واجب الضيافة . واستقر رأيه فى النهـاية على أن المخرج الوحيد من هذه المشكلة ، هو أن يخفى هؤلاء الضيوف عن عيون الفاسقين من أبناء قـومه ، الذين لا يتركون ذكراً دون ممارسة شذوذهم الجنسى معه ..

لم يفكر لوط فى أن الخيانة تعيش معه تحت سقف بيت واحد .. ولـم يتصور أن تكون زوجته الشريرة ، التى من المفروض أن تكون أمينة على أسراره ، هى الثـغرة التى سيخرج منها أخطر سر فى حياته ، وأنها هى التى ستحمل نبأ وجود الضيوف داخل بيت لوط إلى قومه الشواذ.

وكالحية الرقطاء .. تسللت امرأة لوط إلى أحط الشواذ والفـاسقين من رجال قومها لتنقل لهم النبأ الخطير .. وببراعـة القوادين المحترفين أخذت تفح فى آذانهم وتتحـدث عن جمال الضيوف الذين حضـروا إلى لوط ، وأخذت الزوجـة الشريرة تغـرى وتحرض وتثـير الغرائز حـتى إندلعت نيران الرغبـات الشاذة داخل نفوس قوم لوط ، وسال لعـابهم من فرط الرغبة فى مضـاجعة هؤلاء الضيوف الموجودين فى بيت الرجل التقى لوط .

وإنطلق فـريق من الشـواذ إلى بيت لوط .. وقـالوا له صراحـة إنهم يريدون ضـيـوفه الذكـور لممـارسة الفحشـاء معهم ، ووجد الـنبى الطاهر نفسه فى مـوقف شديد الحرج ، فهـو يعلم مدى فسق وفجور قومه .. وفى نفس الوقت يريد حمـاية ضيوفه الأبرار من المصير الذى ينتظرهـم على أيدى هؤلاء الشواذ ..

ولـم يجد لوط أمامه سوى أن يسعى لاقناعهم ببديل أقل رجساً وفجوراً ، وعرض عليهم بناته،

كبديل لإرضاء وإشباع غرائزهم المجنونة بدلاً من ضيوفه .

" قال يا قوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد " " صدق الله العظيم "

ورغم ذلك ، رفض القوم توسلات النبى ، ولم تفلح محاولاته فى إقناع هؤلاء الشواذ بالتخلى عن شذوذهم المجرم ، ولو لمرة واحدة ، وأن يستبدلوا عشق الذكر للذكر الذى يمثل شذوذاً لا يوجد حتى بين الحيوانات بشكل طبيعى من أشكال الممارسة الجنسية، حتى ولو كان الطرف الآخر هو بناته !.

ولم يجد النبى لوط سوى أن يعترف لضيوفه بعجزه عن حمايتهم ، بعد أن سيطرت عليه حالة من الحسرة واليأس ، وقال لهم صراحة :

"لو أن لى بكم قوة أو أوى إلى ركن متين" " صدق الله العظيم "

وعندما وصلت عدوانية قوم لوط إلى ذروتها ، وأصبح الموقف فى ذروة الخطورة ، كان لابد أن يأتى الغوث من السماء وأن تحدث المعجزة التى تلقن البشرية كلها الدرس الأكبر، وحدثت الكارثة الشهيرة لسدوم وعمورة التى خسفت بها الأرض لدرجة أن هذه المنطقة موجودة الآن تحت البحر الميت فى فلسطين .

وكان مصير زوجة لوط هو الهلاك مع بقية الفاسقين من قومها ، بينما نجت ابنتا لوط مع والدهما .

هكذا ، دخلت إمرأة لوط التاريخ كنموذج للزوجة الملعونة ، التى إحتلت واحدة من أشد صفحات التاريخ سواداً ..

فهى الزوجة التى خانت زوجها ..

فهى المرأة التى خانت قضية الأخلاق ، وهى المرأة التى حرضت قومها على الفسق ، وهى التى حلت عليها لعنة السماء مع قومها الفاسقين .

وهكذا كانت خطيئة إمرأة لوط على أكثر من مستوى ..

الأول هو المستوى الإنسانى بوجه عام ، وتمثل فى التحريض على أسوأ أشكال الفسق وهو الشذوذ الجنسى ، حيث لم تكتف بنقل خبر ضيوف زوجها إلى قومها ، بل أخذت تزين لهم هذا السلوك المنحط الخطير ..

ومـما يزيد من بشـاعة جـريمة امـرأة لوط ، أنهـا حرضت علي ارتكاب هـذه الجريمـة من منطلق أخلاقها الشريرة ، ودون أن تتحقق لها أى فائدة مادية ملموسة ، وهى فى هذه الحالة تكون خادمة للشيطان دون أجر ، أو تمارس الشر على سبيل الهواية والاستمتاع بمجرد الممارسة الشريرة .

أما المستوى الثانى من مستويات خطيئة امرأة لوط ، فهو أنها كانت نموذجاً للزوجة الخائنة.. ولم تكن خيانتها من النوع الذى قد يكون شائعاً بين بعض الزوجات ، وهو الخيانة الجسدية ، بل كانت خـيانة أخطر وأشـد سوءاً، تمـثلت فى عدم كتـمان سـر زوجها الذى أفـشتـه دون أن تبالى بالعـواقب التى يمكن أن تتـرتب عليه .. فـقد أدى كـشف سـر ضيـوف لوط إلى وضع هذا النبى الكريم فى موضع الخطر ، لأن هؤلاء الشواذ الفاسقـين كان من الممكن أن يقتلوه أو يرتكبوا أى جريمة فى حالة الهياج التى كانت تسيطر عليهم .

إذن كانت إمـرأة لوط تضحى بحـياة زوجـها ، فى نفس اللحظة التى ضـحت فيـها بالفـضيلة والأخلاق على مذبح الشذوذ والاباحية والعشق ..

اذن هى إمرأة من بنات إبليس الملعونات .. وهى ذات مكانة شـديدة التدنى فى مملكة الشر ، جعلتها تستحق لعنة السماء ، فتهلك مع الهـالكين من أبناء قومها الملاعين .. وأيضاً تستحق لعنة كل البشر حتى يوم الدين ...

سالومى ..
رقصة الشيطان

إذا كانت هناك إمرأة فى التاريخ تستحق لقب الإبنة البارة للشيطان فهى بكل تأكيد هذه المرأة .. فقد أثبتت بسلوكياتها الجهنمية أن بوسع بعض البشر التفوق على إبليس نفسه وبطريقة أكدت جدارتها فى أن تضع على رأسها الملعون أكبر تاج فى مملكة الشر ..

لا يذكر التاريخ إمرأة استحقت لعنة الأجيال مثل «سالومى» المرأة الشيطانية التى عاشت وماتت رمزاً للفسق والسفالة .. والأطماع اليهودية فى أرض فلسطين ليست حديثة العهد ولم تكن بدايتها هى ذلك المخطط الصهيونى الذى بدأ تنفيذه فى نهاية القرن الثامن عشر ..

فهذه الأطماع بدأت قبل ميلاد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام عندما لجأت عصابات اليهود إلى كل وسيلة ممكنة لكى تضع أيديها الدنسة على التراب الفلسطينى ولم يتورع اليهود عن اللجوء إلى جرائم القتل والتعذيب والإبادة والدعارة أيضاً ما دام ذلك يساعد فى تحقيق حلمهم الآثم ..

وتكفى نظرة سريعة لتاريخ اليهود فى فلسطين خلال عشرات السنين التى سبقت مولد المسيح لتؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن ما يفعله الصهاينة فى فلسطين الآن هو صورة من الأساليب

الدنيئة التى لجـأ إليها أسلافهم من قبل .. فـفى عام ٣٩ قبل الميلاد كان مارك انطـونيو امبراطوراً على الدولة الرومـانية الـتى تتبـعهـا أراضى فلسطين وأصـدر قراراً بتـولى هيـرودس الكبيـر ملك فلسطين ووافق مجلس الشيوخ الرومانى على هذا القرار ..

وكان هيرودس هذا قد لجأ إلى أحط أساليب النفاق والذل والمهانة حتى يمنحه مارك أنطونيو عرش فلسطين ، وبعد أن تم له ما أراد استمر فى نفاقه للامبراطور الرومانى لدرجة أنه أقام هياكل وثنية لعبادته فى القدس ذاتها .. ولم يتورع هيرودس عن وضع تمثال ضخم لنسر من الذهب وهو شعار الدولة الرومانية على باب هيكل سليمان الذى يزعم اليهود أنهم يقدسونه ..

وعندما هزم مارك أنطونيو فى موقعه "اكتيوم" أمـام أوكتافيوس تخلى هيرودس عن ولى نعمته وأسرع بالهـدايا إلى الإمبـراطور الجديد وقتل زوجـته مـريمنا ووالدها هركانس وأمـها أسكندره وأخيها ارستـبولس الذين كانوا يرتبطون بعلاقة صداقة مع كليو باتره ملكة مـصر وحليفه أنطونيو ليثبت للامبراطور الجديد أوكتافيوس ولاءه له .

وكان عامة اليهود يكرهون هيرودس لأنه كان آدومياً ولم يكن من أصل يهودى وأعلن مجلس شيوخ اليهود الذى كانوا يسمونه «السنهدريم» رغبته فى ان يتولى يهودى نقى أو من جذور يهودية العرش فما كان من هيرودس إلا أن أعدم أعضاء المجلس جميعاً وعددهم سبعين فرداً .

كان لهـيرودس من زوجته مـريمنا التى قتلهـا ثلاثة أبناء هم أسكندر وأرستبـولس وهيرودس الأصغر الذى مات أثناء تلـقيه العلم فى روما .. ولم تكن مريمنا هى زوجتـه الوحيدة حيث تزوج من عشر نساء .

وقد قتل هيـرودس ابنيه اسكندر وارستبولس بـعد ان شك فى أنهما يتآمـران ضده ثم قتل ابنه البكر انتيباتروس لنفس السبب .. وفى هذه الفترة أطلق الإمبراطور الرومانى أغسطس قيصر قولته الشهيرة .. "إن المرء ليفضل أن يكون خنزيراً على أن يكون ابناً لهيرودس" ..

وقد اصطبغ عـهد هيرودس بالدمـاء وأبشع مذابح القتل فى التـاريخ وكان مغرمـاً بإبادة أعداد كبيرة من الناس . وتشير بعض المراجع التاريخية إلى أنه أصدر أوامره فى أخريات أيامه بقتل كل الأطفال فى مدينـة بيت لحم حتى سن عامين بعـد أن علم بقرب مولد عيـسى بن مريم وراح عدة آلاف من الأطفال ضحايا لهذه المذبحة .

وحين اقتـربت ساعة هيرودس كان موقنا ان الجـميع سيفرحون لمـوته فقرر ان يضطرهم إلى البكاء وأصدر أمره بدعوة شيوخ أكبر الـعائلات إلى أريحا وجمعهم فى ملعب للخيل وطلب من

أخته أن تأمر الجنود يذبحهم فى اللحظة التى يسلم فيها الروح .

ويقال أن هيرودس أصيب فى آخر أيامه بحمى شديدة تحرق جوفه وقروحاً تسبب له آلاماً مروعة وعانى من جوع كلبى فلم يكن يشبع مهما تناول من طعام وقد تهرأت أعضاء جسمه وانتشر فيها الدود وأصبحت تنبعث منه رائحة كريهة لدرجة دفعته إلى الانتحار للتخلص من آلامه.. وأخيراً زهقت روحه مصحوبة باللعنات وكان فى السبعين من عمره ..

وبعد موت هيرودس أعلن ابنه آرخيلاوس نفسه ملكاً على اليهود ولكنه كان سفاحاً مثل أبيه.. وكان هيرودس قد قسم مملكته بين أربعة من أبنائه وانتيباس وأرخيلاوس ولكنهم تصارعوا على السلطة وتفجرت حرب أهلية وتفشى القتل والسلب والنهب وتخريب المدن .

وتدخل امبراطور روما أغسطس قيصر لحسم الصراع وقرر تقسيم مملكة هيرودس بين ابنائه بحيث يصبح ارخيلاوس حاكماً على ربع مملكة أبيه .. ويحمل لقب «رئيس ربع» وكانت ولايته مقصورة على الضفة الغربية لنهر الأردن التى يطلق عليها اليهود يهودا والسامرة بالإضافة إلى أدومية .

وكان الابن الثانى هو هيرودس انيتباس وقد عينه أغسطس قيصر والياً على منطقة الجليل وانتهج سياسة أبيه فى نفاق الرومان فبنى مدينة وأطلق عليها اسم طبرية على اسم الامبراطور طيباريوس الذى خلف أغسطس قيصر على عرش روما .

كان هيرودس انتيباس يشبه أباه فى مكره ودهائه، وبينما كان يزور روما نزل ضيفاً على أخيه فيلبس الذى كان أبوه قد طرده وحرمه من الميراث، فذهب ليعيش تحت حماية الإمبراطور الرومانى ..

ولم يلبث انتيباس ان عشق زوجة أخيه وتدعى هيروديا ، واتفق معها على الهرب ليتزوجها.. وبالفعل هربا معاً إلى الجليل واصطحبت هيروديا معها ابنتها سالومى .

كانت سالومى فتاة رائعة الجمال ، ولكنها ماجنة لا تتمتع بأى خلق نبيل أو أخلاق كريمة.. وذاع صيتها بسبب علاقاتها الآثمة مع رجال كثيرين .

وفى الجليل ، سيطرت هيروديا وابنتها سالومى على هيرودس انتيباس وأصبحت لهما السلطة العليا ، وانتشر الفساد فى كل مكان ، وأصبحت سالومى رمزاً على الفساد الأخلاقى.

ووفقاً للشريعة اليهودية .. كان زواج انتيباس من هيروديا باطلا لأن اليهود لا يبيحون للأخ أن

يتزوج من زوجة أخيه إلا إذا كانت بلا أبناء .

وكان فى فلسطين يومئذ رجل بار يعتبره اليهود نبياً ، وهو يوحنا المعمدان وتقول بعض المصادر أنه هو نفسه النبى يحيى .. وشن يوحنا المعمدن حملة ضد زواج انتيباس من هيروديا ، وكان يردد فى كل مكان أن هذا الزواج باطل .. واستدعاه انتيباس وطلب منه أن يتوقف عن انتقاده، وتحداه قائلاً : «ان هيروديا لا تحل له وان علاقته بها أثمة» ، وحاول انتيباس بكل وسيلة أن يستميل يوحنا المعمدان دون جدوى فأصدر أمراً باعتقاله وسجنه .

وقد أشار الأديب العالمى أوسكار وايلد إلى «سالومى» فى روايته الشهيرة التى تحمل نفس الاسم وقال : أنها لعبت دوراً بالغ الانحطاط فى قصة يوحنا المعمدان .

فوفقاً لما ذكره أوسكار وايلد وغيره من المصادر التاريخية ، كانت سالومى تعشق يوحنا المعمدان ، وحاولت كثيراً ان تغريه على ارتكاب الفحشاء معها، ولكن الرجل التقى رفض ذلك باصرار رغم جمال سالومى ورغم أنها فعلت المستحيل معه ..

وامتلأ قلب سالومى بالحقد على يوحنا المعمدان ، واعتبرت رفضه مجاراتها فى الرذيلة اهانة لها وتحقيراً لشأنها .. وصممت سالومى على الانتقام ، وجاءتها الفرصة ذات يوم لترد على رفض يوحنا المعمدان لها ، وكان انتقامها رهيباً يعكس حجم الشرور التى سيطرت عليها .

تقول دائرة المعارف اليهودية : ان انتيباس زوج أم سالومى وعمها فى نفس الوقت كان يحتفل بعيد ميلاده .. وطلب منها أن ترقص تكريماً له فى الحفل الذى أقيم بهذه المناسبة ..

ورقصت سالومى رقصة شيطانية ماجنة ، وتشير مصادر عديدة إلى أنها رقصت وهى عارية تماماً ، وأبدعت فى رقصها لدرجة جعلت انتيبياس يطلب منها أن تتقدم بأى طلب وتعهد بتنفيذه حتى ولو طلبت نصف مملكته .

وهنا جاءت الفرصة التى تنتظرها سالومى ولمع فى عينيها بريق الانتقام فتقدمت من انتيباس برباطة جأش تصل إلى درجة الصفاقة ، وقالت له : "لى طلب واحد فقط وهو رأس يوحنا المعمدان . أريد هذا الرأس على طبق الآن امام جميع الحاضرين" .

ورغم وحشية هيرودس انتيباس إلا أنه صدم للوهلة الأولى من هذا الطلب ، ولكنه تغلب على تردده وأصدر أوامره لجنوده بتنفيذ ما طلبته سالومى ... وبالفعل لم تمض لحظات حتى جئ لها برأس يوحنا المعمدان على طبق كبير .. فأخذت تنظر إليه بتشف وحقد ليس لهما مثيل ..

ولقد دخلت هذه الرقصة الشيطانية التى أدتها سالومى فى بلاط هيرودس انتيباس تاريخ الأدب والفن والموسيقى .. فقد سجلت فى أعمال أدبية عديدة ولوحات فنية وقطع موسيقية . ومن أشهر هذه الأعمال أوبرا سالومى لريتشارد شتراوس ..

وقد أضيفت إلى قصة سالومى تفاصيل كثيرة .. فبعض الأعمال الفنية أشارت إلى أنها انتحرت ندماً على ما فعلته فى يوحنا المعمدان .. وهناك لوحات تظهر فيها سالومى وقد أغمى عليها بعد تنفيذ رغبتها واعدم يوحنا المعمدان .

ولكن هناك اجماعاً بين المصادر التاريخية والأعمال الأدبية والفنية على أن هذه المرأة كانت صاحبة أبشع انتقام فى التاريخ .

لقد امتزجت فى شخصية سالومى كل نقائض الشخصية اليهودية ، وأضيفت إليها شرور المرأة الآثمة الداعرة ووحشية الأنثى عندما تشعر أنها أهينت فى أنوثتها .. واسفر هذا المزيج الغريب عن أمنية شيطانية تمثلت فى قطع رأس رجل بار رفض الرذيلة وأصر على أن يحتفظ بشرفه ونقائه حتى لو كان ثمن ذلك هو رأسه .

وقد التزمت جميع المصادر التاريخية والفنية بضرورة إظهار دور اليهود فى هذه الجريمة بما فى ذلك دائرة المعارف اليهودية نفسها التى نشرت صورة بعنوان «رقصة سالومى» للرسام الفلورنسى جورليو ويظهر فى هذه الصورة الملك هيرودس انتيباس وقد ارتدى على رأسه القبعة اليهودية التقليدية التى لا يرتديها سوى اليهود ..

لقد دخلت سالومى التاريخ من أكثر من باب وكانت كلها أبواب يكللها العار .. فهى المرأة الماجنة الداعرة الفاسقة .. وهى الابنة التى قيل أنها زنت مع عمها وزوج أمها، وهى المحرضة على الرذيلة ، والقاتلة التى انتقمت أبشع انتقام من يوحنا المعمدان بقطع رأسه والتشفى فيه بتقديم هذا الرأس هدية لأمها .

باختصار كانت سالومى نموذجاً بشعاً للمرأة ، وهو نموذج من الصعب ان لم يكن من المستحيل أن نعثر له على مثيل فى كتاب التاريخ . ويكفى سالومى أنها ستظل إلى الأبد تتلقى لعنات كل من يؤمن بالشرف والأخلاق .. والإنسانية .

دليلة .. الحقيقة والأسطورة

هناك أمر غريب يتعلق بهذه المرأة التى دخلت سجل التاريخ كعاشقة لشمشون اليهودى ورغم ذلك فأن كل كتب وأدبيات وأساطير اليهود تلعنها وتتهمها بأنها تآمرت على شمشون لكى يفقد قوته الرهيبة ..

ومع هذا الهجوم اليهودى الشرس على دليلة ، كان من الضرورى أن نعيد قراءة الكتب الأخرى غير اليهودية وأن نحاول التأكد مما إذا كانت دليلة بالفعل من بنات إبليس أم أنها إنسانة أخرى غير تلك التى يتحدث عنها التاريخ اليهودى المزيف ..

للتاريخ ضحايا كثيرون .. بعضهم شاء القدر أن يضعهم فى مواقف لا يمكن الدفاع عنها ولم تتح لهم الفرصة لتبرير ما ارتكبوه من أخطاء وخطايا ..

والبعض الآخر كانوا ضحايا لتزييف التاريخ فصدر ضدهم حكم الإدانة بلا محاكمة وانهالت لعنات الأجيال على رؤوسهم دون ذنب أو جريرة ..

وموقف أولئك وهؤلاء جدير بالرثاء لسبب بسيط هو أن أحكام التاريخ لا تسقط بالتقادم بل تزداد شدتها بمرور الأيام والسنين .. وقضية دليلة التى اتهمت بخيانة شمشون من هذا النوع

التاريخى .. والمأساوى أيضاً ..

فى نهاية القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، تمكن الفلسطينيون وهم السكان الأصليون فى أرض فلسطين من إلحاق هزيمة كبرى بعصابات اليهود التى كانت تحاول الاستيلاء على أراضيهم .. واستعبد الفلسطينيون اليهود قرابة ٤٠ عاماً .. وظل اليهود على هذا الوضع دون ان يغير ذلك من رغبتهم الدفينة فى القضاء على الفلسطينيين والاستيلاء على أراضيهم..

والقصة الشهيرة التى تتردد فى كتب التاريخ والأساطير حول شمشون ودليلة هى خير مثال على طبيعة هذا الصراع القديم بين الفلسطينيين أصحاب الأرض والأطماع اليهودية التى لم تتوقف حتى يومنا هذا .. وربما يكون من المفيد الاشارة إلى هذه القصة كما وردت فى دائرة المعارف اليهودية الطبعة الانجليزية ص ٧٧١» ..

ووفقاً لهذه الرواية التى تستند إلى التوراة والتلمود فان دليلة كانت إمرأة فلسطينية من غزة ارتبطت بعلاقة مع شمشون ثم تسببت فى القضاء عليه .. ولم يكن من الغريب ان تصف الادبيات اليهودية دليلة بأنها إمرأة خائنة وفاسقة ، رغم أن مراجعة الدور الذى قامت به دليلة خاصة فى ضوء تطورات الصراع الفلسطينى الصهيونى قد تغير كل الأحكام السابقة التى أصدرها المؤرخون لإدانتها ، وربما أيضاً تجعل منها أول إمرأة تشارك بفعالية فى هذا الصراع..

والقصة تبدأ بأحد قضاة اليهود وكان يدعى «منوح» كانت زوجته عاقراً فشلت فى الانجاب بعد عشرات السنين من الزواج ، ولأسباب مجهولة ظهر ملاك لهذه المرأة اليهودية وأبلغها بأنها ستلد طفلاً وأن طفلها سيكون نذراً للرب .. وامتنعت المرأة على الفور عن تناول النبيذ أو أية أطعمة غير طاهرة حتى لا تدنس حملها ..

وعندما وضعت الطفل أطلقت عليه اسم «شمشون» وهو اسم مشتق من كلمة «شمش» بالعبرية وتعنى الشمس ، ونذرت الأم ألا تقص شعر رأس الطفل مدى الحياة ..

وتقول دائرة المعارف اليهودية ان الملاك أبلغ الأم بأن شمشون سيقف إلى جانب بنى إسرائيل ضد الفلسطينيين وبأنه سيكون خارق القوة ..

ورغم أن الأدبيات الصهيونية تحاول استغلال أسطورة أو قصة شمشون للتعبير عن كراهيتها الشديدة للفلسطينيين .. إلا أن ما ذكرته عن صراعات شمشون ضد الفلسطينيين يؤكد أن الفلسطينيين هم أصحاب أرض فلسطين ويعد اعترافاً من الصهاينة بأن الفلسطينيين عاشوا على هذه الأرض قبل ميلاد المسيح بآلاف السنين ..

وتمضى قصة شمشون لتحكى عـن القوة الأسطورية التى كان يتمتع بها ، وتقول أنه ارتبط فى حياته بثلاث نساء فلسطينيات .. وكـانت الأولى فتاة من منطقة تمـنه أحبها شمـشون وطلب من والديه تزويجه منها ، ولكن عنصرية الوالدين جعلتهما يرفضان زواج ابنهما من فلسطينية ..

وألح شمشـون على والديه وتمسك بهذه الفتاة ، فـوافقا فى النهاية كارهين .. وذهبـا معه إلى تمنه التى تسمى اليوم تبنه جنوب غربى بيت شمس ..

وقبل أن يدخل شمشون إلى القرية هاجمه أسد ، فانقض عليه شمشون وقتله .. وبعد فترة عاد إلى موقع هذه المعركة فشاهد سرباً من النحل يتجمع على جثة الأسد ويشيد فيها خلية يسيل منها العسل ..

وأثناء حفل زفاف شمـشون أخذ يتسامر مع بعض الشبان الفلسـطينيين فراهنهم على أن يقول لهم لغزاً إذا عرفوا تفسيره خلال الأيام السبعة الأولى التى يستغرقها العرس أعطاهم ثلاثين قميصاً وثلاثين حلة من الثياب وان عجزوا أعطوه هم نفس الرهان ..

وقال شمشون اللغز وهو :

من الأكل خرج مـأكول ومن الشرس خرجت حـلاوة .. وعجز الشبـان الفلسطينيون عن حل اللغز وطلبوا مساعدة عروس شمشون باعتبارها فلسطينية مثلهم لتعرف منه الحل وتبلغهم به..

وتمضى القصة اليهـودية فتقول ان عروس شمشون الفلسطينيـة بذلت كل جهدها حتى عرفت منه حل اللغز وهو خلية النحل التى شاهدها فى جثة الأسد ..

وفى اليوم السابع أجاب الفلسطينيون على لغز شمشـون فعرف ان عروسه أفشت سره لقومها من الفلسطينيين واتهمهـا بالخيانة وقتل ثلاثين فلسطينياً من الشبان الذين كانوا يتـسامرون معه ثم هجر عروسه وعاد إلى عسقلان !!

هكذا ، حتى السمـر واللهو يتحول بفضل العـنصرية إلى قتل ودماء .. ويقتل شـمشون ثلاثين فلسطينياً لسبب بسيط هو أنهم عرفوا حل اللغز عن طريق عروسه !!

ولا يتوقف الأمر عند ذلك ، فبعد فترة يحـاول شمشون العودة لزوجته الفلسطينية ولكنه يعلم أنها تزوجت من شخص آخر بعد أن تركها فيقرر الانتقام !!

تمضى القصـة اليهودية فتـقول ان شمشون قـيد ثلاثمائة من الثعـالب فى أزواج من ذيولها ثم أشعل فيـها النار وأطلقها فى حـقول الفلسطينيين ليدمـرها .. ثم يتوجه إلى بيت عروسـه السابقة

ليقتل جميع أفراد أسرتها !!

وتجمع الفلسطينيين على شمشون وتمكنوا من أسره وتقييده بالحبال ولكنه يمزق هذه الحبال ، ويقتل ألف فلسطينى بفك حمار ميت !!

هكذا دائماً كـان .. وما زال وسيظل مفهـوم البطولة لدى اليهـود هو سفك الدماء خـاصة إذا كانت دماء عربية أو فلسطينية .

وتقول دائرة المعارف اليهودية ان شمشـون ارتبط بعد ذلك بعلاقة مع فلسطينية أخرى من غزة ولكنه ابتـعد عنهـا بعد أن شك فى أن الفلسطـينيين يدبرون خطة للقـضاء عليـه أثناء خروجـه من منزلها ..

أما ثالث إمـرأة فلسطينية فى حـياة شمـشون فكانت هى دليلة .. ودليلة هذه كـانت تعيش فى منطقة تدعى وادى «سوريك» وكانت رائعة الجمال فأصبح شمشون لا يستطيع الابتعاد عنها ..

ووفقا للقصص والأساطير اليهودية فان الفلسطينيين كانوا يرغبون فى معرفة سر قوة "شمشون بن منوح" فطلبوا من دليلة عمل المستحيل لمعرفة هذا السر وبذلت دليلة ثلاث محاولات لاغراء شمشون بالكشف لها عن سر قوته ولكنـه كان يرفض فى كل مرة .. وأخيراً نجحت فى ان تعرف منه هذا السر .

قال شمشون لدليلة ان قوته تكمن فى شعره الذى نذرت أمه للرب ألا تقصه له طوال حياته..

وبعد أن نام شـمشون قامت دليلة بقـص ضفائره السبع وهجم عليـه الفلسطينيون بعد أن فـقد قوتـه وأمسكوا به حـتى ينتقـموا منه ، وأصـيب شمـشون بالعـمى نتيـجة للتـعذيب والأسـر لدى الفلسطينيين ..

وذات يوم تجـمع الآلاف من الفلسطينيـين داخل المـعبـد للاحتـفال بأحـد أعـيادهم الدينيـة وأحضروا شمشون لاهانته والسخرية منه خلال الاحتـفال .. وخلال هذه الفترة كان شعر شمشون قد نما مرة أخـرى واستعاد قوته دون أن يعرف أحد !! وطلب شمـشون من الشخص الذى يقوده أن يرشده إلى أعمدة المعبـد وقام بتلاوة صلاة يهودية استعداداً للانتقام ودفع أعـمدة المعبد بيديه القويتين مطلقاً صرخته الشهيرة «علىَّ وعلى أعدائى» وهدم المعبد على رؤوس الجميع ومات هو أيضاً مع ثلاثة آلاف من الفلسطينيين ..

ان قصـة أو أسطورة شمشـون ودليلة تحتوى بلا شك على الكثير من المبـالغات .. ورغم ان

المبالغة سمة أساسية فى الأساطير بوجه عام إلا أن المبالغات فى هذه الأسطورة بالتحديد ليست عفوية أو عشوائية بل هى بالغة الخبث والدهاء ..

فاليهود دائماً يروجون لأكذوبة ان «الرب» كان معهم مهما ارتكبوا من جرائم ومهما تخضبت أيديهم بدماء الأبرياء .. وهم يطرحون فكرة السوبرمان أو «البطل الخارق» الذى لا يقهر سواء كان هذا «البطل» هو شمشون الذى يحرق الحقول ويقتل أسرة زوجته ويهدم المعبد على رؤوس ثلاثة آلاف فلسطينى ، أو كان هو اريل شارون الجنرال الإسرائيلى السفاح الذى يقتل الأطفال العرب والفلسطينيين ويحرق مخيمات اللاجئين العزل ..

خيط طويل متصل منذ آلاف السنين ومؤامرة تاريخية بدأت قبل الميلاد بآلاف السنين ولا يعرف أحد متى ستنتهى !

أما بالنسبة لدليلة ، تلك المرأة الفلسطينية التى شاركت قومها فى مواجهة شمشون عدو الفلسطينيين فربما تكون دليلاً آخر على تزييف التاريخ واخضاع أحداثه لوجهات نظر غير موضوعية تخدم أهدافاً شريرة وخبيثة ..

ان معظم كتب التاريخ والأعمال الأدبية والفنية التى تناولت شخصية دليلة تشير إليها دائماً باعتبارها المرأة الخائنة التى استخدمت جمالها لإغراء شمشون اليهودى على ان يبوح لها بسره ، ورغم ان التوراة ذاتها لم تحدد جنسية دليلة إلا أن الأدبيات اليهودية والصهيونية تؤكد دائماً أنها كانت فلسطينية !

والكتب اليهودية تصف دليلة بأنها كانت "عاهرة" وتدينها بكل قوة، فى نفس الوقت الذى تقدس فيه شخصية شمشون وتدفعه إلى مرتبة النبوة دون أن يؤثر فى ذلك عشقه «للعاهرات» ودون أن تتعارض «قداسته» المزعومة مع مجونه ولهوه وعلاقاته النسائية الآثمة !

ومع قبول الرأى القائل بأن دليلة كانت فلسطينية فإن وقوفها مع قومها الفلسطينيين فى مواجهة عدوهم الجبار شمشون كان عملاً وطنياً ولا يمكن ان يعد خيانة لأنه ببساطة يتفق مع انتمائها وهويتها الفلسطينية !

ورغم ذلك فان سيطرة المؤرخين اليهود والصهاينة على الفكر والتراث الانسانى فى العالم أدت إلى قلب الحقائق ومطالبة دليلة بأن تكون مخلصة لشمشون اليهودى وبأن تخون قومها وكأنها تحاول الزعم بأن كل خيانة مقبولة ما عدا خيانة اليهود وان خدمة اليهود والولاء لهم واجب على كل إنسان حتى لو تعارض مع وطنيته ومهما تناقض مع انتمائه الطبيعى ..

والسؤال الآن هو هل كانت دليلة حقاً ضحية من ضحايا التاريخ ؟

الإجابة ، بالقطع ، ليست سهلة الآن هناك آلاف من السنين مرت وفى كل يوم منها كان العالم يقرأ ويسمع الروايات اليهودية التى تدينها بكل قوة وتطلب من الجميع ان يلعنوها .. وربما يكون الأمل الوحيد لدليلة هو اعادة النظر فى الكثير من القصص والروايات التاريخية التى يعتبرها العالم الآن من المسلمات التى لا تقبل المناقشة ..

وهذه الخطوة مطلوبة بإلحاح ليس فقط من أجل الدفاع عن دليلة ، التى ربما كانت هى أول فدائية فى الصراع الفلسطينى اليهودى ، بل أيضاً من أجل تنقية الفكر والتراث الإنسانى من كل الأكاذيب والأساطير الخبيثة التى لا تستهدف ، فحسب ، تشويه تاريخ الإنسان وانما تسعى بمكر ودهاء للتحكم فى حاضره ومستقبله أيضاً .

زانتيب ..الزوجة المستبدة
أطول لسان فى التاريخ

رغم أنها تزوجت أعظم الفلاسفة إلا أنها اعتبرت نفسها تعيسة الحظ .. فقد كانت تفضل زوجاً تافهاً .. غبياً بشرط أن يغدق عليها الذهب والمال !!

لذلك ، إنطلق لسانها السليط يهين كرامة الرجل الذى إحترمه العالم فى كل العصور ..

أحكام التاريخ صارمة ، قاطعة وقاسية فى بعض الأحيان .. ورغم ان هذه الأحكام تكون فى الغالب نهائية إلا أنها قد تصدر دون سماع دفاع الشخصية التاريخية المتهمة بل وتكون الإدانة جاهزة حتى قبل أن تبدأ المحاكمة ..

وموقف التاريخ من «زانتيب» إمرأة الفيلسوف الإغريقى سقراط هو أوضح مثال على ذلك .فهى المرأة التى تحملت ملايين اللعنات طوال العشرين قرناً الماضية بسبب تهمة لم تثبت عليها بشكل حاسم ويقينى .. وهى المرأة التى اعتبرت نموذجاً للزوجة سليطة اللسان شرسة الطباع رغم أنها ، بلا شك ، لم تكن هى الزوجة الوحيدة فى التاريخ التى أساءت معاملة زوجها وحوّلت حياته إلى جحيم ..

وبصرف النظر عما إذا كانت «زانتيب» تستحق هذا الحكم التاريخى القاسى أم لا ، إلا أن

التهمة الموجهة إليها تحتاج للمراجعة .. والحكم الصادر بحقها يتطلب نوعاً من الاستئناف أو النقض رغم مرور أكثر من ألفى عام على صدوره ..

ولد سقراط فى أثينا عام ٤٦٩ قبل الميلاد ، وكان والده «سوفرو نيسكوس» مثّالاً يقوم بنحت التماثيل وأمه «فانياريت» تعمل قابلة فى عاصمة الإغريق .

وعندما بلغ سقراط الخمسين من عمره تزوج من "زانتيب" التى لم تذكر عنها كتب التاريخ الكثير واكتفت بوصفها بأنها كانت زوجة سليطة اللسان حادة الطبع شرسة السلوك وكانت هذه الصفات هى التى خلدتها وجعلتها بمثابة نموذج أسطورى للزوجة السيئة أو الشريك المخالف الذى يستحق لعنة كل الأجيال .

والسؤال الذى ظل العالم يبحث له عن إجابة منذ أكثر من ألفى سنة وحتى الآن هو هل كانت زانتيب بالفعل على هذه الدرجة من الشراسة وسوء الطبع ؟ وإذا كانت الإجابة بنعم فما هى الأسباب أو العوامل التى دفعت بها إلى هذه «الدرجة التاريخية» من سلاطة اللسان ؟

ان بداية البحث عن أجوبة لهذه التساؤلات يتعين أن تكون هى سقراط نفسه وذلك لأسباب موضوعية عديدة من أهمها ندرة المعلومات التاريخية عن «زانتيب» التى لم يعثر حتى على تمثال يوضح ملامحها ولم ترد تفاصيل عن علاقتها بزوجها الفيلسوف فيما كتبه أفلاطون عن استاذه سقراط وهو كثير .

كذلك كان دخول "زانتيب" التاريخ يرجع فى الأساس إلى زواجها من رجل عبقرى مثل سقراط ولا شك أنها لو كانت قد تزوجت من شخص آخر لما كتب لها هذا «الخلود المشين» ولما اعتبرت رمزاً للزوجة المستبدة ولاختفت شراستها وسط عدد لا يحصى من الزوجات ذوات الطبع الحاد اللائى لم يعرف عنهن التاريخ شيئاً ..

لم يعرف العالم الكثير عن المراحل الأولى من حياة سقراط وسيرته الذاتية . وكل ما تشير إليه المراجع التاريخية هو أنه التحق بالجيش الأثينى فى شبابه وأظهر شجاعة واقداماً خلال المعارك التى اشترك فيها .

كان سقراط قبيح الشكل ، جاحظ العينين، أفطس الأنف ، أصلع الرأس ، ضخم الوجه ، غليظ الشفتين ، كث اللحية .

ولقد عرف عن سقراط أنه كان دائماً يرتدى ثياباً رثة يقنع بثوب بسيط طوال العام ويؤثر ان

يسير حافى القدمين .

ولا يعرف أحد لماذا قبلت "زانتيب" الزواج من رجل بهذه الصفات وفى الخمسين من عمره، ولكن ما حدث هو أنها تزوجته لسبب أو لآخر وأنجبت منه ثلاثة أبناء ، لم يكن لأحد منهم شأن يذكر سوى أنهم أبناء سقراط .

وربما يكون ما جذب "زانتيب" لسقراط فى البداية هى ملامح شخصيته التى كانت على النقيض تماماً من ملامح وجهه .. كان سقراط نموذجاً لدماثة الخلق والتواضع والبساطة والهدوء. وكان عبقرياً من ذلك النوع الذى يشعر الآخرون بأنه أشد الناس جهلاً .. لم يكن يهتم بنقده وكان أبعد ما يكون عن القلق والتوتر .

وسقراط لم يعمل فى حياته قط ولم يلق بالا بالغد وما قد يحمله وكان ينسى حتى تناول الطعام ويأكل عندما يطلب منه تلاميذه ان يشرف موائدهم .

ومن الحقائق التاريخية المؤكدة ان سقراط أهمل زوجته وأولاده ولم يكن من ذلك النوع من الرجال الذى يبذل كل جهده لإسعاد أسرته حيث لم يكن يوفر لهم من الغذاء سوى الخبز . لذلك لم يكن يلقى استقبالاً حسناً فى بيته ، وكانت زوجته تتهمه بالكسل وترفض حياة الزهد التى كان يعيشها ويفرض على أسرته أيضاً أن تعانى منها .

ولو جاز لنا أن نتخيل ما كان يدور فى عقل «زانتيب» وهى ترى نساء أثينا يتزين بالحلى ويرتدين أفخر الثياب بينما هى وأولادها يعشن على الخبز والماء مع زوج وأب غارق فى الفلسفة لأدركنا حجم الاحباط الذى كان يعتمل فى نفسها ومدى سخطها على هذا الرجل الذى يشغل كل وقته بالبحث عن ماهية الكون وحقيقة الوجود ، تاركاً زوجته وأولاده يعانون من شظف العيش وقسوة الحرمان .

وربما كان هذا هو السبب فى أن "زانتيب" كانت دائماً تصف سقراط بأنه "زوج لا يصلح لأى شئ" وكانت تطارده فى كل وقت بكلماتها اللاذعة وشتائمها التى تحاول بها ان تستفزه وتحرك فيه مشاعر التحدى ، ولكن هيهات ان يستجيب سقراط لهذا الاستفزاز ، بل على العكس من ذلك كان رد فعله على سلاطة لسانها هادئاً بارداً وكأنه يريد أن «يصيبها بنقطة» على حد تعبير المرأة العصرية .

لقد كانت لدى سقراط قدرات هائلة وخارقة على الجلد والتحمل وضبط النفس ، لذلك فعندما كانت زوجته تهاجمه وتعيب عليه إهماله لأسرته وتندد بكسله وتسخر من القضايا التى

تشغل تفكيره كـان يعترف لها بعدالة شكواها ويتـقبل انتقاداتها بصدر رحب . وعندمـا كان لسان «زانتـيب» السليط يبدأ فى توجيه السباب والشـتائم لسـقراط كـان يواجه ذلك بالثناء علـى كرم أخلاقها وحسن اضطلاعها بشئون المنزل ورعايتها لأطفالها .

ورغم ان كتب الـتاريخ لم تذكر لنـا كيف ماتت «زانتـيب» إلا أننا نستطيع ان نـتوقع ذلك وان نقول باطمئنان أنها ماتت بمرض ضغط الدم أو الانهيار العصبى ! !

والأكثر من ذلك ، ان سقراط لم يكن سلبـياً تماماً فى مواجهة عصبيـة زوجته بل كان يلجأ إلى سلاح بالغ الخطورة ، ربما كان هو المسئول عن الصـاق تهمة الشراسة بـ «زانتيب» وهذا السلاح هو تلك السخرية اللاذعة التى اشتهر بها والتى تعرف "بالسخرية السقراطية" .

ومثال على ذلك تـلك المقولة التى أطلقهـا سقراط والتى سجل فيـها بعبقـرية رأيه فى زوجته وفى الزواج بوجـه عام عندمـا قال .. «تزوج يا بنى فـان وفقت فى زواجك عـشت سعـيداً وان لم توفق أصبحت فيلسـوفاً» .. وهكذا ، أعلن سقراط للعالم أجمع أنه لم يكن مـوفقاً فى زواجه وان هذا هو السبب فى أنه أصبح فيلسوفاً وليس العكس .

لقد كـان سقراط بارعـاً فى الجدل ، يرهق المفكرين ويـستدرجهم إلـى زاوية مظلمة من زوايا المـعبد ويجـادلهم حتـى يستسـلموا . وليس هناك شك فى ان هذه القـدرة على الحوار والنـقاش والجدل إلى ما لا نهاية كانت هى الميزة الكبرى التى ميزت سقراط عن معظم الأزواج وكانت هى أيضاً الجدار الذى اصطدمت به زوجته فى كل مرة حاولت فيها استغلال براعة المرأة التقليدية فى الحديث لكى تقهر هذا الزوج الصعب .

ورغم ما قيل من أن «زانتيب» كانت إمرأة ثرثارة محـبة للثرثرة إلا أنها ربما كانت هى الزوجة الوحيـدة فى التاريخ التى سـئمت الكلام والجـدل مع زوجهـا ليس كرهاً فى الحـديث معـه وانما تجنباً لهزيمتها المتوقعـة فى أى حوار منطقى . ومن الطبيعى فى ضوء ذلك أن تلجأ "زانتيب" إلى الشتائم والسـباب والكلمات العصبيـة المتوترة حتى تخرج بحوارها مع سـقراط من دائرة الجدل المنطقى والنقاش الموضوعى التى تأكدت أنها لا يمكن ان تباريه فيها .

ورغم ان أفلاطون سجل محـاورات استاذه سقراط كلها إلا أنه بكل أسف لم يسـجل شيئاً من مـحاوراته مع «زانتـيب» والتى كانت ستلقى الضـوء على طبيـعة هذه العـلاقة الزوجـية الفـريدة وتكشف الكثير من ملامح هذا الزواج الذى دخل التاريخ من أغرب أبوابه .

ويقول "ول ديورانت" فى كـتابه الرائع «قصة الـفلسفة» ان زوجة سـقراط أحبتـه بكل قوة رغم

انتقاداتها المريرة له والدليل على ذلك هو حزنها الشديد عندما صدر ضده حكم بالإعدام رغم أنه كان فى السبعين من عمره والرأى العام يقف ضده وتخلى عنه معظم أصدقائه .

ولم يقدم «ول ديورانت» تفسيراً لهذا الحب الذى أشار إليه من جانب «زانتيب» لزوجها سقراط وهو الحب الذى لم يشعر به سقراط نفسه بدليل ربطه الشهير بين حب الفلسفة والفشل فى الزواج .

ورغم ذلك ، فربما كانت «زانتيب» قد أحبت فى أعماقها هذا الرجل العبقرى وبهرها فكره الثاقب وقدرته الهائلة على تحمل قسوة الحياة وترفعه عن الملذات بهذا الشكل الأسطورى .

وربما تكون «زانتيب» قد أدركت بغريزة المرأة ان التاريخ لن يغفر لها ان كرهت سقراط . فقد كان من الواضح أن سقراط يشبه «البطل الدرامى» الذى يتعاطف معه الناس مهما فعل وينسون كل أخطائه أو يغفرونها له ولكنهم أبداً لا يغفرون لخصومه ويضعونهم دائماً على قائمة الأشرار .

ومع كل الذى قيل عن معاملة «زانتيب» السيئة لزوجها الفيلسوف إلا أنه لا يوجد أى دليل تاريخى يؤكد هذه التهمة التى التصقت بإمرأة سقراط .. «دائرة المعارف البريطانية».

ويبدو من المؤكد ان الفارق الفكرى والثقافى بين سقراط وزوجته كان بمثابة الهوة التى تفصل بينهما وتحول دون تقاربهما بشكل طبيعى .. فرجل مثل سقراط كان بلا شك يحتاج لزوجة من طراز نادر تكون مستعدة للإيمان بأفكاره والاقتناع باهتماماته البعيدة كل البعد عن مطالب الحياة اليومية والتطلعات الطبيعية لأى زوجة تنشد الراحة والرفاهية لها ولأولادها .

لقد كان سقراط هاوياً للحكمة وليس محترفاً لها وكان يقول "أننى لا أعرف سوى شئ واحد هو - أننى لا أعرف أى شئ" ..

خليط رائع من التواضع والكبرياء .. والعبقرية والغباء .. والحكمة والسذاجة .. هكذا كان سقراط .. وهكذا كانت مشكلة «زانتيب» ان تتعامل مع زوج يجمع فى شخصيته مميزات كل الرجال وعيوب كل الأزواج .

ولقد كان سقراط هو أول مثلث العظماء فى تاريخ الإغريق وهو مثلث سقراط - أفلاطون - أرسطو . وهو المفكر الذى وضع أساس الثقافة الأوروبية ونزل بالفلسفة من السماء إلى الأرض.

ومن أغرب الحقائق التاريخية أن سقراط لم يكتب شيئاً وقد عرفنا منهجه الحوارى من خلال تلميذه أفلاطون . وكان دائماً يقول أنه يشبه أمه فى جانب هام للغاية . فقد كانت الأم تعمل قابلة ،

يولد على يديها الأطفال وكـان هو أيضاً متخصصاً فى هذا المـجال ولكن الأفكار هى التى كانت تولد على يديه وليس الأطفال .

وعندمـا شرب سـقراط السم تنفـيذاً لحكم الإعـدام انفجـر تلاميـذه فى البكاء وتعالـى صراخ وعويل بعضهم فرفع سقراط رأسه بصعوبة وقال لهم :

ما هذا الصخب .. ؟ لقد أبعدت النساء عن هنا ورفـضت أن تحضر زوجتى لحظة موتى حتى لا أشعر بالإهانة من مثل هذه الطريقة .. أهدأوا واصبروا ..

ولفظ سقراط أنفاسه الأخيرة وترك زوجته «زانتيب» تواجه حكم التاريخ عليها بسلاطة اللسان وسوء الأدب وحـدة الطبع . فهل كان سـقراط يتحـمل كل ما فعـلته زوجتـه وهو على ثقة من أن التاريخ سـينتقم له منهـا أم أنه لم يكن يتوقـع أن يحكم التاريخ بمـثل هذه القسوة علـى «زانتيب» وكل ما هناك أنه نسى أن يدافع عنها ويعلن براءتها قبل موته ؟

وفى كل الأحوال ، هناك حقيقة واحدة هى أن «زانتيب» دفعت ثمن الأخطاء التى ارتكبتها فى حق سقراط أو ثمن زواجها من فيلسوف عـبقرى ينسى الطعام والشراب والكساء وينسى أيضاً أن يدافع عن زوجته ضد جريمة ربما كانت بريئة منها ..

ليفا .. المرأة الذئبة
روّعت الإمبراطورية الرومانية

وصف أغسطس قيصر جمالها بأنه من نوع مختلف .. ورغم أنها كانت متزوجة إلا أنها ارتبطت بعلاقة غرامية مع قيصر .. وبعد فترة انقلبت عليه وقررت أن تدمره حتى ولو أدى ذلك إلى إنهيار الإمبراطورية الرومانية

قد يكون الطموح حقاً من حقوق المرأة .. وقد يكون السعى للسلطة والنفوذ هدفاً مشروعاً لها.. ولكن ، عندما يتحول الطموح إلى رغبة محمومة فى الحصول على كل شئ .. وعندما يصبح الطريق للنفوذ مفروشاً بجثث الضحايا ، ودماء الأبرياء . هنا تتحول لعبة المرأة والطموح إلى كارثة قادرة على هدم الإمبراطوريات والإطاحة بالعروش ..

وهذه بالتحديد قصة «ليفا» إمبراطورة روما أو المرأة الذئبة التى عشقت السلطة وأدمنت النفوذ وكانت كالإعصار الرهيب الذى اجتاح فى طريقه كل شئ . عاشت ليفا ثمانين عاماً مارست خلالها القتل والمكر والخداع ، ومارست كل أشكال الصراع حتى ضد أزواجها وأبنائها .. وعندما رحلت عن العالم لم يذرف أحد دمعة عليها بل شيعوها بالسخط . كانت ليفا واحدة من أشد النساء طموحاً فى التاريخ الإنسانى .. أصدق الأوصاف التى أطلقت عليها كان هو أنها «ذئبة الإمبراطورية الرومانية» فقد كانت زوجة لأغسطس قيصر العظيم الذى كان مديناً لها بالكثير من

عظمـته، ولكن عـشقـها الجنـونى للسلطة والنفوذ دفـع بها إلى ارتكاب أبشع الأعـمال ولدرجـة جعلتها تستحق الانفراد بأشد اللحظات سواداً وظلاماً فى كتاب التاريخ ..

كـانت أسرة لـيفـا من أغنى وأعـرق الأسـر فى روما القـديمـة ، أما جـمـالهـا فكان من النوع الأسطورى الذى يعجز أشد الرجال تمسكاً بالفضـيلة عن مقاومته، وبجانب ذلك كانت على قدر هائل من الذكاء، أتاح لها توظيف هذا الجمال واستغلاله لخدمة طموحاتها الجنونية ..

عشيقة قيصر

تزوجت ليفا وهى فى صدر شبـابها وقمة جمالها من القائد الرومـانى تيبريوس نيرون وعندما شاهدها قيـصر فتنه سحرها وسـقط أسيراً لحبها .. كـان قيصر فى ذلك الحين فى عنفـوان مجده وقوته وحتـى مظهره كان نموذجـاً حياً للكبرياء الرومـانى بشعره الأشقـر وأنفه المرتفعـة وجسده القوى وعينيه اللامعتين .. ورغم شراسة قيصر وقسوته فى ساحات المعارك وميادين القتال إلا أنه كان عاشقاً من طراز فـريد ، لديه كل القدرة على اختيار المرأة التى تستحق أن تكون مـعشوقته .. وبمجرد أن رأى أغسطس قيصر بعينيه جـمال ليفا ، أدرك أنها نوع مختلف من النساء وأن الفارق كبـير بينها وبين زوجـته "سكريبـوينا" التى تزوجها لأسـباب لا علاقـة لها بالعـشق والهوى والتى كانت نـموذجاً للكآبـة والملل والنفور .. أمـا ليفا، فـقد التـقطت طرف الخيط الآخـر منذ الوهلة الأولى . وقدرت ألا تتـركه مـهمـا حدث ، وعلى الفـور بعثت برسالـة من عينيهـا وشفـتيـها إلى أغسطس قـيصر بأنهـا تبادله حبـاً بحب.. ورويداً رويداً ، بدأت العلاقـة تنمو بين ليفـا وأغسطس قـيصر ، لـدرجة أنهـا عندمـا حـملت فى طفل مـن زوجهـا نيـرون ترددت الأقـاويل فى أنحـاء الإمبـراطورية الرومانية تؤكـد أن الطفل ابن أغسطس قيـصر .. لم يكن قيـصر من ذلك النوع من العشاق الذى يمكن أن يتراجع أمـام أية ضغوط أو أفكار ، بل كانت مثل هذه الضغوط تسـتفز فيه نزعة الهـجوم .. لذلك كان قراره النهـائى هو ان تكون ليفا له وحـده وان يخرج زوجها تمـاماً من الميدان .. ولكن لسوء الحظ كان نيرون عدواً لدودا لأغسطس قـيصر .. ولهذا السبب قرر قيصر ان يمسك بالثور من قرنيه وان يتجه إلى هدفه من أقصر طريق ، فطلب من تيبروس نيرون أن يترك له زوجته ، وكان حريصاً على ألا يتـرك لديه أى شك فيما يمكن أن يحدث إذا رفض هذا الطلب .. ووسط هذا الموقف الدرامى الخطيـر ، كانت ليفا قد اتخذت قـرارها بالفعل بأن تكون للرجل الذى يستطـيع أن يخدم طموحـاتها بشكل أفـضل ، ولم يكن هناك أى شك فى أن هذا الرجل هو قيصر .

وقرر أغسطس قيصر أن يتشاور مع مجلس الكهنة، متظاهراً بأنه يرغب فى معرفة إمكانية زواجه من سيدة لديها طفل من رجل آخر . وتوصل المجلس إلى حق قيصر فى الزواج من هذه المرأة ..

ولم يجد زوج ليفا أى مهرب من رغبة قيصر ، فأضطر للتخلى عن زوجته التى تم زفافها لقيصر الذى بلغ جبروته هو وليفا إلى حد اختيار تريبروس نيرون الزوج السابق ضيفاً للشرف فى حفل الزفاف !!

بعد ثلاثة شهور من الزواج وضعت ليفا طفلاً أطلقت عليه اسم دروسوس وأرسل أغسطس قيصر بالطفل إلى نيرون بحجة أنه يجب أن يتربى فى أحضان والده .. وقد أثار ذلك سخرية العامة فى روما الذين كانوا يؤكدون أن قيصر هو الأب الحقيقى للطفل .

وقد اندلعت معركتان تاريخيتان فى ذلك الحين مما أدى إلى ابتعاد قيصر عن ليفا .. كانت المعركة الأولى هى الموقعة التى هزم فيها قيصر الجنرال الرومانى العظيم بومبى والتى وصفت بأنها من أشد المعارك دموية فى التاريخ ، أما الموقعة الثانية ، فكانت هى موقعة أكتيوم التى خاضها قيصر للقضاء على مارك انطونيو والتى انتحرت كليوباترا بعدها مفضلة الموت على أن تساق إلى روما ذليلة كسيرة ..

وعاد قيصر إلى روما محاطاً بأكليل النصر والغار ، بعد أن بلغ ذروة المجد الذى نالت ليفا منه قدراً هائلاً .. فقد بنيت مدينة خصيصا تكريماً لها وأطلق على هذه المدينة اسم ليفادا وحصلت على أعظم الألقاب وتنافس الشعراء فى إبداع القصائد الشعرية التى تمجدها وتتغزل فى جمالها وبنيت المعابد التى تحمل اسمها . وأصبح أغسطس قيصر لا يتردد فى تلبية كل ما تطلبه زوجته ليفا التى تعاظم نفوذها ليتجاوز حتى نفوذ قيصر ذاته .

مشاعر كاذبة

ورغم أن ليفيا أغدقت على قيصر بكل ما تملكه من سحر وجاذبية ، إلا أ نها كانت تفتعل هذه المشاعر الرقيقة وتقدمها بالشكل الذى يخدم مصالحها فى النهاية دون أن يدرك قيصر ذلك ، وعندما بدأ يتنبه إلى عدم الصدق والافتعال فى سلوكيات ليفا كان ذلك بعد فوات الأوان .

كانت ليفا حريصة للغاية على اكتساب شعبية تفوق حتى شعبية قيصر .. فذات يوم تم القبض على عدد من الشباب الرومان وهم يمارسون الرياضة قرب قصرها وهم شبه عرايا .. وصدر

حكم بإعدام هؤلاء الشبان ، ولكنها أصدرت أمراً بالعفو عنهم ، وقالت أن الرجل المجرد من ملابسه لا يثير لدى إمرأة فاضلة مثلها أى مشاعر تتجاوز تلك التى يثيرها تمثال جميل..

كان لدى ليفا ولدان .. الأول هو تيبروس من زوجها السابق والثانى هو درسوس الذى ترددت الأقاويل حول والده الحقيقى .. ودخل الولدان طور الرجولة فعملت على أن يتولى كل منهما منصباً كبيراً فى الجيش الرومانى وأن تنسب إليه الانتصارات الكبرى .

كان الابن الأكبر تيبروس قاسياً مغروراً فاسقاً ومدمناً لكل المتع والملذات اللا أخلاقية .

وكان رأى قيصر هو أن وصول تيبروس إلى قمة السلطة فى روما سيحولها إلى إمبراطورية للبؤس والمعاناة ..

وعلى الناحية الأخرى كان الابن الثانى دروسوس نموذجاً مختلفاً بل كان هو النقيض تماماً. فقد كان درسوس هادئاً رقيقاً . وكان قيصر يتمنى أن يصبح هو خليفته على عرش روما ولكن شيئاً واحداً منعه من تنفيذ هذه الأمنية وهو ان اختيار درسوس إمبراطوراً بعد أغسطس قيصر كان سيؤكد الشائعات التى تتردد حول إنه ابن قيصر أنجبه فى الحرام من ليفا أثناء زواجها السابق .

وهكذا ، استقر قيصر على اختيار ابن أخيه الأمير مارسيلوس ليخلفه على عرش الإمبراطورية الرومانية . ورغم أن مارسيلوس كان قائداً بارزا فى جيش روما ويتسم بصفات نبيلة إلا أن ليفا كان لها رأى آخر . فقد كانت مصرة على أن يكون عرش روما من نصيب ابنها تيبروس وقررت ان تمهد له الطريق إلى العرش حتى ولو فرشته برؤوس الضحايا .. وبعد فترة قصيرة من اختيار قيصر للأمير مارسيلوس كخليفة له على العرش ، قتل الأمير فى مؤامرة دبرتها ليفا .. وكانت هذه هى الضربة الأولى التى وجهتها هذه المرأة عاشقة الطموح والتى لم يكن بوسع أى شئ أن يقف فى مواجهة عبادتها الشيطانية للسلطة والنفوذ .

ضربة قاسية

لكن القدر كان لها بالمرصاد ، وأعاد لها ضربة قاسية عقاباً على المؤامرة التى دبرتها لقتل الأمير مارسيلوس . فقد قتل ابنها درسوس أثناء عودته من إحدى المعارك الحربية إلى روما .

وكان حزن ليفيا على مصرع ابنها عظيماً ، لدرجة أن أغسطس قيصر أرسل إليها بأعظم فلاسفة الرومان لمواساتها ومساندتها على نسيان هذه الكارثة التى ألمت بها ، ورغم هذه المحنة التى كانت كفيلة بانتزاع جذور الشر من أشد القلوب قسوة ، إلا أن ليفا خرجت منها وهى أكثر

إصراراً على أن يكون عرش روما من نصيب ابنها الوحيد المتبقى على قيد الحياة وهو تبيريوس .

وضاعفت ليفا من جهودها وضغوطها ومؤامراتها من أجل تحقيق هذا الهدف . وقد علمتها التجربة أن الطريق لتولى ابنها العرش الرومانى لابد وان يمر بقيصر فكثفت محاولاتها للسيطرة عليه وهى تدرك أنه لم يعد هناك من ينافس ابنها على عرش الإمبراطورية الرومانية.

وبينما كان قيصر خاضعاً تماماً لتأثير ليفا . اتخذ قراراً بأن تتزوج ابنته جوليا وهى أرملة الأمير مارسيليوس ولى العهد القتيل من قائد يدعى أجريبا .. وأنجبت جوليا ابنة قيصر طفلين هما جايوس ولوشيوس وأصبح من حق هذين الولدين تولى العرش بعد جدهما أغسطس قيصر . وتزايدت العقبات والعراقيل التى تسد الطريق أمام تحقيق حلم ليفا فى أن يصل ابنها تبيريوس إلى العرش ، وبدهاء يندر أن يتكرر فى التاريخ أخفت ليفا حلمها المدمر وأظهرت أمام الجميع أنها استسلمت لمشيئة القدر ولرغبة زوجها أغسطس قيصر .. ولكن بمرور السنين أصبح قيصر كبيراً فى السن، وأدركت الزوجة الداهية أن إمبراطور روما لم يعد قادراً على مواجهة أطماعها وطموحاتها، فبدأت الحياة تدب مرة أخرى فى حلمها القديم وأخذت تعد العدة للقضاء على أى عقبة تعرقل إمكانية وصول ابنها تيبريوس إلى عرش روما

خطة ماكرة

وأعدت ليفا خطتها الماكرة التى لم تكن تتضمن أى شكل من أشكال العنف، بل كانت ناعمة كأفعى تسلل فى الليل .

كان الإمبراطور أغسطس قيصر قد أصبح خاضعاً لسيطرة ليفا الكاملة ولدرجة جعلتها هى الحاكم الفعلى لروما الذى لا يستطيع أى شخص عصيان أوامره .

وذات يوم روعت روما بنبأ مصرع حفيدى قيصر ووريثى عرشه .. الأول وهو الأمير جايوس قتل فى حادث مأساوى مفاجئ أثناء عودته من إحدى المعارك ، والثانى الأمير لوشيوش الذى قتل أيضاً فى ظروف متشابهة فى مرسيليا .

وأحس قيصر العجوز بأن سلالته يتم القضاء عليها بحيث لا يترك فى الدنيا أثراً أو ذرية بعد رحيله عنها ..

وقرر قيصر أن يتبنى أصغر أحفاده وكان يدعى أجريبا وهو ابن ابنته كما تبنى أيضاً تيبريوس ابن زوجته ليفيا .

وقد أدت هذه الخطوة إلى تقسيم الإمبراطورية الرومانية بين حفيده وبين زوجته . وتصور قيصر أن هذه الخطوة يمكن أن تسعد ليفا وترضى طموحاتها حيث تتيح لابنها الفرصة لوراثة نصف الإمبراطورية ولكن ليفا لم تكن المرأة التى تقبل أنصاف الحلول أو بالتنازل عن جزء من طموحاتها ، ولذلك شعرت بالاستياء الشديد لما فعله أغسطس قيصر لذلك كان قرارها الحاسم هو ضرورة التخلص من أجريبا حفيد قيصر حتى يرث ابنها تيبريوس الحكم وحده ..

وتفتق ذهن المرأة الشريرة إلى وسيلة مختلفة للقضاء على أجريبا حفيد قيصر وشريك ابنها فى عرش الإمبراطورية بعد رحيل زوجها . وكانت خطة ليفا ببساطة هى الوقيعة بين الجد والحفيد .. وأخذت تختلق الأفعال والتصرفات الشريرة وتنسبها زوراً وبهتاناً لحفيد قيصر ثم تنقلها .. للإمبراطور العجوز الذى كان خاضعاً لسيطرتها تماماً .. واستمر فحيح الأفعى فى أذنى قيصر على حفيده وأصدر أمراً بنفى الحفيد أجريبا إلى جزيرة بلاناسيا ..

كان هناك اجماع فى روما على أن قرار قيصر بنفى حفيده هو قرار ظالم لا مبرر له، وأكد الجميع أن ليفا الشريرة هى التى دبرت هذه المؤامرة ضد الأمير أجريبا الذى لم يفعل شيئاً يبرر هذا الحكم القاسى الذى أصدره قيصر ضده بالنفى فى جزيرة بعيدة .

ولم يكن هناك إنسان فى روما يشك للحظة واحدة فى أن الجريمة التى ارتكبها أجريبا كانت فقط هى أنه سيرث نصف عرش الإمبراطورية الرومانية ويشارك ابن ليفا فى حكم هذه الإمبراطورية بعد رحيل قيصر .

ورغم ذلك نفذ أجريبا الحكم الظالم الذى أصدره جده قيصر ، وعاش فى منفاه دون أى بادرة إعتراض أو احتجاج . وبعد فترة بدأ الإمبراطور أغسطس قيصر يتحدث إلى جنرالاته ومساعده عن اللعنة التى حلت عليه وعلى ذريته الذين قتلوا واحداً بعد الآخر .. وأخذ قيصر يفكر فى الظروف التى أحاطت بمصرع كل من اختاره لوراثة العرش ما عدا تيبريوس ابن زوجته ليفا التى بدأت الشكوك تساوره بشأنها، خاصة بالنسبة لتورطها فى قتل أفراد أسرته واحداً بعد الآخر .

هكذا لم يعد بأمر زيارة قيصر لحفيده أجريبا فى منفاه بجزيرة بلاناسيا، ولكن حدث ما لم يكن فى الحسبان فقد أبلغ ما كسيموس زوجته بأن قيصر سيذهب لزيارة حفيده فى منفاه وقامت الزوجة بدورها بإبلاغ ليفا !!

وأشتعل غضب زوجة الإمبراطور لأن قيصر يعزم اتخاذ خطوة دون التشاور معها بل وكان حريصاً على إخفاء الأمر عنها .

قرار رهيب

ودون أى تردد اتخذت ليفا قرارها المروع الرهيب وهو قتل الإمبراطور أغسطس قيصر وحفيده أجريبا فى نفس الوقت .

وتركت ليفا قيصر يقوم بزيارته لحفيده، وعند عودته لم تنجح كل محاولاتها فى إخفاء مشاعر الكراهية لزوجها الإمبراطور .. ورغم ما أبدته من رقة مفتعلة ومشاعر حب كاذبة تجاه قيصر إلا أن عيناها كانتا تنطقان بالخداع .

وذات يوم . .كان قيصر وزوجته فى القصر الإمبراطورى بمدينة «نولا» ودخل قيصر للحصول على قسط من الراحة فى نفس الغرفة التى مات فيها والده الإمبراطورأوكتافيوس .. وأحضرت له ليفا طبقاً من فاكهة التين وتناوله قيصر بسعادة وأخذ يلتهم واحدة وراء الأخرى دون أن يدرى أن ليفا دست له السم الزعاف فى الفاكهة ..

وسرعان ما أحس قيصر بالألم يمزق أحشاءه، ولكنه لم يتصور أبداً أن تكون زوجته قد وضعت له السم فى الطعام وأخذ يصف لها الآلم الذى يشعر به .. ولكنه فى لحظة ما نظر إلى عينيها ورأى فيهما كل ما عجز عن رؤيته طوال سنوات زواجه منها .. المكر والخديعة .. والحقد والتآمر .. فى تلك اللحظة ظهر على وجه قيصر تعبير لم يسبق أن عرفه إمبراطور روما العظيم الذى خاض مئات المعارك .. وكان هذا التعبير هو الخوف بعد أن أدرك أن حقد إمرأة أخطر من عشرات السيوف والرماح المسمومة ..

وأغلق أغسطس قيصر عينيه دون أن يقدر على نطق آخر كلمة كان يحاول أن يقولها قبل رحيله ليلعن بها هذه الزوجة الآثمة القاتلة .

احتفظت ليفا بخبر وفاة قيصر سراً لأن ابنها تيبريوس كان خارج روما وأرسلت تستعجله فى العودة وبمجرد عودة تيبريوس أعلنت وفاة أغسطس قيصر وتولى تيبريوس عرش الإمبراطورية الرومانية .

وقالت ليفا أن الإمبراطور الراحل أغسطس قيصر أوصاها قبل وفاته بإعدام حفيده أجريبا . وبالفعل أرسلت فرقة إعدام من روما قامت بقتل الأمير أجريبا فى منفاه بجزيرة بالاناسيا .. وأضافت ليفا بذلك جريمة جديدة لسجلها الإجرامى الذى لم يعرف له التاريخ مثيلاً ..

خطر الأم

أصبح الرومان يخشون ليفا بشدة وأطلقوا عليها لقب «المرأة الذئبة» ولكنهم استمروا فى تمجيدها وتعظيمها بشتى الوسائل خوفاً منها. والواقع أن ليفيا لم تكن تريد أكثر من ذلك ، فقد أصبح ابنها هو الإمبراطور وأصبحت الإمبراطورية كلها تحت قدميها .. وكلمتها هى الكلمة الأولى والأخيرة . الجميع يخشونها ولا يجرؤ أحد على معارضتها .. شخص واحد فقط لم تفكر ليفا فى إمكانية أن يشكل خطراً عليها .. وكان هذا الشخص هو ابنها الإمبراطور الجديد تيبريوس الذى ورث عن أمه كل صفاتها الشريرة ..

فبعد فترة من توليه العرش ، أحس الإمبراطور تيبريوس بالغيرة من النفوذ الواسع الذى تحظى به والدته .. واعتبر أن هذا النفوذ يقلص سلطانه ويضعف قدرته على الحكم .

وبدأ تيبريوس يحد من نفوذ وسلطات أمه ويخفض عدد الحراس المحيطين بها، وأخذ يقلل من شأنها فى كل مناسبة، لدرجة جعلتها تستفزه وتذكره بأنه مدين لها بعرش روما الذى يجلس عليه. ورغم نكران الجميل من جانب تيبريوس إزاء أمه إلا أن ليفا لم تتوقف عن دعمه ومساندته، ليس لأنه ابنها بل لأنها كانت على ثقة من أن سقوطه سيؤدى إلى سقوطها وأن شعب روما سيمزقها إذا حانت له الفرصة للانتقام من الجرائم التى ارتكبتها .

هكذا قامت ليفيا بإعدام كل من تبقى من أفراد أسرة زوجها الإمبراطور الراحل أغسطس قيصر حتى لا يفكر أحد منهم فى منازعة ابنها على العرش .

ومرة ثانية لم تستطع أوليفا أن تتنبه لمصدر الخطر، وكان هذه المرة متمثلاً فى الأمير جيرمانيكوس حفيدها من ابنها دروسوس الذى انجبه قبل وفاته .. وكان هذا الأمير الصغير شجاعاً كوالده لدرجة أن عمه الإمبراطور تيبريوس كان يغار منه، وكان الأمير جيرمانيكوس يحظى بشعبية كبيرة بين الرومان نظراً للانتصارات العديدة التى حققها فى معارك الجيش الرومانى.

وبدأت ليفا تستشعر خطورة حفيدها، فلم تتردد فى إصدار أوامرها بقتله بالسم فى سوريا حيث كان قائداً للحامية الرومانية هناك .

وبعد التخلص من الأمير جيرمانيكوس اشتعل الصراع بين الذئبة ليفا وابنها الإمبراطور تيبريوس الذى كان يكره بشدة عشق أمه الجنونى للسلطة والنفوذ .

وكان تيبريوس يشع أيضاً بالإستياء الشديد للبذخ الذى أحاطت ليفا نفسها به والذى كان يتجاوز حتى حدود البذخ الذى يعيشه الإمبراطور .

وبدأ تيبريوس يتصدى لأطماع أمه، فأصدر أوامره بعدم وضع اسمها قبل اسم قيصر على النصب التذكارى لأباطرة روما . وواجهت الأم ابنها بكل قسوة وهددته بأنها يمكن أن تسقطه من العرش لو فكر فى تحدى سلطاتها .. ولم يجد تيبريوس حلاً سوى أن ينتقل إلى مقره فى كابرى ويترك لها روما لتعيش فى قصره تستمتع بكل السلطة والنفوذ حتى بلغت الثمانين من العمر ولفظت أنفاسها الأخيرة ..

وعندما أبلغ تيبريوس فى كابرى بوفاة والدته، رفض أن يذهب إلى روما بحجة تدهور حالته الصحية ..

ودفنت ليفا بجانب زوجها الإمبراطور أغسطس قيصر وأشرف على جنازتها حفيدها كاليجولا ..

وقد حاول مجلس الشيوخ فى روما أن يصدر قراراً باعتبار ليفا إحدى الآلهة الرومانية إلا أن ابنها تيبيريوس رفض ذلك بشدة وقال أنها لم تكن لتوافق على ذلك ..

ومما لا شك فيه أن ليفا تململت فى قبرها بسبب رفض ابنها اعتبارها من الآلهة وهى التى حاولت طوال حياتها الآثمة الوصول إلى الحد الأقصى للمجد والطموح ..

ليدى أليس
سيدة السحر الأسود

وصف المؤرخون بيتها بأنه قصر الرعب أو وكر الشيطان .. وقالوا أنها كانت من أخطر النساء فى التاريخ وأنها تستخدم خادماً من الجن ارتبطت معه بعلاقة جنسية وكان ينفذ لها كل أوامرها ويقتل أى شخص تشير إليه بأصابعها لكى يختفى على الفور من عالم الأحياء .

هناك ارتباط وثيق بين المرأة وممارسة السحر الأسود .. لذلك يعتقد الكثيرون فى وجود علاقة بين المرأة وعالم السحر الغامض وخاصة ذلك النوع الشرير الذى يصيب الآخرين بلعنته ويسبب لهم الألم والعذاب .

ويقول هؤلاء : أن أخطر السحرة وأكثرهم شراً كانوا من النساء حين شهدت أوربا فى مرحلة معينة من تاريخها حملة شرسة لمطاردة الساحرات وإعدامهن حرقاً للتخلص من شرورهن .. ورغم أن هذه الحملة أسفرت عن سقوط ضحايا بريئات ، بتهمة ممارسة السحر الأسود ، إلا أنها قضت بالفعل على مجموعة من أخطر النساء اللاتى تحالفن مع الشيطان ومارسن طقوس السحر الأسود ، بل وارتكبن أبشع الجرائم باستخدام تلك الطقوس الرهيبة الغامضة .

فى صفحات كتاب التاريخ التى تتناول أهم وأخطر أحداث القرن الرابع عشر ، تحتل قصة

هذه المرأة مكاناً بارزاً ومخيفاً أيضاً .. كانت إمرأة جميلة .. ثرية .. ذات نفوذ هائل وتنتمى لطبقة النبلاء والأرستقراط .. عاشت فى مدينة كلكنى بايرلندا ، حيث تزوجت من ثلاثة رجال ماتوا واحداً بعد الآخر، وفى عام ١٣٢٤ ، كادت تفقد زوجها الرابع أيضاً لولا الصدفة التى كشفت النقاب عنها كواحدة من أخطر النساء فى التاريخ .

اسمها الليدى أليس كيتلر .. ولم تكن محبوبة من جيرانها، ربما بسبب ثروتها الطائلة التى أثارت غيرة الكثيرين منها ، وربما أيضاً بسبب أسلوبها المتكبر والمتغطرس ، وذلك الغموض المخيف الذى كان يحيط بها ، وسلوكها الغريب الذى كان يثير الرجفة فى أوصال كل من يراها أو يقترب منها .

كانت هناك شائعات كثيرة حول تورط الليدى «أليس» فى ممارسة السحر والشعوذة وعبادة الشيطان ، ورغم عدم وجود أى دليل مادي يؤكد هذه الشائعات ، إلا أن الجميع صدقوها .. وأصبح القصر الذى تعيش فيه الليدى أليس يعرف باسم بيت الرعب أو قصر الشيطان ولم تهتم السيدة الأرستقراطية بالرد على هذه الشائعات أو نفيها ، بل كانت على العكس من ذلك تستمتع بمناخ الرهبة الذى يحيط بها ونظرات الخوف فى عيون الآخرين عند لقائها . كان زوجها الأول رجل بنوك ومرابياً يدعى «ويليام أوبتلو» وقد توفى بعد زواجه منها بسنوات قليلة ، وتزوجت بعده من ثرى آخر يدعى «آدم لوبلوند» ولكنه توفى أيضاً وكان الزوج الثالث يدعى «ريتشارد دى فال» الذى لقى نفس مصير سابقيه .

وكان اثنان من أزواج الليدى أليس لديهم أبناء من زواج سابق، ولكن هؤلاء الأبناء حرموا من الميراث الذى ذهب بالكامل إلى الليدى أليس .. وثارت الشكوك حول حصول هذه المرأة الغامضة على كل ثروات أزواجها الثلاثة بعد وفاتهم، ولكن لم يكن هناك أى دليل يدعم هذه الشكوك .

الزوج الرابع

وكان الزوج الرابع لليدى أليس يدعى «سيرجون أو بوير» الذى عرف بثرائه الفاحش .. ولكنه بعد سنوات قليلة من زواجه منها ، أصيب بمرض غامض جعل شعر رأسه يتساقط، وفقد أظافر اليدين والقدمين، وتحول لون جلده إلى السواد، ليصبح مسخاً آدمياً بشعاً .

وهنا ، تذكر الكثيرون أن أزواج ليدى أليس الثلاثة السابقين ماتوا بنفس المرض الغريب الذى

حار فيه الأطباء، والتقى أبناء الأشخاص الأربعة الذين تزوجوا من ليدى آليس، ليبحثوا سر وفاة الأزواج الثلاثة بهذا المرض الذى أصاب أيضاً الزوج الرابع، خاصة وأن هذا المرض لم يكن معروفاً، واقتصر ضحاياه على أزواج هذه السيدة فقط، لدرجة جعلت البعض يطلقون عليه اسم (مرض الليدى أليس) !

ورغم ذلك ، كان الزوج الرابع المريض السيرجون لوبوير يحب أليس بشدة، ورفض تصديق الشائعات التى ترددت حول مسئوليتها عن إصابة أزواجها بهذا المرض الغامض القاتل .

لكن ذات يوم ، أعترفت له إحدى الخادمات بأن زوجته تقوم بممارسات غريبة، وأنها قد تكون مسئولة عن وفاة أزواجها الثلاثة السابقين، واصابته هو نفسه بهذا المرض . وهنا قرر الزوج المريض أن يتحرك ليتأكد بنفسه من الحقيقة ، فطلب من زوجته أن تعطيه مفتاح غرفتها، ولكنها رفضت، فهجم عليها ، ودارت بينهما معركة شرسة انتهت بانتزاعه المفتاح من الحزام الذى كانت ترتديه حول وسطها، وانطلق الزوج الذى شوهه المرض فى جنون نحو غرفة زوجته، وبدأ البحث داخل عدة صناديق تحتفظ فيها بحاجياتها ويالهول ما وجد .

أدوات السحر الأسود

عثر السيرجون لوبوير على أشياء شديدة الغرابة ، مثل جمجمة ميت ، وشعر آدمى ملوث بالدماء ، وأظافر بشرية ، ورؤوس طيور وحيوانات ، فى حالة تعفن، وبعض الزجاجات المليئة بالدماء !! وهنا تأكد الزوج أن الليدى أليس السيدة الجميلة الأرستقراطية التى تزوجها ساحرة مرتبطة بالعالم السفلى، خاصة بعد أن وجد قطعاً من الخبز المقدس الذى يقدمونه فى الكنائس وقد حفر عليها اسم الشيطان .

ولم يتردد الزوج فجمع كل هذه الأشياء الغريبة والمخيفة، وأرسلها إلى أحد الأساقفة الذى تتبعه مدينة "كلكنى" من الناحية الدينية .

كان اسم هذا الأسقف هو ريتشارد دى ليدريد وكان من أشد المتعصبين ضد السحر والسحرة المشعوذين .. والأكثر من ذلك أنه كان مهتماً للغاية بمطاردة السحرة الأثرياء لسبب بسيط، هو أن ثرواتهم تؤول إلى الكنيسة إذا ثبتت عليهم تهمة ممارسة السحر الأسود عليها حتى تصادر كل ممتلكاتها لصالح الكنيسة ، وبعد التحقيقات الأولية ، اتهم الأسقف الليدى أليس بممارسة أنواع عديدة من السحر الأسود . وأصدر الأسقف أوامره باعتقال ليدى أليس مع أحد عشر شخصاً

آخرين ، بينهم ابنها ويليام ، ووصيفتها الخاصة بترونيلا دى مياث .

وقد تضمن قرار الأسقف سبع اتهامات أساسية لليدى أليس واتباعها ، وشملت هذه الاتهامات أن أليس كانت تتسلل من قصرها تحت جنح الظلام لإقامة احتفالات شيطانية مع اتباعها ، تمارس خلالها طقوس السحر قرب كنائس المدينة ، وخلال هذه الطقوس كان يتم ذبح الطيور والحيوانات وتقديمها كقرابين للشيطان ، وفى بعض الأحيان كان يتم تمزيق هذه الطيور والحيوانات وهى حية للتمتع بصرخات الألم الرهيبة التى تصدر عنها، ثم تلقى أجزاؤها بعد ذلك فى تقاطعات الطرق .

طقوس فى المقابر

أشار الأسقف فى تقريره إلى أن بعض شهود العيان أكدوا له أن الليدى أليس وأتباعها كانوا يتوجهون إلى منطقة المقابر فى الليل ، حيث يقومون بنبش قبور الموتى وانتزاع أظافرهم وأسنانهم لاستخدامها فى طقوسهم الشيطانية ، التى كانوا يستخدمون فيها أيضاً جثث الأجنة الناتجة عن عمليات الإجهاض ، وغير ذلك من الأشياء الغريبة .

واعترف أحد الأشخاص ، من اتباع أليس، بأنه حضر إحدى هذه الحفلات التى قامت خلالها أليس باستخدام جمجمة أحد الموتى كوعاء وضعت بداخله قطعاً من اللحم البشرى ، وقامت بغليها فوق النار !!

وأكد الأسقف فى تقريره أن هناك علاقة جهنمية بين الليدى أليس ومخلوق من الجن، يدعى روبرت أرتيسون ، وصفه اتباعها بأنه خادمها ، وقالوا أنه كان يظهر لها أمامهم فى صورة قط ضخم أو وحش مرعب ، كما كان يظهر فى بعض الأحيان فى صورة أمير أسود معه اثنان من العبيد الأشداء ، ويحمل فى يده قضيباً من الحديد الملتهب .

وقالت وصيفة أليس أن سيدتها كانت مرتبطة بعلاقة جنسية مع هذا الجن ، بينما قال شهود آخرون : أن هذا المخلوق لم يكن من الجن، بل كان مجرد أحد عبدة الشيطان من منطقة أخرى وكان يأتى متنكراً فى هذه الصورة الغريبة لحضور احتفالاتهم وطقوسهم الشيطانية .

وقال البعض : أن هذا المخلوق كان أحد أثرياء المنطقة ، وقد مات قتيلاً فى حريق هائل بقصوره ، وبعد مصرعه أخذ يظهر ليلاً ويحوم حول قصر الليدى أليس ، التى كان يحبها ويتمنى الزواج منها فى حياته، ولكنه لم ينجح فى الارتباط بها، إلا بعد رحيله إلى العالم الآخر حيث

أصبح يعمل فى خدمتها وينفذ لها كل رغباتها وأوامرها .

أكـد الأسقف أن الليـدى أليس استخـدمت هذا الجن أو الشـيطان فى قـتل أزواجـها الثـلاثة السابقين ، وكانت فى طـريقها لقتل زوجها الرابع بنفس الطريقـة، لولا انكشاف أمرها .. وقال إن الدافع لهذه السلسلة المروعة من جرائم قتل الأزواج، كان هو جنون المال ، الذى سيطر على هذه المرأة ، وجعلها على استعداد لعمل أى شئ ، حتى ترث ثروات أزواجها بعد وفاتهم .

الحب الوحيد

لم يكن هناك أى حب حـقيقى فى حـياة الليـدى أليس ، سوى حـبها لابنهـا الوحيـد وليام .. ولذلك أشركتـه معها فى طائفة السحـر الأسود وعبادة الشيطان التى ترأسهـا ، وأصبح الابن أحد قيادات هذه الطائفة ، فى الوقت الذى كانت تسعى فيه الأم لتوفر له أضخم ثروة ممكنة .

وقال الشهود أن الليـدى أليس كانت تطوف شوارع المدينة ليلاً ، ومعهـا مكنسة مصنوعة من شعر الموتى ، فتقوم بكنس التراب من إمـام البيوت فى اتجاه بيت ابنها ، وهى تردد كلمات غريبة تقول فيهـا : أيتها الثروات .. اذهبى إلى ابنى الحبيب وليام .. ولتـكن ثروات وأموال المدينة كلها من نصيب ابنى وليام .

رغم كل هذه الاتهامات ، لم يكن بوسع الأسقف أن يصدر أمراً بمحاكمة الليدى أليس لسبب بسـيط ، هو أن القوانـين التى كانت سـائدة فى إيرلندا ، فى ذلك الحـين ، كـانت تعتبـر السحـر والشعـوذة من الجرائم المدنية التـى لا تخضع لتشريعـات الكنيسة بل للقـانون المدنى .. ولذلك كان يتعـين على الأسقف أن يطلب من المدعى العام إصدار أمـر باعتقال ومحاكـمة الليدى أليس واتباع طائفتها .

ولحسن حظ الليدى أليس ، كان المدعى العام قريباً لليدى أليس ، فرفض إصدار أمر الاعتقال والمحاكمة .. وهنا لم يتـردد الأسقف وقرر أن ينفذ القانون بيديه فأرسل مجـموعة من أتباعه إلى قـصر الليـدى أليس لإحضـارها للمـثول أمـام محكمـة كنسية ولكنهـا رفضت الاعـتراف بهـذه المحكمة ، وقالت أن الكنسية ليس من سلطتها أن تحاكم أى مواطن .

ورغم ذلك ، انعقدت المحكمة داخل مـقر الأسقفية لمحاكمتهـا غيابياً ، وردت الليدى أليس برفع دعوى ضـد الأسقف تتهـمه فيـها بتشـويه سمعـتها ، وتـرويج أكاذيب تصفـها بأنها سـاحرة ومشعوذة ، وتحولت القضية إلى معركـة بين الكنيسة والعلمانيين فى إيرلندا رغم وجود مؤشرات

عديدة تؤكد تورط الليدى أليس فى ممارسة السحر الأسود .. وكان السبب فى ذلك أن الكثيرين من المثقفين وغير الملتزمين دينياً كانوا يسعون لتقليص سلطة الكنيسة ولذلك وقفوا بجانب الساحرة مطالبين على الأقل بمحاكمتها أمام محكمة مدنية وليست دينية، وإزداد عناد الأسقف فى مواجهة هذه الحملة، واعتبر رجال الدين القصاص من ليدى «أليس» مسألة كرامة حتى لا تضيع هيبتهم وحتى لا يفقدوا نفوذهم وسطوتهم .

وخاضت الكنيسة معركة مع السلطات حتى تحصل على تفويض بمحاكمة المتهمين فى قضايا السحر والشعوذة باعتبار هذه القضايا تمس المعتقدات الدينية .

تصريح بالقتل

وبالفعل ، حصلت الكنيسة فى النهاية على هذا التفويض ، وأصبح من حقها محاكمة الليدى أليس واتباعها ، بل وجميع المتهمين بالسحر والشعوذة أمام محاكم دينية .

هنا ، أدركت ليدى أليس أنها ضائعة لا محالة ، وكان قرارها النهائى هو الهروب قبل أن تلقى المصير المروع الذى كان ينتظرها ، وهو أن يتم حرقها وهى على قيد الحياة !!

وبمساعدة أصدقائها من النبلاء والأرستقراط ، تمكنت الليدى أليس من الهروب إلى انجلترا ، ومعها كل أموالها ومجوهراتها ، حيث عاشت هناك بقية حياتها . وتركت الليدى أليس اتباعها فى إيرلندا لمواجهة مصيرهم الرهيب . ولعب السيرجون آخر أزواج أليس دورا كبيراً فى تقديم أدلة الاتهام ضد أعضاء طائفة عبادة الشيطان ، بل وشارك فى جهود اعتقال وليام ابن الليدى أليس ومحاكمته .. ولكن وليام طلب التصالح مع الكنيسة ، وحصل على عفو مقابل تحمل نفقات ترميم كاتدرائية القديسة مارى فى مدينة «كلكنى» الإيرلندية .. بالإضافة إلى إعلان توبته عن كل الممارسات الشيطانية التى كان يشارك فيها مع والدته، أما بترونيلا ، وصيفة الليدى أليس فقد تمت محاكمتها مع بقية أعضاء الجماعة ، وصدر الحكم ضدهم فى النهاية وهو الإعدام حرقاً !! وكانت الوصيفة بترونيلا هى أول ساحرة فى إيرلندا يتم تنفيذ هذا الحكم فيها رغم تأكيداتها بأنها كانت مجرد مساعدة لليدى أليس فى ممارسة الطقوس الشيطانية، ولكنها اعترفت بأن سيدتها علمتها كل فنون السحر الأسود .

وقالت الوصيفة بترونيلا أن الليدى أليس هى أعظم ساحرة فى التاريخ، وأنها بحق ابنة الشيطان وصديقته وزوجته أيضاً !! وفى مساء يوم ٣ نوفمبر تم إحراق الوصيفة بترونيلا وهى

تصرخ بأنها ليست مذنبة وتطالب بمحاكمة سيدتها التى دفعتها إلى طريق السحر الأسود .

وقد حوكمت الليدى أليس أيضاً غيابياً ، ولكنهـا ظلت فى مأمن من تنفيذ عقوبة الإعدام حرقاً فيها بسبب هروبها إلى انجلترا .

أصبـحت هذه المحاكـمة تاريخـية لأسبـاب عديدة ، لأنها كـانت أول محـاكمة للسـحرة فى إيرلندا.. وفى نفس الوقت كانت هذه المحاكمـة هى البداية لمطاردة اتباع طائفة الشيطان ، الذين انتشروا فى إيرلندا بعد ذلك ، وكـان يجمع بينهم ذلك التبجيل والتقديس لشخـصية الليدى أليس التى قالوا إن الشيطان تدخل لإنقاذها وأخذها معه إلى عالمه الجهنمى الملعون .

لوكريشيا بورجيا
فضائح المرأة الملعونة

ارتبطت جريمة زنا المحارم باسم أسرتها .. وقيل أن الدمار هو مصير كل رجل يقترب منها .. ورغم ذلك، وصفها البعض بأنها ملاك وأطلق عليها آخر أزواجها لقب الزوجة الفاضلة !!

الحديث عن المرأة والشر لا يمكن أن يكتمل أو يكتسب معناه الحقيقى دون الإشارة إلى هذه المرأة .. فقد وصفها مؤرخون كثيرون بأنها المرأة الملعونة التى امتدت لعنتها لتصيب كل من اقترب منها .. ورغم ذلك، قال مؤرخون آخرون أنها كانت ضحية لأسرتها وللعصر الذى عاشت فيه ، وأن كل الشرور التى ارتبطت باسمها كانت شائعة بين نساء عصرها، ولكنهم علقوا كل هذه الشرور والآثام فى رقبتها لسبب بسيط هو أسرتها التى اشتهرت بالقسوة والفُجر والوحشية ..

ولا شك أن السجل الأسود الخاص بلوكريشيا بورجيا فى كتاب التاريخ يرجع لحد بعيد إلى انتمائها لأسرة بورجيا التى أثارت الرعب والهلع فى أسبانيا وإيطاليا وغيرها من مناطق أوربا خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر .. ولكن فى نفس الوقت هناك حقيقة لا جدال فيها وهى ارتكاب هذه المرأة لجرائم تقشعر لهولها الأبدان ، منها على سبيل المثال جريمة زنا المحارم التى ارتكبتها مع شقيقها سيزار بورجيا وأيضاً والدها الذى كان يشغل منصباً رفيعاً فى الفاتيكان فى ذلك الحين ..

مخلب القط

لقد أشارت كتابات عديدة إلى أن لوكريشيا بورجيا كانت مجرد أداة ، وأنها استخدمت مخلب قط من جانب رجال أسرة بورجيا الذين استطاعوا بدهاء شديد استغلال سحر جمالها فى صراعهم على السلطة والنفوذ وضحوا بها على مذبح طموحاتهم الجنونية .

عاشت لوكريشيا بورجيا فى عالم اختلفت فيه مفاهيم القيم والأخلاق والمثل العليا عن المفاهيم الراهنة التى نعرفها ، بدليل أن والدها رودريجو بورجيا الذى عرف بالخلاعة والفسق والفجور، كان مرشحاً ، عند مولدها لكى يكون رئيساً للكنيسة الكاثوليكية . ولهذا السبب يقول المؤرخ جريجو روفيوس أن لوكريشيا بورجيا كانت فاجرة حقاً بمفاهيم العصور التالية ولكنها فى نفس الوقت ، كانت نموذجاً لغالبية النساء فى العصر الذى عاشت فيه . ولو لم تكن شقيقة لسيزار بورجيا .. وابنة لرودريجو بورجيا الذى أصبح بابا الكنيسة الكاثوليكية بعد ذلك تحت اسم الكسندر الثالث لما التفت إليها أحد ولما أتخذت أخطاؤها وخطاياها هذا الحجم الرهيب الذى وضعها فى مصاف الشياطين والأبالسة .

ولو لم تكن لوكريشيا تحمل اسم عائلة بورجيا لكانت قد أصبحت مجرد إمرأة جميلة كغيرها من النساء الجميلات فى مجتمع روما خلال البدايات الأولى للقرن الخامس عشر .

ولا يقلل هذا التقييم من حقيقة أن لوكريشيا بورجيا كانت أداة وضحية للطموحات والمكائد السياسية لشقيقها وأبيها ، وهى طموحات لم تكن لوكريشيا لديها من القوة ما يكفى لكى تواجهها أو تقاومها .

لقد أصبحت لوكريشيا بمثابة الوحش الأسطورى بسبب اعتماد المؤرخين على ما أحاط بها من فضائح وشائعات بالإضافة إلى الكراهية الشديدة التى كان الكثيرون يضمرونها لأسرة بورجيا. وأسرة بورجيا من أصل أسبانى وقد بزغ نجمها بسرعة هائلة لأنها أنجبت خلال فترة زمنية وجيز عدداً من الرجال البارزين الذين تميزوا بالذكاء والقوة والطموح بلا حدود .

وقد كان الكاردينال رودريجو بورجيا أحد هؤلاء الرجال ورغم لقبه الدينى الرفيع إلا أن أنجب من عشيقته الجميلة "فانوزا" - وهى من روما - لوكريشيا وشقيقها سيئ السمعة سيزار وبينهما العديد من الأبناء

تمثال من ذهب

ولدت لوكريشيا بورجيان فى ١٨ إبريل عام ١٨٤٠ وقد تربت فى بيت والدتها الذى كان يبعد خطوات قليلة عن قصر والدها الكاردينال الذى لم يعترف بأبوته لها ولأشقائها إلا بعد أن وصل إلى منصب البابا وأصبح واثقاً تماماً من قوته ونفوذه .

وقبل أن تبلغ لوكريشيا سن الحادية عشر، تقدم لها أول خطيب .. وبعد شهرين تقدم خطيب آخر يطلب يدها أيضاً ولكن الأسرة رفضتهما بعد أن أصبح والدها بابا الكنيسة الكاثوليكية باعتبارهما أقل من المستوى الذى يمكن أن تصاهره أسرة بورجيا . وكان رأى الأسرة أن لوكريشيا بورجيا الجميلة تستحق زوجاً نبيلاً وثرياً .

عهد الأب إلى اثنتين من أقرب النساء إليه برعاية ابنته وهما ابنة عمه وكاتمة أسراره أدريانا دى ميلا وزوجة ابيها جورليا فارينز التى كانت إمرأة فاتنة .. ووصفت بأنها كانت كتمثال للجمال مصنوع من الذهب والعاج . وكانت فى نفس الوقت من أشهر عشيقات الأب رودريجيو .

وقد تعلمت لوكريشيا بورجيا من هاتين المرأتين أسرار الأنوثة وطلاسم سحر المرأة وأصبحت بعد فترة قصيرة نموذجاً للفتاة الجميلة التى تعرف كيف تضع هذا الجمال فى أروع إطار .

وفى سن الثالثة عشر أصبحت لوكريشيا حلم كل شباب روما بشعرها الذهبى ورقبتها البيضاء المستديرة وأسنانها التى كانت تشبه اللآلى . وسرعان ما تقدم لها الزوج الذى كانت تنتظره أسرتها وهو جيوفانى سفورزا أو «لورد بيسارى» الذى عقد قرانه عليها فى احتفال أسطورى حضره نصف سكان روما .

ولم يستمرهذا الزواج طويلاً، خاصة أنها تسرعت فى قبول هذا العريس لابنتها التى كان بوسعها أن تتزوج من هو أفضل منه بكثير . وبالتحديد أحد أبناء عائلة أراجون العريقة .

الزوجة العذراء

وقررت أسرة بورجيا التخلص من زوج لوكريشيا بأى وسيلة، وتفتقت أذهانهم عن خطة شيطانية لإلحاق المهانة والإذلال بالزوج المسكين وإجباره على الطلاق . فقد أعلنوا أن زوج ابنتهم رجل عنين عاجز عن آداء واجباته الزوجية ، وقالوا ان ابنتهم مازالت عذراء .. وعبثاً حاول سفورزا أن ينفى هذه التهمة ، ويؤكد أنه كامل الرجولة دون جدوى ، خاصة أن حظه التعس شاء

الا تنجب لوكريشيا أطفالاً منه .. ونظراً لإحساسه العميق بالمهانة ، قرر الزوج الانتقام من أسرة بورجيا ولكن نفوذهم القوى أجبره فى النهاية على توقيع اعتراف بأنه عاجز جنسياً ولا يصلح كزوج .. وهرب الرجل من روما كلها بعد هذه الفضيحة وخوفاً مما كان يمكن أن يحدث له من هذه العائلة الشريرة .. ورغم أن لوكريشيا لم تكن تكره هذا الزوج ولم تكن لديها أى شكوى منه إلا أنها وافقت على قرار أسرتها دون أى مناقشة ، بل والأكثر من ذلك أنها توجهت للحياة فى أحد الأديرة لكى تؤكد أكذوبة أنها مازالت عذراء . وعندما غادرت لوكريشيا الدير بعد فترة، أعربت الراهبات عن ارتياحهن لأنها كانت تمارس سلوكيات داخل الدير أبعد ما تكون عن سلوكيات الراهبة .

وفى نهاية شهر فبراير ١٤٩٨ ، انتشرت الأنباء فى مختلف أنحاء روما بأن لوكريشيا حامل !!

وقيل فى ذلك الحين أن المسئول عن هذا الحمل شاب أسبانى يعمل فى البلاط البابوى لوالدها ويدعى بيروتو، وقد أصدر شقيقها سيزار بورجيا أمراً بوضع هذا الشاب فى السجن وبعد فترة عُثر على جثته فى "نهر التيبر"

وصمة عار

وكانت هذه القصة هى التى فجرت فضيحة زنا المحارم داخل أسرة بورجيا وهى الفضيحة التى أصبحت وصمة عار لا تمحى على جبين هذه الأسرة .. فقد كان سيزار بورجيا ، شقيق لوكريشيا رجلاً شهوانياً تقوده غرائزه وكان قاسياً لا قلب له . وقد عشق سيزار شقيقته . ورغم عدم وجود أدلة على أن لوكريشيا بادلته هذه العاطفة الآثمة إلا أن علاقتهما انزلقت إلى هاوية زنا المحارم .. وترددت شائعات قوية فى روما تؤكد أنها حملت نتيجة لهذه العلاقة الآثمة وكان الطفل الذى اتهم بيروتو بأنه والده هو فى الحقيقة ابن الشقيق سيزار بورجيا !!

وانتهز الزوج الهارب سفورزا الفرصة لكى ينتقم لنفسه من أسرة زوجته السابقة لوكريشيا التى اتهمته بالعجز الجنسى ، وأخذ الزوج يردد فى كل مكان أن هناك علاقة جنسية شيطانية بين زوجته السابقة وشقيقها بل ووالدها أيضاً الذى كان يشغل منصب بابا الكنيسة الكاثوليكية .

ومهما كانت درجة الصدق فى هذه القصص والشائعات إلا أنها انتشرت انتشار النار فى الهشيم، وتصدى الكثيرون من المؤرخين لتأييدها، بينما قال آخرون أن هذا الطفل الذى حملته لوكريشيا كان على الأرجح ابناً لرجل البلاط بيروتو الذى سجن وقتل بأيدى عائلة بورجيا .

وبعد أن وضـعت لوكريشيا طفلها ، أطلقت عليه اسم جيوفاني الذى حمل فى وقت لاحق لقب "دوق ينبى" وقد ولد هذا الطفل فى روما فى مارس عام ١٤٨٩، وقد تربى بجانب والدته لوكريشيا التى أخذت بعد سنوات تشير إليه باعتباره شقيقها الأصغر ، بينما وصفه العامة بالطفل الرومانى .. وظل طوال حياته بل وما زال حتى الآن يمثل لغزاً بالنسبة لحقيقة نسبه .

ولقد تم ترتيب الزواج التالى للوكريشيا على أساس الاعتبارات السياسية أيضاً .. وكان العريس هذه المرة هو ألفونسو ابن شقيق ملك نابولى الذى كان يحمل لقب «دوق بيسجلى» وكان هدف الشقيق سيزار بورجيا من هذا الزواج هو أن ترتبط أسرته بعلاقة مصاهرة مع أسرة أراجون القوية مما ينعكس أثره بالضرورة على زيادة قوة ونفوذ عائلة بورجيا ..

كان الدوق العريس جميل الملامح، لذلك حظى بإعجاب لوكريشيا منذ اللحظة الأولى التى شاهدته فيها . ورغم أن السياسة كانت هى الدافع الرئيسى لهذا الزواج إلا أن علاقة حب نمت بشكل واضح وسريع بين لوكريشيا والدوق . أما الشقيق سيزار بورجيا فقد أبدى كل مظاهر الود والصداقة تجاه عريس شقيقته . وتم عقد القران فى روما وسط مظاهر بذخ واحتفالات أسطورية لم يسبق لها مثيل .

مؤامرات ومكائد

تعهد العريس ألفونسو بالبقاء فى روما بجانب زوجته لمدة عام قبل أن ينتقل بها إلى قصره المطل على شاطئ البحر فى نابولى . وسارت الأمور بشكل هادئ حتى بدأ الشقيق الداهية سيزار بورجيا مؤامراته ومكائده مرة أخرى ، وتفجر صراع مرير بين بورجيا وشقيق زوجته . وقال سكان روما فى ذلك الحين أن سبب هذا الصراع كان هو غيرة سيزار بورجيا الشديدة على شقيقته .. وتمنى الكثيرون أن ينجح ألفونسو وينتصر على سيزار بورجيا الرهيب فى هذا الصراع ..

وذات مساء قام الزوج ألفونسو بزيارة للفاتيكان ، وفى طريق عودته إلى قصره ، هاجمه مجهولون وضربوه بقسوة ووحشية وتركوه وهو بين الحياة والموت بعد أن أصابوه بجراح خطيرة فى مختلف أنحاء جسده .

وقام بعض المارة بنقل ألفونسو إلى قصره، وعندما شاهدته زوجته لوكريشيا سقطت مغشياً عليها، ولكنها استطاعت بعد ذلك أن تسهر على راحته وتداويه حتى تم شفاؤه ، ورغم ذلك، لم يستسلم الشقيق سيزار بورجيا، وقرر استكمال المهمة التى فشلت فى المرة الأولى لقتل زوج

شقيقته والتخلص منه .

فى أحـد الأيام ، وبينما كـان ألفونسـو راقداً فـى بيتـه، اقتـحمت عـصابة من الأشـرار المنزل ودخلت إلى غرفة نومه ، وقام أحد أفراد هذه العصابة بقتله قبل أن يتدخل أحد لإنقاذه ..

وبعد اغتيال زوج الشقيقة، بدأت مرحلة جـديدة من حياة سيزار بورجيا ، وهى مرحلة عنفوان السلطة والنفوذ خاصة بعـد ان أختفى من الوجود كل إنسان حاول التصـدى له أو الاحتجاج على جرائمه وكان آخر هؤلاء زوج شقيقته .

وتم إرسال لوكريشيـا إلى قلعة "ينبى" بهدف إبعادها عن روما حيث ظل الحـزن يسيطر عليها لفترة عـلى وفاة زوجها الذى كانـت تحبه بشدة .. ويوم بعـد يوم جفت دموع لوكريشـيا وأخذت تنتظر ما أعده لها والدها وشقيقها من ترتيبات بشأن حياتها الجديدة

فـحـش وفـجـور

استدعى الأب بورجيا الكبير ابنته للحضـور إليه فى الفاتيكان حيث حاولت لوكريشيا أن ترفه عن نفسها لنسـيان الكوارث التى مرت بها . وكانت وسيلة هذا النسيـان هى الانغماس فى الفسق والفجور خاصة خلال احتفالات كان يقيمها شقيقها سيزار للترفيه عنها .

فى أحـد هذه الحـفلات قـام سيزار بـورجيـا بإلقـاء ثمـار الكستـناء على الأرض وطلب من الوصيفـات أن يجمعن هذه الثمار بعد أن جـردهن تماماً من ملابسهن ، وترددت حكايات كـثيرة عما كـان يحدث فى هذه الحفلات من مـجون وفسق، ووصلت الأمور إلى حـد أن وصفت هذه الحفلات بأنها أعادت للأذهان ذكريات أسـوأ مراحل الانحطاط الأخلاقى فى تاريخ الإمبراطورية الرومانية .

خلال هذه المرحلة، وقع اختيار أسرة بورجيـا على عريس آخر لإبنتهم وكان هذه المرة ينتمى لأسرة عريقة هى أسرة "إيسـتا" ولكن هذا المشروع واجه صعوبات بسبب تعـثر المفاوضات بين العائلتين ، فقد توقف العريس المقترح وهو "ألفونسو ويستا" دوق فيرارا عند الشائعات والقصص التى كانت تتردد فى كل مكـان حول تدهور أخلاقيات عروسـه وتورطها فى فضائح بشعـة . كما خشى دوق فـيرارا من أن يلقى نفس مصـير زوج لوكريشـيا السابق .. والغـريب أن والد العريس استـاء بشدة من تردد ابنه من الزواج من لوكريشـيا بورجيا لأنـه كان يريد الاستفـادة من نفوذ هذه العائلة .. وأبلغ الأب ابنه أنه سيتزوج لوكريشيا هو نفسه إذا رفض الابن هذا الزواج .

واستمرت المفاوضات والمساومات بين الأسرتين لفترة طويلة حول تفاصيل الزواج وشروطه.. وفى النهاية حدد البابا ، وهو والد لوكريشيا ، مهراً هائلاً لابنته . ووافقت أسرة الزوج وتم الزواج بالفعل ليصبح دوق فيرارا هو الزوج الثالث للوكريشيا بورجيا .

فى حفل الزواج ، رقص الشقيق الرهيب سيزار بورجيا رقصة دخلت التاريخ لأنه أداها بانفعال وهيستريا وصلت إلى درجة الجنون .. وغادرت لوكريشيا منزل والدها فى طريقها إلى بيت زوجها الثالث ، ومعها كميات هائلة من الملابس الغالية والمجوهرات الثمينة ، بالإضافة إلى أثاث وصفت كل قطعة منه بأنها كانت تحفة فنية لا تقدر بثمن .

عاشت لوكريشيا بورجيا مع دوق فيرارا فى قلعة أسرته حيث فتحت أمامه الأبواب على مصاريعها ليدخل إلى عالم سحرى من المتعة لم يكن يعرف عنه شيئاً قبل زواجه منها .

وقد استمرت الحكايات والشائعات تتردد حول سلوكيات لوكريشيا بورجيا حتى بعد زواجها الثالث، وتردد اسمها فى علاقات غرامية غير مشروعة مع رجال كثيرين منهم الشاعر بيترو بيمبو، وأكد الكثيرون أن أشعار بيمبو قد كتبت كلها بوحى من حبه للوكريشيا بورجيا والساعات الرائعة التى كان يقضيها بين ذراعيها .

كما دخلت لوكريشيا فى علاقة مع شاعر آخر يدعى إركولى ستروزى ، وأكد بعض المؤرخين إنها عشقت هذا الشاعر الشاب وأحبته من جانب واحد، ولكنه رفض أن يبادلها مشاعرها .

وقد انتهت قصة هذه العلاقة بمأساة مروعة وفضيحة كبيرة . فقد عثر على جثة الشاعر ستروزى فى إحدى الطرقات وهى ملفوفة بعباءة ، وكانت جثته ممزقة تماماً بالسكاكين والخناجر ، وأكد أعداء أسرة بورجيا أن لوكريشيا هى التى قتلت الشاعر المسكين بهذه الطريقة الوحشية بسبب رفضه لحبها ، وبعد أن علمت أنه يحب إمرأة أخرى ويعتزم الزواج منها . وقال آخرون إن الشاعر ستروزى عرف الكثير من فضائح لوكريشيا بورجيا التى خشيت من أن يفضح أمرها، وينشر فضائحها ، ولذلك قامت بقتله بهذه الطريقة البشعة .

وبعد أن أصبحت لوكريشيا بورجيا تحمل لقب دوقة فيرارا ، بدأ الشعراء والأدباء يخطبون ودها ويكتبون عنها وكأنها رمز للفضيلة والطهر والعفاف ووصلت المبالغات فى هذه القصائد والكتابات إلى حد وصف لوكريشيا بورجيا بأنها ملاك أو قديسة .

وقد ماتت لوكريشيا فى يونيو ١٥١٩ أثناء عملية ولادة . وحزن عليها زوجها دوق فيرارا بشدة رغم كل ما تردد عن خيانتها له، وظل حتى بعد وفاتها يطلق عليها لقب الزوجة الفاضلة المخلصة..

إيزابيللا ..الملكة الكاثوليكية على عرش التعصب والعنصرية !!

هى نموذج يندر تكراره للتطرف والتعصب والإرهاب . إمتلأ قلبها بالحقد على كل إنسان لا يدين مثلها بالمسيحية الكاثوليكية .. أشعلت النار فى المسلمين واليهود وبعض المسيحيين غير الكاثوليك وهم أحياء لأنهم رفضوا تغيير معتقداتهم .. على يديها ، إنهار الوجود الإسلامى فى الأندلس بشكل نهائى .. وبأوامرها عقدت محاكم التفتيش الإجرامية التى كانت وستظل إلى الأبد وصمة عار على جبين البشرية ..

إيزابيللا .. الملكة الكاثوليكية ، بهذا اللقب أشار سجل التاريخ إلى سفاحة العصور الوسطى التى كانت تصف نفسها بأنها المحاربة الصليبية ..

ولدت إيزابيللا عام ١٤٥١ ، وهى ابنة الملك جون الثانى حاكم مملكة قشتالةفى أسبانيا ، فى ذلك الحين ، لم تكن أسبانيا دولة موحدة بل كانت عبارة عن عدة ممالك مستقلة أهمها قشتالة وأراجون وغرناطة .

وكانت كل من قشتالة وأراجون مملكة مسيحية، أما غرناطة فقد كانت خاضعة للحكم العربى الإسلامى منذ القرن الثامن الميلادى .

منذ نعومة أظفارها ، نشأت إيزابيللا وتربت على البغض الشديد للإسلام والمسلمين .. وفى الربع الأخير من القرن الخامس عشر ، شنت أبشع حملة إبادة جماعية ضد العرب المسلمين فى دولة غرناطة ، بعد الحملة الصليبية الأولى المعروفة فى التاريخ باسم «حملة الرعاع» .. وبلغ عدد ضحايا هذه الإبادة الجماعية التى نفذتها إيزابيللا مئات الألوف من الأطفا والنساء والشيوخ المسلمين ..

ولا شك أن ايزابيللا كانت تجسد أقصى أمثلة التطرف الدينى والعرقى فى تاريخ البشرية.. فقد كانت مسيحية كاثوليكية شديدة التعصب لمذهبها الدينى الذى كرست له حياتها .. واعتبرت أن أتباع أى دينى أو معتقد آخر لا يستحقون الحياة لذلك كانت مستعدة لأن تحرق العالم كله لكى تفرض الكاثوليكية على الجميع ..

وحتى بعد سقوط مملكة قشتالة العربية تماماً عام ١٤٩٢ ، أقامت إيزابيللا المحاكم لتكفير كل من يعتنق أفكاراً مخالفة لمذهبها الكاثوليكى .. وعلقت المشانق وأقامت معسكرات التعذيب لكل المسلمين واليهود بل وبعض المسيحيين الذين رفضوا التحول لمذهبها الكاثولكى وأصدرت أوامرها بإحراق هؤلاء "الكفار" وهم أحياء عقاباً لهم على الإيمان بأديان أخرى غير المسيحية الكاثوليكية ..

لقد ارتكبت إيزابيللا من الجرائم فى حق البشرية ما يؤهلها عن جدارة لكى تتصدر صفوف مجرمى الحرب فى العالم خلال كل مراحل التاريخ الإنسانى .

كانت إيزابيللا . إمرأة ذات شخصية شديدة التناقض . وربما تكون ورثت ذلك عن والدتها التى كانت مريضة نفسياً وكانت دائماً متوترة ومنفعلة وتعانى بشكل مستمر من نوبات هيستيرية حادة بعكس والدها الذى كان محباً للحياة غارقاً فى المتع والملذات حتى أذنيه .

وفى عام ١٤٥٥ ، كانت إيزابيللا فى سن الرابعة حين توفى والدها الملك جون وأصبح أخوها غير الشقيق هنرى ملكاً لقشتاله .. كان هنرى طماعاً وجشعاً لأبعد الحدود .. وكان شديد الأنانية لدرجة أن زوجة أبيه ووالدة إيزابيللا لم تكن تثق فيه على الإطلاق وكانت العلاقة بينهما دائمة التوتر ..

لذلك ، قررت أم إيزابيللا أن تأخذ ابنتها وشقيقها الأصغر ألفونسو بعيداً عن بلاط الشقيق الأكبر هنرى بمجرد تتويجه ملكاً لقشتالة . وهناك ، بعيداً عن بلاط الملك هنرى ، عاشت إيزابيللا فى بلدة صغيرة تسمى أريفالسون مرحلة الطفولة حتى وصلت إلى سن المراهقة محرومة من حياة

الترف والرفاهية التى كانت تنعم بها أميرات أسبانيا فى ذلك الحين .

وقد شحنت تربية إيزابيللا الدينية الصارمة كيانها كله بمشاعر الحقد والكراهية تجاه كل ما هو غير مسيحى أو كاثوليكى .. لذلك وضعت لنفسها هدفاً محدداً هو إبادة العرب والمسلمين واستئصال جذورهم من الأندلس وتحويلها إلى مملكة كاثوليكية موحدة .

كانت أفكار إيزابيللا غير قابلة للتغيير أو حتى مجرد المناقشة ، فقد كان لديها ميل فطرى غريزى لأن تكون محاربة صليبية . وعندما بلغت الخامسة عشر من عمرها ، تمت خطبتها إلى الأمير فرديناند ولى عهد مملكة أراجون . وقد كان هذا حدثاً سعيداً بالنسبة لها ، فقد كانت متأكدة أنه الرجل الوحيد فى العالم كله الذى يناسبها تماماً والذى تستطيع من خلاله أن تحقق حلمها .. وهو ما جعل إيزابيللا مقتنعة بل ومتمسكة بهذا الزواج ، حتى عندما واجهته العقبات فقد كانت دائماً تعمل على تذليلها بشتى الوسائل والسبل .

لقد كانت تدرك تماماً أنها عندما تصبح زوجة لفرديناند فإنها بلا شك سوف تجلس ذات يوم على عرش مملكة أراجون وهى الخطوة الأولى فى الطريق الطويل إلى عرش أسبانيا كلها.

كانت إيزابيللا تحلم بالسلطة والملك ، ولكنها لم تتوقع أن يحدث ذلك بهذه السرعة . ففى عام ١٤٦٧ توفى شقيقها الأصغر ألفونسو لتصبح بذلك الوريثة لعرش قشتالة بعد الملك هنرى . وبعد عامين وفى سنة ١٤٦٩ تزوجت إيزابيللا الأمير فرديناند . كان فرديناند يصغرها بعام ، وكان طويلاً ، أشقر اللون ، مليئاً بالحيوية والشباب ، لذلك فقد أحبته حباً شديداً إلى درجة العبادة ، وتمنت أن يبادلها نفس المشاعر . وقد عملت إيزابيللا كل ما فى وسعها للاستحواذ على قلب فرديناند .. وقالت إيزابيللا لنفسها إنها إذا أفلحت فى ذلك فإنها سوف تكون قد حصلت على كل شئ .

وبعد عام واحد من الزواج وضعت إيزابيللا مولودتها الأولى فى عام ١٤٧٠ . وبعد أربع سنوات توفى الملك هنرى ، لتصبح إيزابيللا ، وهى لم تتجاوز بعد الثالثة والعشرين ، ملكة لقشتالة . بعد ذلك وفى عام ١٤٧٩ توفى والد فرديناند ليصبح هو ملكاً لأراجون .. هكذا تطورت الأحداث بشكل مثير وسريع لتتحد مملكتا أراجون وقشتالة .. تحت عرش واحد ، هو عرش إيزابيللا وزوجها فرديناند .

واعتبرت إيزابيللا أن تطور الأحداث بهذا الشكل كان من صنع الرب الذى قدر لها ولزوجها أن يجلسا على عرش المملكتين بعد اتحادهما فى مملكة واحدة حتى يستطيعا بعد مباركة الرب

شن حملة مقدسة لإبادة العرب وطردهم تماماً من الأندلس .

ولم تجد إيزابيللا صعوبة فى الاستحواذ على زوجها وتطويقه تحت جناحها ، فقد كانت تتمتع بشخصية قوية للغاية . أما زوجها فقد كان دائماً يشعر بالاستياء بسبب جبروت زوجته وسلطتها العظيمة ونفوذها الكبير ..

وابتداء من عام ١٤٨٠ شن الثنائى إيزابيللا - فرديناند حملاتهم البربرية ضد مسلمى الأندلس، واندفعت جيوشهما كالجراد تقضى على الأخضر واليابس فى كل الممالك الإسلامية ، وكانت إيزابيللا تصف هذه الحملات بأنها حرب صليبية مقدسة بين المسيحيين والكفار !!

وقد قادت إيزابيللا الجيوش بنفسها وخرجت على رأس الحملات الحربية لتشعل بيديها أرض غرناطة وتحولها إلى جهنم حمراء ، وتقضى على كل مظاهر الحضارة الإسلامية العريقة، كما كانت تحلم منذ الطفولة .

وخلال الفترة الطويلة التى استغرقتها الحرب ، وضعت إيزابيللا عشرة أطفال .. مات خمسة منهم أثناء وبعد الولادة مباشرة . وقد وضعت إيزابيللا آخر مولودة لها «كاترين» أثناء قيامها بغارة على إحدى المدن الإسلامية بغرناطة ، وكان عمرها فى ذلك الحين ٣٤ عاماً .

وعلقت إيزابيللا وزوجها فرديناند آمالاً كبيرة على ولدهما الوحيد خوان .. الذى ولد عام ١٤٧٨ . فقد كانا يحلمان بأن يصبح ذات يوم حاكماً لأسبانيا الموحدة أو أسبانيا الكاثوليكية بدون منازع .

وكانت ابنتها الأثيرة بعد خوان هى خوانا (فقد كان لإيزابيللا ثلاث بنات أخريات ! إيزابيللا ، وماريا ، وكاترين .) وقد كانت خوانا ، مثل جدتها ، متقلبة المزاج وشديدة التعصب ، وكانت تنتابها كثيراً نفس النوبات الهيستيرية التى كانت تحدث لجدتها . وكانت إيزابيللا تسرف فى تقديم الرعاية والعناية لهذه الطفلة المريضة .

كانت إيزابيللا تصحب كل أطفالها معها فى غزواتها الحربية حتى يتعودوا على الحروب ويتشبعوا بروح أمهم . وكانت دائماً تقول لأولادها بعد كل غارة "إن كل شئ يحدث بإرادة الرب" .

وكان حب إيزابيللا لخوانا يأتى على حساب بقية الأولاد . وقد تزوجت خوانا من دوق النمسا، ووضعت له طفلاً ذكراً ثم أصيبت بالجنون التام ، وبعد وفاة زوجها فى عام ١٥٠٦

حبسها والدها فى قلعة نائية بالريف .

وبعد انتهاء الحرب بخمس سنوات تقريباً وفى عام ١٤٩٧ توفى خوان الابن الوحيد لإيزابيللا وهو لا يزال فى التاسعة عشر من عمره .. وبعد وفاة خوان ارتدت إيزابيللا ثياب الراهبات ، وإزدادت شراسة وقسوة وعنفاً .. وأصبحت على درجة كبيرة من البذاءة وسلاطة اللسان حتى أن فرديناند لم يعد يتحمل مجرد رؤيتها .. وتعددت علاقاته المشبوهة بنساء أخريات ولم يكن يخفى عنها خيانته فلم يعد يخشى بأسها .

وبسبب هذه التجربة المريرة حثت إيزابيللا ابنتها الصغرى كاترين على الرهبنة وعدم الزواج وسلوك طريق الرهبنة ، وقالت لها "إهربى من حياة الشقاء والأسى" ولكن كاترين تجاهلت نصيحة أمها وأصبحت فيما بعد الزوجة الأولى للملك هنرى الثامن الذى أذاقها كل ألوان العذاب وطلقها بعد أن أنجبت له ابنته الكبرى "مارى" .

كان أخطر الأعوام فى حياة إيزابيللا هو عام ١٤٩٢ عندما انتهت المعارك ودانت أسبانيا كلها لسلطان إيزابيللا وزوجها فردنياند وانتقلت إيزابيللا إلى قصر الحمراء الفخم فى قلب غرناطة .

ولم تشعر إيزابيللا بالقناعة بمجرد انتصارها على المسلمين فى غرناطة . فبالنسبة لإيزابيللا - الملكة الكاثوليكية ، كان اعتناق أى معتقدات دينية بخلاف معتقداتها الشخصية أمراً لا يمكن التسامح فيه . لذلك وقعّت مرسوماً تأمر فيه غير المسيحيين إما باعتناق المسيحية أو الرحيل عن أسبانيا نهائياً . وفى عام ١٤٨٠ أعادت تشكيل ديوان التفتيش الأسبانى وهو عبارة عن محكمة لمناقشة المعتقدات الدينية . وقدم لهذه المحكمة الآلاف من المسلمين واليهود وبعض المسيحيين ، وكان كل من يرفض أو يعجز عن تقديم الردود المناسبة يتعرض للتعذيب أو القتل . ولسوء الحظ أن ديوان التفتيش الأسبانى استمر لمئات السنين بعد وذلك محدثاً موجة قوية من القمع الدينى .. وقد كان هذا الديوان هو أسوأ ما تركته إيزابيللا لأسبانيا وللعالم وللتراث الإنسانى بأسره .

ومن أهم الأحداث فى حياة إيزابيللا لقاؤها بالرحالة الشهير كريستوفر كولومبس فى قصر الحمراء بغرناطة عام ١٤٩٢ حيث طلب منها تمويل رحلته إلى الهند عن طريق الابحار غرباً. حاول لسنوات طويلة قبل ذلك إقناع كبار ملوك أوروبا بتمويل رحلته ، فقد توسل إلى الملك جون الثانى ملك البرتغال ، وهنرى السابع ملك إنجلترا وتشارلز الثامن ملك فرنسا ولكنه لم يفلح فى إقناعهم . فبالرغم من جشعهم ونهمهم الشديد لذهب وتوابل الشرق إلا أنهم كانوا

يرون أن الفكرة ذاتها مستحيلة وقالوا "إن هذا مستحيل ، ولن يقدم على هذه المحاولة إلا شخص مجنون !" وكان كولومبوس قد عرض فكرته على إيزابيللا عام ١٤٨٥ و اقتنعت إيزابيللا ولكنها اعتذرت عن تمويله لأنها كانت مشغولة بحروبها المتواصلة وأمرته بالعودة إليها عندما تكسب الحرب ضد العرب المسلمين ..

وبعد سبع سنوات عاد كولومبوس يذكر الملكة إيزابيللا بوعدها ويطلب منها تمويل رحلته. وأكثر شئ جذبها للفكرة هو إحتمال أن تكسب من وراء هذه الحملة ثروة عظيمة حيث تعتبر أسبانيا فى الواقع فقيرة فى مواردها الطبيعية . وعلى العكس من إيزابيللا كان زوجها فرديناند أقل حماساً وقال لزوجته بصراحة "إن نفقات الحملة أكبر من أن نقدر على تحملها".

ولكن إيزابيللا استطاعت أن تسكت زوجها وتجبره على الصمت وقالت له "إذا كان ملك أراجونة ليس لديه أى تخيل فإننى سوف أتصرف بالنيابة عن مملكتى الخاصة قشتالة !" وسوف أقوم بتمويل هذه الرحلة التى من شأنها أن تزيد من قوة ونفوذ المملكة الكاثوليكية الأسبانية .

ويقال أن إيزابيللا رهنت كل مجوهراتها لجمع المبلغ الذى يحتاجه كولومبوس لرحلته وهو ١٤ ألف دولار . وبالفعل ، بدأت الرحلة يوم ٣ أغسطس ١٤٩٢ بأسطول من ثلاث سفن وتسعين رجلاً .. وفى ١٢ أكتوبر ، اكتشف كولومبوس جزيرة سان سلفادور وبدلاً من أن يصل إلى الشرق كما كان يتوقع ، وصل إلى أمريكا أو العالم الجديد .

وفى جزيرة "هسبانيولا" (أسبانيا الصغيرة) أقام كولومبوس أول مستعمرة أوربية فى العالم الجديد وأطلق عليها اسم إيزابيللا .. وبعد ذلك تزايد عدد المستعمرات الأسبانية فى القارة الأمريكية .

وكانت السنوات الأخيرة من حياة إيزابيللا نموذجاً للمعاناة والآلم والعذاب .. فقد ماتت فى عام ١٥٠٤ وهى فى الثالثة والخمسين من عمرها ولكن موتها سبقته أحداث مأساوية وكأنها جزء من عقاب السماء لهذه المرأة الدموية المتعصبة . فقد مات ابنها الوحيد خوان وبدأ المرض يقضى على حياة ابنتها المفضلة والأثيرة لديها خوانا وأخذ زوجها يعاملها بمنتهى الإزدراء والإذلال .

والأهم من كل ذلك أن صرخات ضحايا مذابحها وضحايا محاكم التفتيش ، ظلت حتى النهاية تدوى فى أذنيها ، تلعنها ، وتدعوا الله ألا يشملها برحمته ، جزاء تعصبها المقيت الذى ترفضه كل الأديان ..

كاترينا العظمى
إمرأة روّعت الإمبراطورية الروسية

ظلت عذراء حتى بلغت الثالثة والعشرين من العمر .. وبعد ذلك لم تكن تذهب إلى الفراش كل ليلة إلا بصحبة رجل .. أو عشيق ..

عندما تحب المرأة تقدم كل شئ ، وعندما تعشق تضحى بكل شئ ، ولكن عندما تكره .. فهى تدمر كل شئ ، هذه باختصار حياة إمرأة صبت عليها كتب التاريخ كل اللعنات وتضرع الكثيرون ان يكون مأواها الابدى هو الجحيم . أنها كاترينا العظمى إمبراطورة روسيا التى تفاعلت بداخلها كل مشاعر الحب والعشق والكراهية والطموح أيضاً لكى تخلق مزيجاً رهيباً ونموذجاً من النساء أثار الرعب والهلع فى قلوب أشجع رجال الإمبراطورية الروسية ..

كانت كاترينا العظمى إمبراطورة روسيا نموذجاً للمرأة الرومانسية التى تحركها عواطفها ومشاعرها ، وكانت أيضاً غيورة لأقصى درجة، ذات عينين لامعتين ، ينطلق منهما وميض كذلك الذى ينطلق من عينى الحيوان البرى، فيصيب الفريسة بالشلل وتصبح كأنها تحت تأثير التنويم المغناطيسى الذى يسلبها إردانها، ويجعلها تنتظر مصيرها المأساوى فى دعة وسكون .

كانت ملامح وجه كاترينا توحى بأنها درامية ، خلقت لكى تدخل التاريخ وتترك بصمتها عليه. وصفها أحد رجال البلاط الإمبراطورى الروسى عام ١٨٥٦ بأنها المرأة التى تجمعت فيها كل

التناقضات ، فهى السم الزعاف الذى ينهل منه المرء وكأنه يشرب ترياق الخلود ، وفى نفس الوقت هى رحيق الحياة القاتل أو الصديق الذى ترتعد أوصالك بمجرد أن تقترب منه وتحدق فى ملامحه الرهيبة ..

لم تكن الإمبراطورة كاترينا تنتمى لطبقة الحكام الطغاة ، ولكنها لم تكن تقبل من اتباعها ورعيتها ما هو أقل من الطاعة العمياء .. حلمها كان ان تصبح روسيا دولة عظمى ، ولكنها تعاملت مع الفلاحين الروس التعساء وكأنهم مخلوقات لا تنتمى إلى عالم البشر، لم يتهمها أحد بارتكاب جريمة القتل ، ولكن الدماء لطخت يديها فى العديد من هذه الجرائم وخاصة اغتيال القيصر إيفان السادس وزوجها بطرس الثالث .

وقد ظلت كاترينا عذراء حتى بلغت الثالثة والعشرين من العمر. ولكنها بعد ذلك ظلت حتى وفاتها لا تذهب إلى الفراش فى أية ليلة إلا بصحبة رجل أو عشيق !!

ومن أغرب الحقائق فى شخصية كاترينا إمبراطورة روسيا أن عروقها لم تكن تجرى فيها نقطة دم روسية واحدة، فقد كانت ألمانية اسمها الحقيقى صوفى أوجوستا فريدريكا وقد ولدت بمنطقة شتيتن قرب بوميرانيا فى ألمانيا فى إبريل ١٧٢٩ .

دماء زرقاء

كان والدها الأمير كريستيان أوجستوس ، وهو أحد النبلاء الذين أدارت لهم الدنيا وجهها فأصبح فقيراً، ونظراً للدماء الزرقاء فى عروقه فقد منح منصب قائد حامية شتيتن ، أما والدتها الأميرة جوهانا فكانت تنتمى لدوقية هولشتين ، وكانت إمرأة دائمة السخط والاستياء تردد فى كل وقت أنها تحيا حياة كئيبة ريفية فقيرة لا تتفق مع حسبها ونسبها ومواهبها أيضاً .. ولم تكن الأم تغدق على ابنتها صوفى بمشاعر الأمومة التقليدية،ولكن رغم برود الأم وفقد الأب إلا أن صوفى عاشت طفولة طبيعية كغيرها من أولاد النبلاء ، وعندما وصلت صوفى إلى سن الخامسة عشر، تغيرت حياتها بشدة فقد تم ترشيحها كعروس لبطرس الأكبر دوق روسيا وربما يرجع هذا الترشيح إلى فردريك الأكبر إمبراطور بروسيا الذى اختارها لاعتقاده ان مكانها المتواضع بين أميرات ألمانيا سيجعلها أكثر عرفاناً بالجميل على هذا الشرف وبالتالى يسّهل من إمكانية السيطرة عليها لخدمة بروسيا من موقعها الجديد .

ووجهت الإمبراطورة اليزابيث ، إمبراطورة روسيا الدعوة لصوفى ووالدتها للحضور، ورغم

عدم توافر الملابس الفاخرة الملائمة لهذه المناسبة ، إلا أنها استقبلتها بحفاوة بالغة فى روسيا وقد كادت صوفى أن تسقط مغشياً عليها عندما شاهدت الإمبراطورة الروسية والمجوهرات الهائلة التى تغطيها من قمة رأسها حتى أخمص قدميها وتفحصت الإمبراطورة اليزابيث الفتاة الألمانية بدقة شديدة ثم أومأت برأسها فى إشارة إلى أنها عروس لا بأس بها لابنها ، وعرف الجميع ان الأميرة صوفى قد أعجبت الإمبراطورة بوجهها الجميل وشعرها الفاحم وعينيها الزرقاوين ، وبعد أيام قليلة عاشتها صوفى تحت الاختبار ، أعلنت الأسرة الإمبراطورية الروسية قبولها لأن تكون هذه الفتاة الألمانية عروساً للدوق الأكبر .

زوج مشوه

وعندما شاهدت صوفى عريسها لأول مرة ، أصيبت بصاعقة فقد كان إنساناً مشوهاً قبيح الوجه، بالإضافة إلى أنه كان أيضاً غريب الأطوار ، ففى بعض الأحيان يتصرف كطفل وديع ، وفى أحيان أخرى يتحول إلى مخلوق سادى شرس يتمتع بتعذيب الآخرين . وفى يوم ٢٨ يونيو ١٧٤٤ تحول اسم صوفى إلى كاترينا بعد ان تحولت ديانتها إلى الأرثوذكسية ، وفى اليوم التالى تمت خطبتها إلى الدوق الأكبر الذى لم يكن يكبرها كثيراً فى السن ، وكانت بينهما صفات مشتركة عديدة ، أتاحت لهما البقاء معاً ، واللهو فى أروقة القصر الإمبراطورى الروسى ولكن بمرور الأيام بدأ شعور بالكراهية المتبادلة ينمو بينهما ، ورغم ذلك تقرر تقديم موعد الزفاف. وكان حفل الزفاف نموذجاً للبذخ البيزنطى ، وارتدى العروسان الملابس الموشاة بالفضة والمطعمة بالذهب والأحجار الكريمة، وبعد الحفل الأسطورى توجه الدوق إلى غرفة نومه ليغط فى نوم عميق بعد ان شرب كمية هائلة من الخمر، ولم تعرف كاترينا فى تلك الليلة هل تغضب لنوم عريسها أم تسعد لأنها تخلصت من وجهه الكريه . وخلال الليالى التالية اعتاد الدوق أن يأخذ معه إلى فراشه بعض اللعب والدمى والفرسان الخشبية ليلهو بها قبل نومه ، وكان من الواضح أمام الجميع ان هذا الزواج فاشل ولن يستمر .

كان الدوق المسكين يدرك أنه قبيح الوجه، وكان يجد سعادة بالغة فى إثارة مشاعر الاستياء لدى زوجته كاترينا ، ويتفنن فى تعكير صفو حياتها . باختصار كان الدوق زوجاً عاجزاً فى الليل وشريكاً مخالفاً ومستفزاً فى النهار، ورغم خوفه الشديد من والدته الإمبراطورة إلا أنه كان يتضايق بشدة من امتثال زوجته لكل الأوامر وتفانيها فى أداء واجباتها الجديدة لدرجة أنها أصيبت بالهزال والمرض من الجهد الهائل الذى بذلته فى تعلم اللغة الروسية واستيعاب الطقوس الدينية الأرثوذكسية .

الزوجة العذراء

بعد ثمانية أعوام من الزواج ، كانت كاترينا مازالت عذراء ، وكانت فى شوق رهيب إلى الحب الذى لا تستطيع أى أنثى أن تكون طبيعية بدونه. وذات يوم قررت أن تقيم علاقة مع أحد رجال البلاط ، وكان يدعى سيرجى سالتيكوف الذى كان جذاباً ، والأهم من ذلك أنه كان خبيراً بالنساء عارفاً بأخطر نقاط الضعف فى كيان المرأة .

ورغم ان سالتيكوف كان متزوجاً من إحدى وصيفات الإمبراطورة ، إلا أنه كان كثير السفر والترحال، مما أضاف إليه الكثير من المعارف والخبرات ، أما كاترينا ، فقد كانت فى ذروة أنوثتها تهفو لكل شاب جميل تراه ، وتنسى من خلاله ملامح زوجها القبيحة وتحول هذا الاعجاب بالشباب إلى حالة جنونية لذلك سرعان ما أصبحت عشيقة للشاب سيرجى سالتيكوف.

والغريب أن أحداً لم يهتم بهذه العلاقة غير المشروعة ، بما فى ذلك زوجها الدوق ووالدته الإمبراطورة ، وكان سبب هذا التجاهل سياسياً فى المقام الأول ، حيث لم يكن هناك وريث للعرش ولذلك تركوا كاترينا تحاول بطريقتها الخاصة ان تحقق هذا الهدف ! !

وفى عام ١٧٥٤ ، أصبحت كاترينا حاملاً، وأنجبت طفلاً أطلق عليه اسم الدوق بول ، وتوجه رسول من الإمبراطورة الأم إلى العشيق سالتيكوف ، ونصحه بالسفر بعيداً من أجل صحته ومستقبله ، وأخذت الإمبراطورة الطفل لتقوم بتربيته وإعداده لتولى العرش ، مما أدى إلى تحطيم قلب أمه كاترينا التى قررت ألا تسمح لأى رجل بعد ذلك بأن يتحكم فى حياتها. وفى هذه المرحلة بالتحديد ظهرت الطبيعة الفولاذية الصلبة فى شخصيتها ، وقد كتبت كاترينا فى مذكراتها بعد ذلك تعترف بأن مأساتها الكبرى هى أن قلبها لم يكن يشعر بالسعادة ولو للحظة واحدة بدون حب ، وقد ظهر فى حياتها بعد ذلك شاب جديد يغلب عليه الطابع الرومانسى ويدعى الكونت ستانيسلاسى بونياتوفيسكى لم يكن بونياتوفيسكى انيقا مثل سلفه عشيق كاترينا السابق سالتيكوف ، ولكنه كان صاحب عقلية متحضرة وشخصية شديدة الحساسية ، وكانت كاترينا تريده، بل وتشتهيه . وهكذا بمجرد أن وضعت عينيها عليه قررت ان يكون لها ولم تكن أمامه كغيره من عشاق كاترينا أى فرصة للهروب من قبضتها ، وهكذا أصبح بونيا توفيسكى يتنكر ليلاً فى هيئة ترزى أو موسيقى حتى يتمكن من الدخول إلى القصر الإمبراطورى وبالتحديد إلى جناح الدوقة كاترينا .

ورغم ذلك فقد ألقت الحراسة القبض عليه ذات صباح ، وهو يتسلل خارجاً من مخدع الدوقة وتم اقتياده إلى زوجها الدوق الأكبر الذى طلب منه الإعتراف بالحقيقة ووعده بالعفو عنه إذا قال الصدق. ولم يكن الدق مهتماً بمغامرات وزوجته العاطفية، ولكنه كان يحب ان يعرف حقيقة ما يجرى من وراء ظهره بالتفصيل ، كانت لحظة شديدة الصعوبة بالنسبة للعشيق بونياتوفيسكى الذى كان يدرك جيداً مدى جنون الدوق الأكبر، وإمكانية أن يأمر بقطع رأسه فى أى لحظة . ولكن الغريب أن الزوج المطعون فى كرامته وشرفه تجاهل الأمر برمته بل دعا عشيق زوجته للعب الورق معه، بعد أن أعترف له بتفاصيل علاقته بكاترينا !!

وقد استخدم بعض السياسيين الروس العشيق بونيا توفيسكى كلعبة فى الصراعات التى شهدتها العاصمة الروسية فى ذلك الحين سان بطرسبورج ، وفى النهاية ، تقرر طرد العشيق ليعيش بقية حياته منفياً خارج روسيا .

بعد سنوات تذكرت كاترينا بعد ان بلغت أوج قوتها ونفوذها أنه كان عشيقاً لها ذات يوم فجعلته ملكاً على بولندا ، ثم أرادت إذلاله وعقابه على الاعتراف لزوجها بعلاقتهما فتركته على العرش لمدة عام واحد، ثم جعلته يتنحى عن المنصب دون أى سبب واضح، ومات الرجل المسكين بسبب شدة إحساسه بالمهانة والإذلال .

بعد فترة قصيرة ، دخل حياة كاترينا رجل آخر ، يوصف تاريخياً بأنه من أهم وأبرز عشاقها وهو جريجورى أورلوف الذى كان ينتمى لأسرة تترية عريقة، وله خمسة أخوة يحظون بسطوة ونفوذ هائلين .

لم يكن أورلوف على درجة كبيرة من الذكاء، ولم يكن عذب الحديث بالشكل الذى يمكن أن يجذب أى إمرأة ، ورغم ذلك كان فحلاً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، واستطاع أن يروى كل ظمأ كاترينا للحياة . ومن الناحية السياسية ، كان أورلوف يمثل خياراً عبقرياً من جانب كاترينا فقد كانت عائلة بأسرها تشعر بالفخر لأن الدوقة الكبرى اختارت رجلاً منها لكى يكون عشيقاً لها ، ولذلك تعهدت هذه العائلة القوية بالولاء المطلق لها ، وكان هذا الولاء شديد الأهمية نظراً لأن قادة الجيش الروسى كان من بينهم عدد كبير من أفراد أسرة أورلوف وبالتالى فقد ضمنت كاترينا أيضاً ولاء الجيش لها .

شراسة القيصر

فى يوم عيد الكريسماس عام ١٧٦١ ، توفيت الإمبراطورة اليزابيث فجأة ، وأصبح ابن شقيقها القبيح والعاجز الذى عاش حياته كلها فى رعب منها قيصراً لروسيا ، يحمل لقب بطرس الثالث ، وقد أصبح زوج كاترينا شديد الشراسة بعد أن حمل لقب القيصر، وتجمعت بين يديه كل السلطات . ومنذ اللحظة الأولى ، أظهر بطرس الثالث هذه الشراسة ، فخلال جنازة عمته الإمبراطورة اليزابيث أخذ يسخر منها وينتقدها بشدة على عكس زوجته كاترينا التى حرصت على ارتداء ملابس سوداء ورافقت جثمان المرأة التى كانت تكرهها حتى مثواها الأخير .

وقد حملت كاترينا للمرة الثانية ، وكان الحمل هذه المرة من أورلوف ، وعندما وضعت وليدها أرسلته إلى إحدى المرضعات لتقوم بتربيته ، وعندما علم الزوج القيصر بأن زوجته انجبت ابناً ثانياً اشتعل غضبه، وهدد أمام رجال البلاط بقتل هذه المرأة التى وصفها بأنها باردة كالثلج. وخلال إحدى المآدب فى القصر الإمبراطورى شرب القيصر حتى الثمالة ، ثم وقف أمام الجميع ليقول : "الله وحده يعلم من أين تأتى هذه المرأة بهؤلاء الأطفال ولكنى أعرف على الأقل أنهم ليسوا أبنائى" .

ومنذ هذه اللحظة قررت كاترينا بينها وبين نفسها أن هذا الزوج العاجز أصبح خطراً عليها بعد أن تخلى عن صمته وأصبح عاجزاً أيضاً عن إغلاق فمه .

بدأت كاترينا تتآمر للاطاحة بزوجها بطرس الثالث من على عرش روسيا، ولكنه ساعدها بحماقته وحفر قبره بيديه بعد أن أصيب بجنون السلطة، فأخذ يدخل فى صراعات لا مبرر لها . تزايد أعداؤه بشكل ملحوظ فى كل مكان، فقد سخر من الكنيسة الأرثوذكسية ومعتقداتها وقياداتها ، وسرعان ما وقع الانقلاب الذى أطاح ببطرس الثالث ووضع كاترينا على عرش روسيا وحدث هذا التغيير الرهيب خلال ليلة واحدة دون إتاحة الفرصة لأحد لكى يفهم حقيقة ما حدث.

وفى يوم الأحد ، ٣٠ يونيو ١٧٦٢ دخلت كاترينا سان بطرسبرج وسط أسرة عشيقها من آل أورلوف واستولت على السلطة دون إراقة قطرة دماء واحدة، وفى أول لقاء بالجماهير ظهرت كاترينا وسط ٢٠ ألف جندى يرتدون ملابس الضباط لتوحى بأن قادة الجيش كلهم معها، ولم يعرف أحد فى ذلك الحين أن الضباط من أسرة أورلوف هم الذين جمعوا هؤلاء الجنود وخططوا للمسرحية التى أقنعت الجميع على ثقة من أن الجيش الروسى بأسره يقف وراء كاترينا .

أما الزوج بطرس الثالث ، فقد انتزع من على كرسى العرش، وتم وضعه فى عربة، وهو يرتعد

خوفاً، وانطلقت العربة إلى سجن رهيب، كان مجرد ذكر اسمه يثير الرعب، وهو سجن شلوسلبرج لكى يعيش بقية حياته وراء القضبان. وقد ناشد بطرس الثالث زوجته كاترينا ان تسمح له باصطحاب أربعة أشياء إلى السجن هى عشيقته وكلبه وخادمه والكمان الخاص به، ولكن كاترينا قالت أنها توافق على الأشياء الثلاثة الأخيرة لأنها على ثقة من أنه لن يحتاج أبداً للعشيقة، وخوفاً من تفجر فضيحة إذا وجد زوجها فى مكان واحد مع إمرأة ! !

وبعد ثلاثة أسابيع من الحياة فى السجن، مات بطرس الثالث وظلت ، كاترينا تؤكد أنه توفى بالسكته القلبية رغم أن ذلك لم يكن صحيحاً، حيث تأكد بعد ذلك ان قيصر روسيا السابق لم يمت فى ظروف طبيعية، بل نتيجة لدس السم له فى الشراب، وعندما لم يحدث السم مفعولاً سريعاً قام أحد أشقاء عشيق الملكة أورولوف بخنقه داخل زنزانته بمفرش المائدة وأقسمت كاترينا بأنها لم تتوسط فى هذه الجريمة، ولكن أحداً لم يصدقها وتأكد الجميع من أنها قتلت زوجها لأنها اعتقدت أنه سيظل خطراً عليها حتى وهو فى السجن .

تخلصت كاترينا بعد ذلك من خطر آخر كان يهدد عرشها، كان هذا الخطر يتمثل فى شاب نحيل الجسد حاد القسمات عمره ٢٢ سنة، وكان هذا الشاب مسجوناً منذ سنوات، وقد فقد عقله تقريباً بسبب حياة العزلة التى عاشها وراء القضبان، حيث كان يطلق عليه اسم السجين رقم واحد ، هذا الشاب السجين لم يكن سوى إيفان السادس الوريث الشرعى لعرش روسيا والذى وضعته الإمبراطورة اليزابيث فى السجن منذ بلغ السادسة من عمره. ولم يكن إيفان يعرف شيئاً عن العالم سوى جدران السجن، وقد توجهت كاترينا لزيارته فى زنزانته وكان الشئ الوحيد الذى يتذكره ويردده بشكل متواصل هو أنه الوريث الشرعى للعرش وأخذت كاترينا توجه إليه نظرات باردة كالموت، ثم غادرت الزنزانة وأصدرت أوامرها بمضاعفة الحراسة حوله وبأن يتم قتله إذا وقعت أى محاولة لإنقاذه من السجن. كانت كاترينا تدرك أن لديها أعداء وبعضهم بدأ يتحدث بالفعل عن حق إيفان فى العرش والتخلص من المرأة الألمانية التى أصبحت تحكم روسيا .

وذات ليلة ، قام أحد ضباط السجن ويدعى باسل مورفيتش بطعن إيفان بالسيف حتى الموت، وترددت أقاويل عديدة تؤكد أن هذا الضابط لم يتصرف من تلقاء نفسه، وأنه نفذ أمراً من كاترينا بقتل الوريث الشرعى لعرش روسيا .

صراع مع الابن

بعد ذلك لم يعد هناك منافس لكاترينا أو مصدر خطر على عرشها سوى ابنها الدوق بول الذى كانت تحبه بشدة، ولكنها بدأت تعامله بقسوة منذ أن تجرأ وسألها عن الظروف التى أحاطت بقتل والده. ومنذ ذلك الحين ، قررت كاترينا أن تمحو تماماً شخصية ابنها وان تبقيه دائماً فى دائرة الظل .

ولا شك أن هدف كاترينا كان هو دعم قوة روسيا وسيطرتها على جميع الإمبراطوريات الأخرى فى ذلك الحين وتوسيع حدودها لأقصى مسافة ممكنة، وكانت إرادة كاترينا صلبة كالصخر عندما يتعلق الأمر بإحدى رغباتها، ورغم ذلك لم تفعل أى شئ لتخفيف ظروف الحياة القاسية التى كان يعانى منها الملايين من أبناء الشعب الروسى وخاصة الفلاحين الذين كانوا يعملون كالعبيد بالسخرة فى أراض ومزارع الأثرياء والنبلاء، وخلال حكم كاترينا لروسيا كان سعر الكلب ٢٠٠٠ روبل والعبد الأجير ٣٠٠ روبل ، وكان سعر الفتاة الفلاحة الصغيرة لا يتجاوز مائة روبل فقط .

لم تنس الإمبراطورة كاترينا ما فعلته أسرة أورلوف لمساعدتها وخاصة عشيقها جريجورى وأخوته الخمسة الذين ظلوا فى خدمتها عشر سنوات ، لذلك قدمت لهم ٧ ملايين روبل كمنحة بخلاف الهدايا من القصور والأراضى والمجوهرات ، ويكفى للتدليل على ثراء الاخوة أورلوف أنهم كانوا يمتلكون ٤٥ ألف عبد يعملون فى أراضيهم بلا مقابل .

الحب الكبير

ظل جريجورى أورلوف هو الحب الكبير فى حياة كاترينا، وقد سمحت له بأن يرتع كما يشاء فى البلاد ، لدرجة ان الناس بدأت تستاء من نفوذه المتعاظم ، ووصلت الأمور إلى حد أن جريجورى أورلوف بدأ يتطلع لما هو أكبر من دوره كعشيق للإمبراطورة ، وحاول اقناع كاترينا بأن تتزوجه، ولكنها رفضت طلبه وفى نفس الوقت أدركت أنه يجب أن يخرج من حياتها بعد أن تمرد على وضع العشيق . وهكذا منحته لقب أمير وأرسلته فى رحلات عديدة إلى مختلف أنحاء أوروبا بعد أن أقنعته بأن هذه الرحلات ستبرز صورته وربما تؤهله للزواج من الإمبراطورة ، ورغم ذلك فقد وصف سياسى أوروبى أورلوف بأنه مثل إناء ممتلئ بالماء وموضوع فوق النار فيظل يغلى ويغلى دون أن يطبخ شيئاً، وبعد عودته من هذه الرحلات منحته كاترينا قصراً وقدم لها

ماسة فارسية شهيرة اسمها نادر شاه ، أطلق عليها بعد ذلك اسم ماسة أورلوف. ورغم ان كاترينا استعادت مشاعرها القديمة تجاه أورلوف بعد عودته من رحلاته الطويلة إلا أن مكانه لم يعد شاغراً ، لأنها ارتبطت أثناء غيابه بعشيق آخر وهو شاب أسمر البشرة يدعى فاسيل شيكوف وعندما علم أورلوف بذلك فقد صوابه ولكن الوقت كان قد فات بالنسبة لعمل أى شئ ولم تتوقف قائمة عشاق كاترينا عند هذا الحد فقد كان هناك واحد من أشهر هؤلاء العشاق وهو الأمير بوتمكين .. كانت كاترينا قد بلغت الخامسة والأربعين عندما وقعت فى غرام هذا الأمير، فاتخذت جانب المبادرة ، وكتبت له عدة خطابات تعترف فيها بحبها له ، وبأنها تريده ، وفى أحد هذه الخطابات تقول إمبراطورة روسيا لبوتمكين أن كل خلية فى جسدى تهفو إليك أيها العاشق الهمجى المتوحش .

أما بوتمكين فقد كان هدفه من هذه العلاقة مع الإمبراطورة هو السلطة والنفوذ، ورويداً رويداً، استطاع بوتمكين اقناع كاترينا بأنه أكثر من عاشق، حيث كان يناقش معها أمور الدولة خلال لقاءات الحب المحرم بينهما وشاركها بوتمكين أحلامها فى إقامة روسيا العظمى سيدة العالم، ولكن لسوء حظ الاثنين توفى الأمير بوتمكين ، وعندما سمعت كاترينا بنبأ وفاته سقطت مغشياً عليها .

انتقلت كاترينا بعد ذلك إلى سلسلة لا تنتهى من العلاقات الغرامية مع شباب صغار السن، فقد كانت تعبد الفتوة والشباب بصرف النظر عن فارق السن ، أو المكانة الإجتماعية وانفقت إمبراطورة روسيا مبالغ طائلة على هؤلاء العشاق الشبان وقدر بعض المؤرخين ما دفعته كاترينا لهؤلاء الشبان بحوالى مائة مليون روبل نقداً بخلاف الهدايا والمنح العينية ورغم هذه العلاقات المتعددة ، إلا أن وفاة بوتمكين كانت ضربة قاصمة لكاترينا ، وهى ضربة لم تشف منها أبداً وكان آخر عشاقها شاباً من البلاط ويدعى بلاتو زوبوف وكان يصغرها بأربعين عاماً ، وقد قتل زوبوف ابنى الإمبراطورة فى محاولة لتمهيد الطريق أمامه حتى يصل إلى العرش .

وجاءت نهاية كاترينا بشكل مفاجئ حين أصيبت بجلطة ، ولفظت أنفاسها الأخيرة فى فراشها ليلة السابع من نوفمبر عام ١٧٩٦ .

ماری أنطوانيت
على مقصلة الثورة الفرنسية

هى إمرأة اختلف حولها المؤرخون .. البعض وصفها بأنها شيطانة تتحمل مسئولية سقوط لويس السادس عشر من على عرش فرنسا والبعض الآخر رأى أنها مجرد ضحية دفعت ثمن جرائم لم ترتكبها ..

عندما انفجر الموقف فى باريس فى شهر يوليو ١٧٨٩ خرج العامة إلى الطرقات يدمرون كل شئ وهم يهتفون "الموت لمارى أنطوانيت" "وأقتلوا الفاسقة" وقد صدر الحكم بإعدامها بالمقصلة ونفذ الحكم فى باريس وسط جماهير الفرنسيين الذين أحبوها بشدة وكرهوها أيضاً بشدة .

ومارى أنطوانيت يذكرها التاريخ بأنها الشابة الجميلة المرحة ذات الوجه الملائكى ، والابتسامة البريئة .. وأنها زوجة ملك ضعيف لم يستطع الحفاظ على عرش فى مواجهة الثوار .

ويذكرها التاريخ أيضاً بأنها الملكة المنحوسة التى فقدت أصدقاءها وزوجها ثم أولادها وماتت على المقصلة وسط جموع من رعاياها الذين كانوا يهيمون بها عشقاً فى يوم من الأيام .

ولدت مارى أنطوانيت فى ٢ نوفمبر ١٧٥٥ ، وهى الابنة الصغرى للإمبراطورة ماريا تيريزا والإمبراطور فرانسيس الأول حاكما الإمبراطورية الرومانية المقدسة . وتوفى والدها وهى لا تزال

فى العاشرة من عمرها ، تاركاً مارى وسبعة أطفال آخرين للإمبراطورة ماريا لتقوم بتربيتهم إلى جانب رعاية شئون الإمبراطورية الواسعة ، وقد أتقنت الإمبراطورة ماريا بسرعة فن السياسة ، وعرفت فى جميع أنحاء أوروبا بالذكاء الشديد والحكمة والإقتدار . كما أنها كانت أماً عملية أيضاً ، استطاعت أن تدبر لأولادها بنين وبنات زيجات تحقق من ورائها مكاسب سياسية ، عندما كانوا لا يزالون يلعبون بالدمى والعرائس الصينية . وبالنسبة لمارى أنطوانيت ، فقد تمكنت الإمبراطورة من تدبير أفضل زيجة لها بخطبتها إلى الأمير لويس حفيد لويس الخامس عشر ، ووريث عرش فرنسا ، فعندما يأتى دوره سوف يحكم أجمل بلاد أوروبا ، وسوف تكون الأميرة مارى أنطوانيت بجواره على عرش فرنسا .

كانت الأميرة التى تربت لكى تصبح ملكة ، طفلة مفعمة بالحيوية ، محبة للحياة لا تعبأ بهمومها .. وقد وجدت الحياة حولها مفعمة بالبهجة .

لم تكن مارى أنطوانيت الصغيرة جميلة بالمقاييس التقليدية القديمة ، فقد كان جمالها روحانياً وكانت لها بشرة صافية رقيقة أو شعر حريرى طويل ، وقوام ورشاقة لم يخلقا إلا لملكة . وكانت عيناها الزرقاوين هما أبرز ملامحها . وكان بريق عينيها الأخاذ يعكس حيويتها وحبها للحياة . هاتان العينان اللتان وصفهما أعداؤها فيما بعد بالعيون "الجريئة" و"والوقحة" .

ولأنها كانت الإبنة الأثيرة لأمها ، فقد كانت تتغاضى عن أخطائها أكثر من بقية إخواتها . كان الجميع يهرعون لتلبية كل ما يشتهيه قلبها . لذلك لم يكن غريباً أن تكبر مارى أنطوانيت وهى تعتقد أنها قادرة دائماً على أن تأسر قلب كل من يقابلها .

وفى عام ١٧٦٩ ، عندما كانت مارى أنطوانيت فى سن الرابعة عشر ، أعلنت رسمياً خطبتها إلى الأمير لويس ولى عهد فرنسا .

وبعد ذلك بعام واحد تقرر رحيل الأميرة إلى فرنسا للإلتقاء بزوج المستقبل ، والاستعداد لدورها الهام كملكة . وقبل رحيلها بعدة أسابيع أصبحت الملكة لا تنام إلا فى أحضان ابنتها الصغيرة وهو شئ لم تكن ماريا تفعله منذ كانت إبنتها فى سن الرضاعة .

كانت الإمبراطورة تشعر بالقلق ، عندما تنظر إلى الأميرة النائمة ، وتسأل نفسها : هل وفقت فى توفير النوع الصحيح من التربية لأبنتها ؟

إن الأميرة تعشق المرح .. ومدللة إلى أبعد حد .. واعتادت طوال حياتها أن تفعل كل ما تريد وأن تنال كل ما ترغب ..

ولكنها فى النهاية لم تكن تملك إلا أن تصلى من أجل أن تستطيع ابنتها الانسجام مع الحياة .. وألا تتعرض أبداً لأى إحباط أو ألم .

وفى عام ١٧٧٠ كانت مارى أنطوانيت قد بلغت سن الخامسة عشر . وكان عليها أن تستعد للرحيل إلى فرنسا ، وبالفعل تزينت الأميرة وارتدت أفخم الملابس الحريرية والحلى المرصعة بالأحجار الكريمة ورحلت عن موطنها الأصلى - إلى الأبد .

كانت الدموع تملأ عينيها - ولكنها كانت أيضاً متشوقة لخوض المغامرة .. وكانت أيضاً واثقة أنها سوف تكون محبوبة فى فرنسا وأنها سوف تنال إعجاب الجميع . وبعد أن تلقت من الإمبراطورة ماريا ساعة ذهبية صغيرة كهدية الزواج ، وكتذكار تحتفظ به ، قبلت مارى أنطوانيت أمها قبلة الوداع .. وكان هذا اللقاء هو آخر لقاء يجمعهما .

وفى أول ظهور لها فى فرنسا ، حققت نجاحاً كبيراً ، كان الملك العجوز لويس الخامس عشر رجلاً يقدر النساء الجميلات . بعد أن قابل مارى أنطوانيت لأول مرة ، هنأ نفسه على اختياره الموفق لعروس حفيده . وقد انبهر مستشارو الملك وحاشيته بالأميرة ، وأمطروها بوابل من كلمات الثناء والإطراء . أما الأمير لويس - الذى كان طفلاً فى السادسة عشر فقد بدا خجولاً ، ومرتبكاً . وبصعوبة بالغة تمكن من الإقتراب من الأميرة الحسناء - وطبع على خدها قبلة الترحيب !

هذا الإنطباع الأول للأمير عندما رأى خطيبته ظل ملازماً له طوال حياتها .. فقد كان دائماً يشعر بالهيبة تجاهها ، وكان دائماً على استعداد للإستسلام لكل رغباتها واهوائها لكى يفوز برضاها ، ويتجنب سخطها واحتقارها .

وقد شعرت مارى أنطوانيت بخيبة أمل شديدة عندما رأت لويس الذى لم تكن تصرفاته تليق بأمير وولى عهد أجمل الممالك الأوربية . فقد كان سمجاً ثقيل الظل ، محدود الذكاء ، وكانت متعته الوحيدة فى الحياة هى الأكل . وعلى النقيض من ذلك كانت مارى أنطوانيت رشيقة كالفراشة ، خفيفة الظل ، ومرحة ، ومحبة للحياة .

وعلى الرغم من ذلك لم تبد مارى أنطوانيت صدمتها والشعور بالإحباط الذى انتابها بعد رؤية زوج المستقبل .

وقد تحددت مواعيد الاحتفالات العامة ، وأعدت الزينات لحفل الزفاف . كانت هذه الاحتفالات هى الفرصة الأولى لأفراد الشعب لرؤية مارى أنطوانيت ملكتهم القادمة .

وهذه الاحتفالات قد تمنحهم الفرصة لينسوا القليل من متاعبهم وكدهم وشظف معيشتهم ، ولينسوا أيضاً الضرائب الباهظة التى يدفعونها لدعم النظام الملكى القائم .

تم الزواج فى باريس فى ١٦ مايو ١٧٧٠، وقد تلقت الأميرة المتألقة هتافات التهليل والتحية من آلاف من الناس البسطاء أثناء مرور موكبها بشوارع العاصمة الفرنسية . وقد وصلت الإحتفالات إلى ذروتها عندما أنطلقت فى الفضاء أضواء الألعاب النارية البراقة ذات الألوان المختلفة . وفى أثناء ذلك انقلبت عربة أحد السقائين فقتلت عدداً من الناس وأحدثت ضجة كبيرة وحالة من الهياج والإضطراب . ومع ذلك استمرت الاحتفالات الملكية حتى أثناء فحص وتفتيش جثث الضحايا لتحديد هويتهم . وقد اعتبر الكثيرون أن هذه الكارثة فأل سئ ونذير شؤم بأن حكم لويس ومارى أنطوانيت سوف يكون مأساوياً .

بعد الزفاف ، استقرت الأميرة مارى أنطوانيت فى البلاط الفرنسى ، فى قصر فرساى الفخم فى قلب العاصمة الفرنسية باريس . وبينما كانت حياتها العامة مثيرة ، فقد كانت حياتها الخاصة خاوية وموحشة . لقد كان الأمير لويس زوجاً متباعداً ، يبدى لزوجته القليل من الدفء والتفاهم . وفى ليال كثيرة كان يلتهم بسرعة وجبة العشاء ثم يغط فى نوم عميق وهو جالس على كرسيه . وعلى ما يبدو فأنه لم يكن يجد فى الحياة أى إثارة أو متعة . وكثيراً ما كان يكتب فى مذكراته "لم يحدث شئ اليوم" وحتى عندما بدأ العالم يتحطم فوق رأسه ظل يكتب هذه العبارة .

ولم يثبطها فتور زوجها تجاهها ، فقد كانت شغوفة إلى أبعد حد بحب الحياة ، مصممة على أن تعيشها كما تريد وأن تستمتع بكل شئ فيها ، فجمعت حولها مجموعة من الشباب من عشاق الحياة والمرح . ضمت هذه المجموعة شقيقى لويس الصغيرين ، بروفينس ، وأرتواز ، وابن عمه فيليب إيجاليت ، ثم أخته الصغرى الأميرة اليزابيث . كان هؤلاء الشباب يقيمون الحفلات للرقص والمرح ويخترعون الحيل والألاعيب للسخرية من الأمير لويس . كما اعتادوا على الزوغان من القصر ليذهبوا متنكرين خلف الأقنعة إلى قاعات الرقص الشهيرة فى باريس ويستمروا فى الرقص حتى الفجر . ولكى تقدم التسلية القصوى لأصدقائها ، تعمدت ذات مرة تقديم عقارب ساعة الأمير لويس حتى يذهب إلى النوم مبكراً عن وقت نومه المعتاد . وبذلك تستطيع أن تقضى هى وأصدقاؤها وقتاً أطول فى اللعب والمرح .

وفى عام ١٧٧٤ ، أى بعد مرور أربع سنوات على الزواج ، توفى الملك لويس الخامس عشر فجأة بمرض الجدرى . وعندما علم لويس وزوجته مارى أنطوانيت بخبر وفاة الملك أحسا بأنهما

صغيران جداً على الحكم . فعمر لويس لم يتجاوز العشرين ، وماري أنطوانيت لم تتعد أيضاً التاسعة عشر وكانت فرنسا في ذلك الوقت دولة محاصرة بالأزمات الداخلية . ومع ذلك توج لويس في يونيه ١٧٧٤ ، وأصبحت ماري أنطوانيت ملكة فرنسا .

وقد كانت لماري أنطوانيت شعبية كبيرة خلال سنوات حكمها الأولى ، على الرغم من سلوكها الطائش وإسرافها الشديد . وقد كانت تبدو كأنها الحاكم الحقيقي للبلاد وأن لويس مجرد مرافق لها . وكان الناس يصفقون لها بحرارة في مرات ظهورها القليلة في باريس . وتحدثت أوربا كلها عن جمالها وسحرها . لقد كانت ماهرة جداً ذات ذوق رفيع في وضع موضات الملابس وقصات الشعر . وقد كانت الشخصية الأثيرة لدى الصاغة وبائعي الحلي والمجوهرات والملابس ومصففي الشعر في أوروبا . وقد ظلت ماري أنطوانيت محتفظة بحب هؤلاء الناس وولائهم حتى آخر لحظة ، حتى بعد أن انقلب عليها الجميع وطالبوا بسقوطها .

تركت ماري أنطوانيت ثيابها المرصعة بالجواهر في قصر فرساي وأقلعت عن تسريحة الشعر المتأنقة لكي تكتسب مظهر الفتاة الريفية البسيطة عندما انتقلت مع زوجها إلى منزل ريفي صغير بالقرب من قصر فرساي . فقد أصبحت الحياة في القصر رسمية للغاية بحيث لم تعد تحتملها الأميرة التي تتمتع بروح عالية وحب المرح والبساطة . لقد سأمت الحياة في قصر فرساي الذي وصفته بأنه "حوض أسماك" تعيش فيه محاطة بمئات من الخدم والحشم . وبمجرد الانتقال إلى منزل "بيتيت تريانون» أصبحت تستمتع أكثر بحياتها الخاصة ، وأصبحت البساطة هي هدفها الأساسي . والمثير للسخرية أن هذا المنزل الصغير تكلف أموالاً طائلة حتى يكتسب مظهر البساطة التي تريدها الملكة . فقد تم تغيير ديكورات المنزل بالكامل . وتم استبدال دولاب ملابس الملكة بدولاب آخر ليمنح الملكة المظهر غير الرسمي البسيط لبائعة لبن قروية . كما تم تصميم قبعات «بسيطة» من القش للملكة تكلفت أكثر مما يحصل عليه عامل فرنسي في عام كامل .

أنجبت ماري أنطوانيت أربعة أطفال خلال الفترة بين ١٧٧٨ و١٧٨٦ . توفي اثنان منهما في الطفولة المبكرة ، وبقي اثنان فقط هما ماري تيريزا "على اسم إمبراطورة النمسا ، أم الملكة ماري أنطوانيت" وقد ولدت عام ١٧٧٨ ، ولويس ولي العهد ولد في ١٧٨٥ . وقد كانت ماري أنطوانيت أما عطوفة لأولادها ، وكانت تستمتع باللعب معهم إلى أقصى حد . ومع ذلك فقد كانت تعهد بهم كثيراً إلى الآخرين من أجل إرتباطاتها وحياتها الإجتماعية المشحونة .

وقد ظل لويس خادماً مطيعاً لزوجته ملبياً لكل رغباتها ، حتى عندما كان لذلك تأثير سلبي على السياسة . فقد كانت دائماً تصر على تعيين أصدقائها في البلاط الملكي وبمرتبات باهظة . وكانت تسرف كثيراً في منحهم مكافآت وعلاوات كبيرة بشكل مستمر. وبسبب إسرافها الشديد، دون حساب أو مراجعة، أصبحت الخزانة الملكية على حافة الإفلاس وهذا بدوره أدى إلى زيادة الضرائب على عمال فرنسا الذين يئنون بالفعل من وطأة الضرائب الثقيلة عليهم . وعندما أصر مستشارو الملك في النهاية على تخفيض الميزانية الملكية ، طلبت منه أن يعزلهم .

أصبحت ماري أنطوانيت هي أكبر عبء على الشعب الفرنسي . وأصبح الناس يلقبونها بـ «مدام ديفيسيت» أي "مدام عجز الموازنة" ولم يعودوا يصفقون ويهللون لها عندما تعبر بموكبها شوارع باريس . ولم يعودوا يتغاضون عن أخطائها وعيوبها ببساطة بسبب جمالها وشبابها . لم تعد ماري أنطوانيت هي تلك التحفة أو القطعة الأثرية الدولية . لقد كان الناس يتغيرون نحوها وأرادوا أن تعرف هي ذلك .

وقد زاد الإضطراب – وما لبث أن تحول إلى ثورة عارمة ولم تعد أفكار الحرية والمساواة مجرد مثل وأفكار مجردة . لقد سأم الشعب الفرنسي من مساندة حكومة ضعيفة لا تعطيهم شيئاً سوى الضرائب الباهظة والحروب التي لم يكونوا يرغبون فيها .

كان من الممكن أن يسامح الشعب الفرنسي ملكه لويس السادس عشر لو كان الأخير قد أبدى بعض الاكتراث بمطالبهم ، ولكن كلامه ، وتصرفاته دلت على العكس . فعندما طالب الشعب بتخفيض الضرائب وعدد آخر من الإصلاحات ، رفض الملك ووصفهم بأنهم "عاجزون عن التفكير» لقد استنتج الناس من كلام وتصرفات لويس شيئاً واحداً "هو أن زوجته الأجنبية"هي التي أثرت عليه ودفعته إلى ذلك .

كانت مطالب أفراد الشعب وشكاواهم من الفقر وشظف العيش ، والعجز عن مواجهة متطلبات الحياة .. غريبة على ماري أنطوانيت . وقد كانت تعتقد حتى آخر لحظة أنها معصومة من الخطأ ومن النقد أيضاً . لذلك انسحبت داخل عالمها الخاص عندما رأت خيوط الكراهية والانقسام تلتف من حولها واثقة بأنها مجرد عاصفة سرعان ما تمر بسلام .

وعندما قيل لماري أنطوانيت بأن الشعب لا يجد الخبز قالت : "فليأكلوا الكعك أو الحلوى"ويقول بعض المؤرخين إن ماري أنطوانيت كانت تعني ما تقوله وأنها كانت غافلة تماماً عن حجم المأساة التي كان يعيشها الشعب ، ولكن معظم المؤرخين يقولون إن ذلك غير صحيح.

ولكن هذا الموقف وغيره من القصص الأخرى التى انتشرت فى كل أنحاء فرنسا فى ذلك الحين ساهمت إلى حد كبير فى السقوط الرهيب والمصير المأساوى الأليم الذى واجهته مارى أنطوانيت وزوجها ، وعندما تزايدت الكراهية لدى الشعب الفرنسى لمارى أنطوانيت وزوجها وكل من يقف إلى جانبهما ارتفعت الأصوات عالياً مطالبة بالثورة . ولم يمض وقت طويل حتى ظهر عدد من القادة وتجمع وراءهم عدد كبير من الناس بهدف إسقاط النظام الملكى ونسف التقسيمات الطبقية فى فرنسا .

وبمجرد إندلاع الثورة توالت الأحداث بسرعة رهيبة . ففى ١٤ مايو ١٧٨٩ حمل مواطنو باريس السلاح واقتحموا سجن باستيل الحصين ، وقتلوا رئيسه ، وأطلقوا سراح جميع المعتقلين، الذين كان معظمهم من أعداء النظام الملكى ، واستولوا على أكثر من ٣٠ ألف بندقية . وخلال الأيام والأسابيع التالية هرب عدد كبير من نبلاء فرنسا إلى انجلترا ، وبعض الدول الأخرى خوفاً من بطش الثوار . وقد تم اعتقال من بقى منهم وإلقائهم بالسجون . وعندما زادت قوة الثورة ، تم إعدام آلاف من المعتقلين السياسيين على المقصلة . وقد كانت هذه المجزرة هى أبرز ملامح فترة "حكم الرعب" التى استمرت حتى إنتهاء الثورة فى ١٧٩٤ .

لم تفكر مارى أنطوانيت فى الهروب وفضلت البقاء بجانب زوجها ، على الرغم من إحساسها الرهيب بالوحدة بعد أن هجرها معظم الأصدقاء ، وبدا المستقبل كئيباً مظلماً خالياً من أى بارقة أمل .

وفى الخامس من أكتوبر عام ١٧٨٩ تسللت إحدى عصابات الثوار إلى داخل قصر فرساى وأسروا جميع أفراد الأسرة المالكة ، وفى اليوم التالى نقل لويس ومارى أنطوانيت وطفلاهما إلى باريس وحبسا فى قصر توليرى . وعندئذ صاح الثوار "لقد قبضنا على الخباز ، وزوجته وإبنه . الآن سوف نحصل على الخبز"

وقد بقى الملك لويس وزوجته اسراء فى قصر توليرى لمدة عامين تقريباً . ولم تكن معاملتهما سيئة ، بل كانا يعيشان فى راحة نسبياً مع طفليهما ، والأميرة اليزابيث شقيقة الملك، وعدد من الخدم المفضلين عندهم . وخلال هذه الفترة التى قضتها مارى أنطوانيت فى السجن كانت تتحلى بالقوة والشجاعة من أجل طفليها .

وفى ٢٠ يونية عام ١٧٩١ قامت الأسرة الملكية بمحاولة للهروب من باريس فى وسط الليل ولكن المحاولة فشلت وتم القبض عليهم فى وقت مبكر من صباح اليوم التالى ، واعيدوا إلى

قصر توليرى مرة أخرى . وبعد وقت قليل تم نقلهم إلى مبنى حقير مظلم فى باريس يسمى المعبد. ورفض الملك لويس بإصرار مطالب الثوار ، فشكلت له محاكمة فى يناير ١٧٩٣ . لم يصدق لويس حتى آخر لحظة أن شعبه يمكن أن يطيح به من الحكم . وعندما أصدرت المحكمة قرارها بإعدامه كانت صدمة حقيقية له . وسمح للويس بقضاء ساعتين مع أسرته فى الليلة السابقة لتنفيذ حكم الإعدام . كان المشهد مأساوياً ، وتمزقت القلوب حزناً وبكى الجميع بحرارة . وبعد خروج الملك ، قضت مارى أنطوانيت الليلة الطويلة منصتة فى كآبة وحسرة إلى دقات ساعتها الذهبية وهى تعلن انقضاء الساعات الأخيرة من حياة زوجها . وعندما ارتفعت دقات أجراس باريس فى صباح اليوم التالى ، عرفت الملكة أن كل شئ انتهى وأن لويس مات .

لم يشعر الثوار بالرضا لقتل الملك ، أو قتل الآلاف من النبلاء . لقد كانوا يرون أن المجرم الحقيقى هو الملكة التى تجسد فى أعينهم رمز الإسراف والفساد . وارتفعت هتافات أعداء مارى أنطوانيت فى كل مكان تردد "اقتلوا الأجنبية" و"اقتلوا النمساوية" بينما بقى محبوها ومن أظهروا بعض الرحمة والتعاطف معهما صامتين .

بقيت مارى أنطوانيت فى المعبد مع طفليها والأميرة اليزابيث لعدة أسابيع بعد مقتل الملك لويس . ثم جاء ثلاثة رجال أقوياء فى إحدى الليالى بدون سابق إنذار ليأخذوا إبنها لويس، تعلقت الملكة بابنها وباستماتة دخلت معهم فى معركة عنيفة، وهى تصرخ فيهم "لن تأخذوه منى حتى تقتلونى أولاً" ولكنهم استطاعوا بسهولة فصل لويس الصغير عن أمه ويأخذوه إلى مكان آخر من المعبد .

وبعد عدة أيام نقلت الملكة من المعبد إلى حجرة صغيرة قذرة فى السجن العام . ووضعت تحت حراسة مستمرة ، ولم يسمح لها بأن تكون بمفردها حتى عند إرتداء أو خلع ملابسها ، وكان المظهر الوحيد للتعاطف معها هو وجود خادمة معها تدعى روزالى، لم يتركوا لها أى شئ حتى الساعة الذهبية الثمينة سلبوها أيضاً . وفى السجن أعطوها ثوبين فقط أحدهما أبيض والآخر أسمر وقطع قليلة من الملابس الداخلية . ومع ذلك فقد استطاعت روزالى أن تهرب مشطاً وعلبة بودرة للملكة .

كانت الأيام طويلة ومقفرة ، طلبت مارى أنطوانيت بعض الإبر لكى تقوم بأشغال الإبرة لكنهم رفضوا . كانت تقضى معظم وقتها ، محدقة فى يديها ، وبين وقت وآخر تنقل خاتم زفافها من إصبع إلى آخر .

ماری أنطوانيت - المرأة التی كانت تملك كل شئ - أصبحت لا تملك أی شئ حتی مجرد الأمل أو الحلم - ممزقة بين زوج رحل وترك الحياة إلی الأبد - وابن مجهول المصير وأغلب الظن أنه قتل ، وبين أيام جميلة ولت ، وأيام مظلمة تعيشها ، وأيام أكثر ظلمة تنتظرها . لم تكن ماری أنطوانيت قد أكملت الثامنة والثلاثين ومع ذلك أبيض شعر رأسها تماماً وذبل بريق العينين الساحرتين ، وانهدالقوام البديع، وشحب لون البشرة الناصعة البياض . كانت ماری أنطوانيت مريضة ، وعندما جاء وقت المحاكمة شك الكثيرون فی قدرتها علی تحمل الموقف . ولكنها تحاملت علی نفسها ، واستطاعت بشكل مذهل أن ترد علی جميع الأسئلة لدرجة أن بعض الحاضرين أعتقد أنها سوف تنال حكماً بالبراءة . ولكن الحكم كان قد صدر بالفعل قبل المحاكمة . وفی ظهيرة يوم ١٥ أكتوبر ١٧٩٣ صدر الحكم بإعدام ماری أنطوانيت بالمقصلة قبل ظهر اليوم التالی .

قضت ماری أنطوانيت ليلتها الأخيرة فی كتابة رسالة طويلة إلی شقيقة زوجها اليزابيث تركز بشكل كبير علی أولادها ، ولكنها تتحدث فی بعض الأجزاء عن أحاسيسها الداخلية . وقالت فی رسالتها أنها بريئة من كل إثم ألصق بها ، وأنها عاشت حياتها لأسرتها فقط .. وتقول فی أجزاء الرسالة أننی أطلب المغفرة والصفح عن أی ألم أو حزن تسببت فيه بدون قصد وقالت أيضاً أنها مستعدة للموت ، وطلبت من اليزابيث أن تكون أماً لطفليها . ولسوء الحظ أن الخطاب لم يصل إلی اليزابيث لأنها هی الأخری تم إعدامها علی يد الثوار . ويختلف المؤرخون حول مصير لويس الابن ، ولكن الرأی الغالب يقول أنه اغتيل علی يد مختطفيه .

استيقظت ماری أنطوانيت عند الفجر . والحقيقة أنها لم تنم ليلتها .. وكانت روزالی طوال الليل تسمع نشيجها وبكاءها الحار .. لم تستطع الملكة أن تعرف كم تبقی لها من الوقت بدون الساعة الذهبية .. هدية الأم عند الزواج ولكنها كانت تعرف فقط كم انقضی من الوقت . وبمساعدة روزالی ارتدت ثيابها بعناية وغيرت ملابسها الداخلية وارتدت ثوباً خارجياً أبيض . كان الحرس يراقبونها فی كل حركة حتی انفجرت فی الصراخ وقالت "باسم الرب أتوسل إليكم أن تبعدوا عيونكم عنی" فاستدار الحراس وابتعدوا قليلاً وهم ينظرون إلی الأرض .

أخيراً جاء الجلاد ومعه أربعة رجال آخرون يرتدون ملابس سوداء ليأخذوها إلی المقصلة . كانت روزالی قد نسقت شعر الملكة بدقة ، ولكن الجلاد استخرج مقصاً كبيراً وقص به شعر الملكة ثم وضع الشعر فی جيبه ليحتفظ به كتذكار . ظلت الملكة هادئة وشجاعة طوال ذلك

الوقت ، ولكن عندما رأت أنها سوف تذهب إلى المقصلة على عربة "كارو" تستخدم لنقل المواشى أطلقت صرخة يأس .. إن الملك لويس على الأقل نال شرف الانتقال فى عربة كبيرة.

كانت شوارع باريس مزدحمة بآلاف من الناس الذين اصطفوا على جانبى الطرقات لمتابعة المشهد المهيب . فى البداية ، وجهت الملكة بصرها إلى الإمام مباشرة ثم دفعها شئ ما إلى تحويل بصرها إلى الوجوه المصطفة على الجانبين - نفس الناس الذين اصطفوا من قبل ونفس الشوارع أيضاً .. ولكن شتان ما بين هذه المرة وكل المرات السابقة . أنها الآن لا ترى فى أعينهم إلا الكراهية . وعند نقطة معينة شاهدت طفلاً صغيراً رفعته أمه بيديها لكى تتاح له فرصة أفضل للمشاهدة ، يقذف لها ببراءة قبلة بيده فى الهواء . ولما رأت الملكة ذلك تمكنت فقط من رسم ابتسامة شاحبة على وجهها الذابل .

كانت المقصلة منصوبة فى ميدان الثورة بالقرب من قصر توليرى . وعندما وصلوا قفزت مارى من العربة بدون مساعدة، وارتقت الرصيف بشجاعة . وقد كانت فى عجلة لدرجة أنها داست بقدمها على يد الجلاد بمحض الصدفة . وبسرعة اعتذرت وقالت له "عفواً سيدى" ثم نظرت فى وجهه وقالت "أنا لم أفعل ذلك بقصد" وكانت هذه هى آخر كلمات نطقت بها مارى أنطوانيت .. وفى لحظة لمعت شفرة المقصلة وتلألأت فى الفضاء ، ثم سقطت .. وانتهى كل شئ .

وفى الصور القليلة الباقية من تلك الفترة ، تبدو ملامح الملكة البريئة .. ونظرة عينيها الصافيتين كأنهما ترسلان استغاثة لأبناء الأزمنة القادمة بألا يقسوا عليها كما فعل معها أبناء زمانها.. ورجاء بألا نقتلها على مقصلة التاريخ كما قتلت من قبل على مقصلة الثورة.

لولا مونتيز
المرأة العنكبوت

طفلة شرسة .. تورطت فى عشرات العلاقات الغرامية وعملت كجاسوسة لحساب قيصر روسيا واتسع نفوذها فى بلدان عديدة من العالم ..

ومن أجل عينيها .. سقط الملك من العرش فى بافاريا !

وبسبب سحرها .. اندلعت الثورة فى بولندا

كانت لولا مونتيز أخطر إمرأة فى عصرها .. تسببت فى العديد من الكوارث .. وبسببها تفجرت ثورات وسقط ملك من على العرش ، وانهارت حياة عشرات الرجال المبدعين والأثرياء والمشهورين .

قال عنها أديب فرنسا الكبير الكسندر ديماس "أنها الهلاك بعينه لأى رجل يجرؤ على أن يقع فى حبها" .. كانت أسطورة فى المكر والخداع .. عشقت السياسة .. وعرفت من العشاق عدداً لا يحصى جذبهم جمالها الفتان فأحرقتهم نيرانها غير المقدسة .

زعمت لولا مونتيز فى مذكراتها أنها ولدت فى أسبانيا، ولكن الحقيقة أنها ولدت فى مدينة ليمريك الإيرلندية لأم كانت تعمل فى بيع القبعات النسائية عام ١٨١٨ .. وكان والدها ضابطاً بالجيش البريطانى فى الهند .

تربت لولا فى الهند حيث نشأت وترعرعت بمدينة "كالكوتا" وكانت طفلة شرسة أفسدها تدليل والدها لها .. وعندما مات الأب بمرض الكوليرا ، تزوجت أمها من أعز أصدقائه وهو ضابط اسكتلندى يدعى الكابتن كريجى الذى أصبح بعد ذلك السير باتريك أدمونستون كريجى قائد الجيش البريطاني فى البنغال .. وقد أرسلتها والدتها لتتعلم فى المدارس الدينية بايرلندا ثم انجلترا وفرنسا بهدف تهذيبها والحد من شراستها .

وبمجرد أن دخلت الفتاة مرحلة الصبا، سعت والدتها لتزويجها من ثرى عجوز يدعى سير إبراهام لوملى قاضى المحكمة العليا فى الهند، ولكن لولا - التى كان جمالها الساحر قد بدأ يلفت الأنظار . رفضت هذا الزوج الذى كان يكبرها بحوالى نصف قرن، وارتبطت فى علاقة غرامية مع ضابط شاب يدعى الكابتن جيمس ، وسافرت معه إلى الهند حيث تزوجته رغم إرادة أمها وودون علمها .

واكتشفت لولا أن هذا الزوج زئر نساء ومتورط فى علاقات غرامية عديدة فى الوقت الذى ضغطت عليها فيه الام بشدة لتغادر الهند وخضعت لضغوط والدتها خاصة بعد أن هجرها الزوج الخائن وتوقفت الأم عن الأنفاق عليها .

وهكذا، سافرت لولا من الهند لتجد نفسها وحيدة فى هذا العالم ، وكان يتعين عليها أن تبحث عن مصدر للرزق ونصحها صديق أمريكى بأن تعمل فى التمثيل المسرحي ولكنها ادركت أن جمالها يؤهلها لمهنة واحدة فقط هى مهنة الراقصة .. واختارت لولا الرقص الأسبانى الشهير "الفلامنجو" وسافرت إلى أسبانيا حيث تعلمت اللغة الأسبانية وبدأت تردد أنها ابنة أحد النبلاء الأسبان، وفى الليلة الأولى التى رقصت خلالها على المسرح الملكى بلندن ، ارتدت ثوباً من الدانتيلا السوداء بالورود الحمراء وبدت فى أروع صورة ولكنها لم تكن راقصة بارعة ، لذلك قابلتها الجماهير بصرخات الاستهجان بعد ان أدت رقصة شهيرة اسمها "رقصة العنكبوت" التى تتلوى خلالها الراقصة وهى تبحث عن عنكبوت تسلل إلى داخل ملابسها .. ورغم طابع الإغراء والإثارة الذى تعمدت لولا إبرازه فى رقصتها، إلاأنها حققت فشلاً ذريعاً كفنانة تقدم فناً محترماً، وخرجت الجماهير من المسرح وهى ساخطة على هذه الفتاة الداعرة التى تحاول ابتزاز الغرائز بوسائل رخيصة، وعندما علمت والدتها فى الهند بهذه الفضيحة ، أعلنت ان ابنتها لولا قد ماتت وارتدت عليها بالفعل ثوب الحداد .

جاسوسة القيصر

لعدة سنوات ، ظلت لولا تجوب أوروبا شرقاً وغرباً ، وتورطت فى عشرات العلاقات الغرامية، واعترفت بالعمل كجاسوسة لحساب قيصر روسيا .. باختصار ، استغلت لولا مونتيز جمالها كوسيلة للانطلاق إلى القمة ، وسرعان ما أصبحت صديقة لفردريك امبراطور بروسيا الذى دعاها لحضور عرض عسكرى كان ضيف الشرف فيه قيصر روسيا .. وخلال العرض، قفزت لولا لتمتطى صهوة أحد الجياد ، وتندفع به نحو القيصر، ولكن أحد الضباط أمسك بلجام الجواد قبل أن تسقط لولا من فوقه بين يدى القيصر .. ونزلت لولا من على ظهر الجواد لتضرب الضابط بالسوط على وجهه !! وقد ذهبت لولا إلى وارسو (عاصمة بولندا) حيث تعرفت إلى نائب الملك، وكان رجلاً عجوزاً على قدر هائل من الثراء، وقد عرض عليها أن يمنحها ضيعة كبرى وثروة من المجوهرات إذا وافقت على أن تصبح عشيقته، ولكنها رفضت بشدة .. وبدأ الرجل العجوز يضغط عليها ، ولكنها ردت بفضيحة أمام الجميع على المسرح الذى كانت ترقص فيه .. وتعاطفت الجماهير مع هذه الفتاة التى رفضت أن تبيع شرفها . وتوجهت إلى الفندق الذى تعيش فيه وحولها المئات من المتفرجين لحمايتها من نائب الملك الذى كان مكروهاً ومتهماً بالخيانة .. واستغل هذا الحشد الجماهيرى الفرصة للتعبير عن رفضه لسيطرة قيصر روسيا على بولندا وللحكومة العملية فى وارسو . وتفجرت موجة هائلة من العنف والشغب ، وخلال ٢٤ ساعة، أصبحت وارسو على حافة اندلاع ثورة . وصدر أمر باعتقال لولا مونتيز، ولكنها أبلغت قائد القوة العسكرية التى توجهت لاعتقالها فى الفندق ان لديها بندقية وسوف تدافع عن نفسها بالقوة .. وتدخل القنصل الفرنسى لحمايتها حتى تهدأ الأمور، وبعد ذلك طلبت السلطات منها مغادرة البلاد .

وقد بدأت شهرة لولا تجتاح أوروبا، ولكنها كانت تسعى للمزيد فتوجهت إلى مدينة درسون الألمانية حيث التقت بالموسيقار وعازف البيانو العظيم فرانز ليست الذى كان معبوداً للنساء الأوربيات بسبب وسامته .

عشيقة الموسيقار

فى أول لقاء بين لولا والموسيقار الشهير، نظرت فى عينيه وكانت تلك النظرة كافية لكى يسقط فى هواها ..

وقد غرق "ليست" فى بحور المتعة مع لولا، وسافر معها فى رحلات عديدة، ولكن هذه

العلاقة كان محكوماً عليها بالفشل لأن «ليست» كان رجلاً يعشق الشهرة، ولاحظ أن "لولا" تحاول أن تسرق الأضواء منه .

وقد تأكدت هذه المخاوف لدى الموسيقار الشهير ذات يوم فى «بون» حيث كان يشارك فى إزاحة الستار عن تمثال لبيتهوفن وفوجئ بأن "لولا" التى لم تكن مدعوة للحفل اقتحمت المكان أمام الملوك والأمراء والمشاهير، وقفزت على إحدى الموائد، وأخذت ترقص بشكل مثير.

وهكذا قرر «ليستَ التخلص من "لولا" وذات صباح جمع ملابسه ومتعلقاته وتسلل من المنزل الذى كان يعيش فيه معها . وبعد ساعات اكتشفت لولا أن عشيقها الموسيقار قد هجرها فانتابتها ثورة عارمة وأخذت تلقى بالأثاث إلى عرض الشارع من النافذة . وبعد ذلك توجهت "لولا" إلى باريس حيث عملت فى مسرح «سان مارتان» الذى لم تحقق فيه نجاحاً كبيراً . ورفضها المتفرجون وهاجمها النقاد، ولكنها كانت تواجه ذلك بالتحدى .. وذات ليلة توجه ناقد شهير يدعى "هنر دى جاريير" إلى المسرح لمشاهدتها ، وتعرف بها وراء الكواليس ومنذ هذه اللحظة بدأت بينهما علاقة تطورت إلى عشق جارف . وبدأ هذا الناقد الفنى الكبير يصطحب "لولا" إلى أرقى الصالونات والتجمعات الثقافية فى باريس مثل صالون جورج صاند وهناك التقت "لولا" بعظماء الفكر والأدب من أمثال «الكسندر ديماس» و"فيكتور هوجو" و"بلزاك" و"جوتيه" . وقد أدهشت "لولا" هؤلاء المفكرين بذكائها واهتمامها بالسياسة حيث كانت من مؤيدى الجمهورية مثل عشيقها دى جاريير الذى طلب منها الزواج ولكن الحياة لم تمهله لتحقيق هذا الأمل فقد دخل فى شجار مع زميل من منافسيه فى جريدة أخرى وتحداه للمبارزة .

وأدركت "لولا" ان حبيبها سيموت فى هذه المبارزة لأنه لا يجيد القتال، وحاولت أن تمنعه ولكنه أصر وذهب لمواجهة خصمه الذى تمكن بالفعل من قتله . فى ذلك الحين كانت "لولا" فى السابعة والعشرين من عمرها، ولم تجد أمامها ما تفعله سوى العودة للرقص مرة أخرى ولكن فى منطقة "بافاريا" الألمانية، وكان هذا أهم قرار فى حياتها لأنه أدى إلى أعظم قصة حب بينها وبين لودفيج ملك "بافاريا" كان لودفيج عاشقاً للفن والجمال وتكدس قصره بالتماثيل الرائعة واللوحات الخالدة ، ولكنه لم يعط أى اهتمام لشئون المملكة. وكان لودفيج هو الذى جعل من ميونيخ مركز الثقافة والفن فى ألمانيا ولكنه ترك شئون الحكم فى أيدى ذوى الأفكار الرجعية والمتطرفين الدينيين وقساوسة طائفة "الجيزويت" المعروفين بآرائهم المحافظة .

الملك والجمال

وكان لودفيج يحيط نفسه بالنساء الجميلات، وكأنهن تماثيل حية للفتنة، وقد أدركت "لولا" بدهاء عشق الملك للجمال ، ورأت أن هذه هي نقطة الضعف التى تستطيع أن تنفذ منها إليه ، وهكذا أفتعلت مشاجرة مع مدير أحد المسارح التى عملت بها وتوجهت مباشرة إلى قصر الملك لتطلب المقابلة ، ولكن طلبها قوبل بالرفض، ولكنها اندفعت نحو غرفة الملك ، وهى تحاول التخلص من الحراس مما أدى إلى تمزيق ثوبها وفتحت الباب لتجد الملك ، ينظر إليها وإلى جسدها نظرة رجل لم يشاهد إمرأة فى حياته، وتعمدت "لولا" أن تكشف صدرها للملك وهى تشكو حراسه الذين مزقوا ثوبها . وأمر الملك الحراس بالخروج وأخذ يتحدث معها ، وعندما خرجت من عنده كانت علاقة حميمة قد بدأت بينهما لدرجة أن الملك أصبح يتوجه كل ليلة لمشاهدتها وهى ترقص فى المسرح. وكان الملك يصفها بأنها أفضل صديقاته . فى البداية لم يجرؤ أحد على الاعتراض بما فى ذلك زوجة الملك التى اعتادت على نزواته ولم تستطع إدراك ان "لولا" لم تكن ولن تكون مجرد عشيقة لزوجها ، وبعد فترة قصيرة أتضح أن هذه الراقصة الأسبانية لها طموحات سياسية فقد أخذت تكشف للملك أن انشغاله بالفن أتاح الفرصة لانتشار الفساد فى حكومته وتعاظم نفوذ المتطرفين الدينيين ، الذين تسللوا إلى كل مكان ، ونجحت فى الوقيعة بينه وبين رئيس وزرائه . كان هدف "لولا" اقناع الملك بجدوى النظام الجمهورى وكان الملك يستمع إليها وهو مأخوذ بجمالها .

حياة البذخ

وصف القساوسة الجيزويت لولا مونتيز بأنها ابنة الشيطان ، ومبعوثة إبليس ، وقالوا أنها الشيطانة العاهرة . حاول الكثيرون تخليص الملك من براثنها دون جدوى ، خاصة وأن الأقلية البروتستانتية فى بافاريا المعروفة بتحررها قد اعتبرتها زعيمة للتحرر فى مواجهة الرجعية الدينية . وكانت العلاقة بين "لولا" والملك لودفيج معقدة، ولا شك أن الملك أحبها حيث بنى لها قصراً خاصاً كان تحفة فنية وتميز بوجود سلم زجاجى مبهر ونوافير من الرخام يتدفق منها الماء المعطر. وشعرت "لولا" ان هذا المناخ الفخم ينقصه أن تحمل لقباً نبيلاً وبالفعل منحها الملك لقب كونتيسة، ثم لقب بارونة، وقدم لها عربة مطعمة بالذهب تجرها الخيول المطهمة . وأصبحت لولا رمزاً للسلطة والنفوذ لدرجة جعلت الشعب يردد مثلاً صار شائعاً وهو "ما تريده لولا تحصل عليه لولا" فى هذه المرحلة اتسمت لولا مونتيز بالمزاج النارى فكانت تدمر التماثيل

الرائعة فى قصرها وتحطم الفازات لأتفه سبب ، وكانت تقصف وزراء الملك لودفيج بزجاجات الشمبانيا خلال المآدب الرسمية . وكان أشد من تكرههم لولا القساوسة الجيزويت، لذلك اشترت كلباً شرساً، وعلمته ودربته على مهاجمة أى شخص يرتدى زيا باللونين الأحمر والأسود ، وهو زى قساوسة الجيزويت ، وكانت تحمل معها سوطاً وتضرب به كل من يقابلها فى الطريق وهكذا أصبح الجميع بمن فيهم الوزراء يخشون هذه المرأة ، ويحاولون كسب رضاها ، ولكن حصولها على لقب بارونة أثار غضب الكثيرين لأن هذا اللقب لا يحصل عليه سوى من يحملون الجنسية الألمانية، وكان رد الملك على ذلك هو الإمعان فى التحدى فقرر ان يخصص لعشيقته "لولا" معاشاً مستمراً من ميزانية الحكومة واستقال وزير الخزانة احتجاجاً على ذلك ومعه الحكومة ، وتم تشكيل حكومة جديدة من العناصر الليبرالية المتحررة عرفت فى التاريخ الألمانى باسم "حكومة لولا" وقال السياسيون أن راقصة درجة ثانية استطاعت أن تسقط حكومة بافاريا .

ورغم أن لولا كانت شابة، إلا أنها عجزت عن استقطاب الشباب والحصول على تأييدهم وخاصة الطلبة ، وكان ذلك هو السبب فى سقوطها ، فذات يوم كانت تسير فى الطريق ، والتقت باستاذ جامعى من الجيزويت كانت تكرهه بشده لأنه ينتقدها باستمرار فى الجامعة ، وأطلقت كلبها الشرس عليه ، وأصيب الرجل بجراح بالغة ،فدعا زملاءه وطلبته إلى اجتماع لإدانة لولا والاحتجاج على تعاظم نفوذها، وبعد الاجتماع توجهت حشود من الطلاب إلى قصر لولا وأخذوا يسبونها ويوجهون الاهانات لها ، فخرجت إلى الشرفة وأخذت تبادلهم السباب وتلوح لهم بالسقوط وتقذفهم بزجاجات الشمبانيا ، ورد الطلبة بقذفها بالطوب والحجارة . وعندما علم الملك بما يحدث عند قصر عشيقته توجه بنفسه إلى هناك ومعه قوة عسكرية، وتمكن من السيطرة علي الموقف . بعد هذا الحادث قرر أنصار لولا من الليبراليين المتحررين أن يشكلوا حرساً خاصاً لحمايتها وأطلقوا على هذا الحرس اسم "المانيا" وكانت هذه الفرقة من الحرس سيئة السمعة للغاية، وبدأت الصحف تهاجمها وتصفها بأنها "فرقة" من الحريم الذكور التابعين للراقصة "لولا" .. وتفجرت المصادمات فى الشوارع مرة أخرى لدرجة أجبرت لولا على وضع قضبان حديدية على نوافذ قصرها ، ولم تعد تذهب لأى مكان دون الحرس الخاص المرافق لها خاصة أن الطلاب كانوا يهاجمونها فى كل مكان لدرجة جعلتها تعلن أنها لن تستريح إلا بعد إغلاق الجامعة . وناشد المستشارون والأصدقاء الملك ان يتخلص من هذه المرأة الملعونة ولكنه كان لا يزال غارقاً فى حبها حتى أذنيه . وفى يوم ٨ فبراير ١٨٤٨ حاول الملك إرضاء عشيقته فأصدر أمراً باغلاق الجامعة، وتفجرت الثورة فى بافاريا ، ونزلت لولا بنفسها إلى الشارع

ومعها سوطها لتشارك فى قمع الثورة ، ولكن الجماهير هاجمتها وحاولت اللجوء إلى مقر البعثة النمساوية ولكنهم رفضوا ان يفتحوا لها الباب، وأصبحت على وشك الهلاك لولا أن أرسل لها الملك فرقة من الجيش لإنقاذها واعادتها إلى قصرها .

الحياة فى المنفى

فى هذه اللحظة أدرك الملك أن عليه أن يفيق من أحلامه وإلا ضاع كل شئ وانهارت مملكته، واقتنع بتوقيع وثيقة تحمل أمراً بنفى لولا مونتيز إلى خارج بافاريا . وأمكن تهريب لولا من الباب الخلفى لقصرها، وتوجه الملك ليعلن لشعبه ان لولا خرجت من البلاد ، ولكن الحقيقة أنها ظلت فى بافاريا تعيش متنكرة . وأخيراً تم إجبار الملك لودفيج على التخلى عن عرشه لصالح ابنه ، وعاش بقية حياته يدرس النحت والرسم ويمارس هوايته فى عشق الجمال وفى هذه المرحلة كتب لودفيج إلى لولا خطابات طويلة، رغم أنه فقد عرشه بسببها، وكان يرسل لها الأموال سراً ..

توجهت لولا إلى لندن ، التى وصلت إليها وهى ترتدى فستاناً من القطيفة السوداء ، وقد وضعت وردة حمراء فى شعرها ، وقلدتهاكل نساء أوروبا ، وحاول شباب الأثرياء التقرب منها وكان أحد هؤلاء ضابطاً يدعى جورج هيلد الذى كان يصغرها بحوالى عشرين عاماً ولديه ثروة طائلة . وقد طلب منها هيلد الزواج ووافقت لولا، ولكن أفراد أسرته تصدوا بقوة ضد هذا الزواج ورفضوا أن يتزوج ابنهم هذه المغامرة سيئة السمعة، وتمكنت عجوز من أقارب الضابط الشاب من البحث فى ماضى لولا حتى وصلت إلى زوجها الأول الكابتن جيمس الذى تزوجته فى الهند واكتشفت أنها لازالت زوجة له ولم يتم الطلاق بينهما . ووجدت لولا نفسها متهمة بتعدد الأزواج ، ودفع لها جورج هيلد كفالة، لكى تتمكن من الهروب ومغادرة انجلترا ، وقد لحق بها زوجها الضابط ، وعاشا معاً ثلاث سنوات ، ولكن مزاجها المتقلب جعلها تدخل فى مشاجرات مع هذا الزوج وصلت إلى حد أنها طعنته بالسكين، ولكنه لم يكن يستطيع فراقها . وسافرا معاً إلى أسبانيا حيث ظهرت لولا فى حفلات النبلاء وهى ترتدى ثيابها الحمراء المثيرة ، بينما كان زوجها يلعب القمار حتى أفلس ، وطالبته لولا بالنقود لأنها هى أيضاً كانت تعشق لعب القمار فأكد لها إفلاسه ، وهنا انفجرت فيه أمام الجميع قائلة "اسمع يا هذا ان من يحب لولا يجب ألا تفرغ جعبته من المال" وهكذا هجرت لولا زوجها وطفليها ، وتحول الزوج البائس إلى حطام انسان بعد أن أدمن الخمر، بينما توجهت هى إلى باريس حيث ناشدت عشيقها السابق الملك لودفيج ان يرسل لها نقوداً . وفى باريس تعرفت لولا إلى الأمير "جانج بها دور" سفير نيبال فى

العاصـمة الفرنـسية ، ولكنهـا لم تستطع ان تحـصل منه على ما تريد من أمـوال ، فكان قرارها ان أوروبا انتهت بالنسبة لها وعليها ان تبحث عن حياة جديدة فى أمريكا. وبمعنى آخر قررت لولا أن تغزو العـالم الجديد ، وتوجـهت بالفعل إلى نيويورك فى عـام ١٨٥٨ وهى ترتدى أبهى ملابسـها وتمسك بيدها سوطها القديم ، وعملت لولا فى أمـريكا كراقصة ، ولكن مزاجها الشرس والعنف الذى تميـزت به جعل الآخريـن يبتعـدون عنها شيـئاً فشـيئـاً ، فقررت الزواج فى كـاليفـورنيا من صحفى يدعى "باتريك هول" إذ يذكرها بعـشيقها الناقد الفرنسى الذى مات قـبل أن يتزوجها ولم يستـمر زواج لولا من الصحـفى الأمريكى أكثـر من عدة أسابيـع ، وبعدها عاشت وحـدها حيث أقتنت مجـموعة من الحيوانات واسـتمرت تمارس الرقص الذى لم يعد لهـا مورد للرزق سواه . وتعرفت لولا بمـدير مسرح يدعى "نـيدفيليم" اقـترح عليهـا فى عام ١٨٥٥ القيـام بجولة عالمـية تشمل استراليا وفرنسا ونيويورك ومدن أخرى ، وتحولت علاقتهما إلى حب جديد فى حياة لولا. وفى استـراليا قـدمت لولا رقصاتهـا فى مختلـف المدن وقد حـرصت على أن تضفى الكثـير من الخلاعـة والفجور على رقـصة العنكبوت الـتى اشتهـرت بها ، لدرجة أن أحـد النقاد وصف هذه الرقصـة بأنها فـاجرة ومجـرمة، وحاولت لولا أن تـعتدى عليـه بالسوط. وفى مـدن أخرى طالبت الصحف بإغلاق المـسرح الذى تعمل عليه هذه الداعرة . ولـم يعجب بلولا سـوى عمال المناجم السكارى الذين أثارتهم رقصـاتها الرخيصـة . وفى النهاية قررت لولا وزوجها الـعودة إلى أمريكا بعد فـشل رحلة استراليا ، وقـد بدأت علاقة لولا بزوجـها فيليم فى التـدهور. وفى ليلة ١٨ يوليو ١٨٥٦ كانا على ظـهر باخرة فى الطريق إلى أمـريكا ووصلا إلى جـزر فيجى وطلـب الزوج منها بعض المـال الذى كانت تحتـفظ به معـها ، وتوجـهت إلى قمرتـها لإحضـار المال وفـجأة دوت صرخة مـرتفعة واندفع الجمـيع إلى السطح ليكتشفوا اخـتفاء زوج لولا التى أكدت فى التـحقيق عدم مسئوليتها عن اختفاء زوجها أو موته، وأنها قد تكون فاسقة أو شريرة أو فاجرة ولكنها ليست قاتلة .

فى أمريكا بدأت لولا حياة مختلفة حيث سيطرت على انفعالاتها وتخلصت من السوط الذى كانت تحمله دائماً وأصبحت متدينة . وفى عام ١٨٥٦ اختفت تماماً لمدة سنة وتردد أنها تزوجت مرة أخـرى من زوج مـجهول ولـكن سجـلات الأسرة المـالكة فى بافاريا أشـارت إلى أن الملك السابق لودفيج تزوج من لولا وهو فى سن الثانية والسبعين . وفى عام ١٨٥٩ بدأ الزمن يترك أثره على لولا فتساقط شعرها وازدادت نحـافتها وأصيبت بالمرض ، وحـاولت أن تجد السلوى فى التدين والروحانيـات انضمت إلى الطائفة الميـثووية وعطفت عليها سيـدة مسيحيـة متدينة تدعى

مسـز بوشانان التى أخذتهـا للحياة معـها . ووصلت أنباء مـرض لولا إلى أمها التى أصـبحت من الأرستوقراط وسافرت إلى أمريكا بحجة رؤية ابنتهـا لآخر مرة . ولكن هدفها فى الحقيقة كان هو معـرفة ما إذا كانت ابـنتها مازالت تحـتفظ بمغـامرات الملك لودفيج . ومـالم تعرفه الأم ان مـسز بوشانان احـتالت على لولا وأخـذت منها كل مـجوهراتهـا بما فى ذلك قـلادة من الماس مـقابل رعايتـها حتى مـوتها . وعادت الأم بخـفى حنين بعد أن تركت عـشرة دولارات فقط لابنتـها التى كانت تحتضر .

وتصاعدت المأساة فى الأيام الأخيرة من حياة لولا مونتـيز فقد أودعتها مسز بوشانان فى أحد الملاجئ الذى عاشت فيه حتى لفظت أنفاسها الأخيرة وهى لا تملك من حطام الدنيا سوى الكثير من ذكريات أيام الجمال والثراء والمجد الذى مضى ولن يعود .

أونيتى متيفورد
ابنة اللورد الانجليزى عاشقة هتلر

رغم جذورها الأرستقراطية ، إلا أنها اختارت أن تحب الرجل الذى كرهه العالم .. ورغم ثراء وشهرة أسرتها إلا أنها لم تكن تشعر بالسعادة إلا وهى تجلس عند قدمى الزعيم النازى ..

قدمت حياتها له دون أى تفكير فى الكوارث التى قد تتعرض لها . ويقال أن هتلر أحبها حباً عذرياً لأنها وصفته بأنه عاشق رومانسى ..

يذكر التاريخ جيداً إيفا براون عشيقة الزعيم النازى أدولف هتلر ، باعتبارها المرأة الوحيدة التى أحبها الفوهرر .. ولكن هناك من يؤكدون أن هتلر ارتبط بحب أكبر مع فتاة أرستقراطية بريطانية، باعت كل شئ من أجل هذا الرجل الذى كرهه العالم ..

هذه الفتاة هى أونيتى متيفورد ، التى تركت أسرتها النبيلة فى انجلترا ، وهجرت دراستها وأصدقاءها حتى تعيش تحت قدمى الزعيم النازى .. وقال الكثيرون أنها باعت حتى وطنها من أجل إرضاء هتلر .. ورغم ثقافتها العالية ، إلا أنها كانت تسعد بدور الجارية فى حياة الفوهرر .. لكل ذلك ، كان من الطبيعى أن يلعنها الجميع .. وأن تنتهى حياتها بمأساة .. لفترة طويلة من

الوقت ، كانت أونيتى متيفورد هى أقرب مخلوق لقلب الزعيم النازى أدولف هتلر .. كانت أقرب إليه حتى من عشيقته إيفا براون التى انتحرت معه قبل دخول الحلفاء إلى برلين .. وخلال أوقات المساء ، كانت أونيتى متيفورد تجلس عند قدمى الفوهور وهو يداعب بأصابعه خصلات شعرها الأشقر الجميل ، ثم تتوجه بعد ذلك إلى غرفة نومها التى يتصدرها نموذج ضخم للصليب المعقوف رمز النازية ، وتركع أمام صورة هتلر وتؤدى الصلاة لأنها كانت تؤمن أنه المسيح الجديد مخلص البشرية .

والسؤال الذى حير الكثيرون ، هو كيف وصلت هذه الفتاة الأرستقراطية الانجليزية إلى مرحلة العشق الكامل لهتلر والذوبان فى شخصيته ، والإيمان المطلق بكل ما يفعله ، وكانت تؤكد أن الفوهرر على حق فى قراره بالحل النهائى للمشكلة اليهودية عن طريق التخلص من هؤلاء اليهود باعتبارهم السبب الرئيسى لكل معاناة الجنس البشرى ، وكان هتلر معجباً بها أشد الإعجاب ، وكان يعتبرها نموذجاً للمرأة النازية الحقيقية رغم أنها ليست ألمانية . ولذلك كان يعاملها بمنتهى الرقة والعطف ، وكان يناديها بلقب السيدة الفاضلة متيفورد ، أو صاحبة السعادة ، وغير ذلك من الألقاب التى كانت تطلق على النبيلات الأوربيات . وكانت حقيقة إيمان هذه الأرستقراطية الإنجليزية بالفكر النازى مصدر إبهار للكثيرين .. فقد ولدت لأبوين من نبلاء انجلترا وهما اللورد ريديسدال وزوجته الليدى ريديسدال مع عدد من الأخوات البنات اللاتى اطلق عليهن الأخوات متيفورد، وكانت لهن شهرة ذائعة فى المجتمعات الأرستقراطية الأوربية . ولكن أونيتى كانت أكثرهن شهرة .

ظلت لسنوات تحلم برؤية هتلر

تحققت أمنيتها ا، ولكنها كانت تكتفى بالنظر إلى الزعيم النازى من بعيد .. وتكرر ذلك عدة مرات، حتى انتبه الفوهرر إلى هذه الفتاة الشقراء التى تنظر إليه من بعيد بانبهار شديد .. وأخيراً ، طلب هتلر من أحد مساعديه أن يتوجه إلى مائدتها ويدعوها إلى الغداء . وكانت هذه هى بداية العلاقة الغريبة بين الأرستقراطية الانجليزية والزعيم النازى .

يقول ديفيد برايس جونز الذى كتب قصة حياة أونيتي متيفورد ، أنه توجه للقاء البرت شبير وزير التسليح فى عهد هتلر، لمعرفة بعض المعلومات عنها ، وقال له شبير "كانت أونيتى متيفورد عاشقة لهتلر .. وكنا جميعاً نلاحظ ذلك بسهولة فقد كان وجهها يضئ وعيناها يظهر فيها بريق غريب عندما تنظر إلى هتلر . ولا شك أن الزعيم النازى كان مرتاحاً لاعجاب هذه الفتاة به .. فقد

كانت جميلة .. جذابة .. وحتى لو لم يحدث شئ بينهما، فمن المؤكد أن هتلر كانت تثيره فكرة الارتباط بعلاقة غرامية معها" وتصف أونيتى هتلر بقولها "أنه رجل بتول" ولذلك يستبعد الكثيرون تورطها فى علاقة جنسية معه، فقد كان انجذابها إليه أكبر من مجرد انجذاب إمرأة لرجل.. فقد كانت أونيتى ارستقراطية تنتمى لطبقة النبلاء ، وكانت تخاطب هتلر بقولها .. "سيدى الفوهور" وحديثها معه يتركز دائماً على الأدب والفن والموسيقي والرحلات.. وكان هتلر يحب هذا النوع من الحديث ، ولذلك كان يستمتع بصحبتها .. لذلك أصبحت أونيتى متيفورد من أهم مرافقى هتلر فى جميع المناسبات ، وكانت ضيفاً فى حفلاته وجلساته. الخاصة بشكل دائم .. وأدرك الجميع أنها قريبة للغاية من الزعيم النازى فقد كان يطلبها لتناول الشاى معه بعد الظهر، ولكن مع وجود آخرين ..

أما والدها لورد ريديسدال ووالدتها فكانا فى حيرة مما يحدث لابنتهما ، فتوجها إلى ميونخ فى شتاء عام ١٩٣٤ لمعرفة حقيقة ما يتردد عن أن ابنتهما أصبحت عشيقة للزعيم النازى هتلر، وقدمت أونيتى والديها للفوهرر وحاولت اقناعهما بالحياة فى ألمانيا ، ونجحت فى ذلك إلى حد ما، رغم أنهما ظلا على ثقة من أن حياة ابنتهما سوف تنتهى بكارثة .

دائرة الزعيم

وأحس بعض القريبين من هتلر بالضيق من وجود أونيتى متيفورد داخل الدائرة المحيطة بالزعيم النازى، فأخذوا يرددون أنها قد تفشى بعض الأسرار ، رغم تأكدهم من أنها ليست جاسوسة أو عملية .. وكان جوبلز وزير الدعاية فى عهد النازى ، وهو زير نساء شهير ، يحبها وقد ارتبطت أونيتى بعلاقة صداقة وطيدة مع ماجدة زوجة جوبلز وتقضى معها أوقاتاً طويلة فى منزلها، بل أن هتلر كان يطلب من زوجة جوبلز أن تحضر معها صديقتها أونيتى إلى الحفلات الرسمية .

وكان أقرب شخصيات النظام النازى ، بعد هتلر ، إلى أونيتى متيفورد ، هو جوليوس سترايشر المسئول عن تعذيب اليهود ، والذى كانت تبهرها أفكاره خاصة ضد اليهود .. وقد حضرت أونيتى إحدى الحفلات التى خطب فيها سترايشر مؤكداً ضرورة تخليص العالم من شرور اليهود، وقال أن اليهود حاولوا القضاء على الجنس الألمانى بعد الحرب العالمية الأولى .. وأكد أن الإنجليز يريدون السلام مع ألمانيا ، ولكن يهود بريطانيا هم الذين لا يريدون السلام ، لأنهم أعداء السلام ، ودعا سترايشر أونيتى متيفورد لالقاء كلمة فأكدت تأيدها للشعب الألمانى وللنضال

الذى يخوضه سترايشر ضد اليهود .. بعد ذلك ، بدأ الجميع يدركون خطورة أونيتى متيفورد، وصلاتها القوية بأعمدة النظام النازى وأصبح من الخطر الحديث بصراحة أمامها أو توجيه أى انتقاد للمسؤلين النازيين ، وحدث بالفعل أن أعتقل أشخاص بعد ساعات من توجيه أى انتقاد للنازى فى حضور أونيتى .

وقد دعا هتلر أونيتى وشقيقتها ديانا التى تزوجت سراً من موزلى زعيم الحركة الفاشية فى بريطانيا ، لحضور دورة برلين الأوليمبية عام ١٩٣٦ وكان الهدف من هذه الدورة هو أن يرى العالم أن الحزب النازى قد وصل إلى ذروة نجاحه ونفوذه .. وظهر هتلر وقد تركزت عليه أضواء بيضاء وزرقاء من ١٨٠ مصباحاً ليبدو مخلوقاً أسطورياً قادراً على تحريك الجماهير بمجرد حركة من أصبعه .

ومنذ بداية حياتها ، كانت هناك مؤشرات عديدة على أن القدر أعد لهذه الفتاة مستقبلاً حافلاً..

فقد كان جدها صديقاً للموسيقار الألمانى العظيم فاجنر .. وعندما ولدت فى ٨ أغسطس ١٩١٤ ، أطلق عيها اسم أونيتى فالكيرى على اسم أعظم أوبرا كتبها فاجنر .. وبعد سنوات من مولدها اشترى والدها لورد ريديسدال منجماً للذهب بمنطقة كالفر بارك فى كندا يطلق عليه اسم منجم الصليب المعقوف ، وانتقلت الأسرة للحياة فى كندا ، حيث بدأت تعيش فى أزمة مالية بالمقارنة مع حياتها السابقة فى انجلترا ، ودخل الأب فى عدة استثمارات فاشلة أدت إلى تدهور مستوى معيشة الأسرة ، التى قررت العودة إلى لندن حيث كانت تمتلك منزلاً فى منطقة روتلاند جيت .. وكان منزلاً كبيراً من خمسة طوابق وبه صالة احتفالات كبرى ، كما كان للأسرة منزل ريفى فى منطقة سونيبروك، وهو المنزل الذى عاش فيه اللورد ريديسدال مع زوجته وبناته اللاتى تركت لهن حرية تكوين الشخصية المستقلة . وكانت الابنة أونيتى بشكل خاص ذات شخصية قوية تميل للصمت، ولكنها ذات نظرات فاحصة، كانت دائماً تفجر غضب والدها ..

جذور العنف والتطرف

فى سن الخامسة عشر أحست أونيتى متيفورد بالملل من الحياة فى منطقة سوينبروك الريفية ، فأرسلها والداها إلى مدرسة داخلية بمنطقة هرتفور دشير ، ولكنها طردت من هذه المدرسة بعد عام واحد بسبب شراستها وميلها للعنف والتطرف .. وانطلقت أونيتى إلى حياة الرقص والحفلات حيث كانت ترتدى أجمل الملابس والأزياء ، ولكنها بعد فترة أصبحت لا ترتدى

سوى القميص الأسود الذى يرتديه الفاشيون . وارتبطت أونيتى فى هذه الفترة بشقيقتها ديانا التى كانت تكبرها بأربع سنوات . وكانت ديانا على علاقة وثيقة بأوزوالد موزلى زعيم الحركة الفاشية فى بريطانيا ، وكان شخصاً غريب الأطوار أسود الشعر وبشرته بيضاء كالثلج ، وفى عام ١٩٣٢ توجه موزلى إلى روما للقاء الدوتشى أو الزعيم الفاشى الإيطالى بنيتو موسولينى . وقد عاد موزلى من روما وهو عاقد العزم على إقامة نظام فاشى فى بريطانيا على غرار إيطاليا ، وسرعان ما أصبح أنصاره من الفاشيين يرتدون أيضاً القمصان السوداء فى شوارع لندن .. وقررت ديانا أن تضع مستقبلها كله بين يدى الزعيم الفاشى البريطانى، بينما انبهرت شقيقتها أونيتى بشدة بالأفكار الفاشية .

وفى ١٤ يونيو ١٩٣٣ ، قام موزلى بزيارة ديانا فى منزل أسرتها الريفى بمنطقة سوينبروك وهناك قدم لشقيقتها أونيتى شعار الحركة الفاشية وحياها بالتحية المعروفة، وهى رفع الذراع لأعلى وردت عليه أونيتى بنفس الطريقة . وهكذا ، انضمت أونيتى متيفورد إلى الحركة الفاشية البريطانية ، ووضعت شعار الفاشيست على صدرها . وبعد خمسة أيام ، توجهت إلى مقر الحزب الفاشى فى لندن حيث تقدمت بطلب العضوية رسمياً . والغريب أن المسئولين فى الحزب الفاشى استقبلوها ببرود ، فقد كان لديهم الكثير من فتيات المجتمع الراقى اللاتى يطلبن الانضمام لسبب بسيط هو إعجابهم بالزى الرسمى الفاشى الأسود .

وقررت أونيتى أن تحاول مرة أخرى ، فتوجهت بعد أيام إلى فرع الحزب الفاشى فى أكسفورد حيث استقبلها المسئولون هناك بنظرات مليئة بالشك . ولكنها أبلغتهم أنها صديقة لموزلى وأنها قرأت كتابه عن الفاشية . كان مسئول الحزب الفاشى فى أوكسفورد شاباً كندياً يدعى فنسنت كينز (٣٠ سنة) وقد استمع إليها بهدوء وقد انتابته حالة من الدهشة، لأنه رأى أمامه فتاة من أسرة أرستقراطية حقيقية وتؤمن بجدية تامة بالأفكار الفاشية . وقدم لها كينز بطاقة العضوية وأقسمت اليمين ..

وكانت أونيتى تحرص على وضع الصليب المعقوف بشكل دائم على قيمصها وتتحدث بكل إبهار عن الزعيم النازى هتلر .. وبدأت تشق طريقها فى صفوف الحركة الفاشية لدرجة أن الناس أصبحت تفسح لها الطريق عندما تراها قادمة . وإلى جانب ذلك ، كانت أونيتى لا تخفى كراهيتها الشديدة لليهود . وذات يوم توجهت مع صديق إلى محل سلفريدج اليهودى فى لندن لشراء بعض الأشياء ، وكان المحل يقوم على سبيل الدعاية بتسجيل أصوات الزبائن حتى يسمعوها بعد

ذلك لأن أجهزة التسجيل لم تكن شائعة، وعندما طلب البائع من أونيتى أن تسجل أى شئ بصوتها فوجئ بها تردد النشيد الفاشى الذى يقول « لابد من إبادتكم أيها اليهود ..» وكان الفاشيست الإنجليز يرددون هذا النشيد أثناء مسيراتهم فى شوارع لندن .

النازيون والفاشيست

وفى ربيع عام ١٩٣٣ ، سجلت أونيتى متيفورد اسمها لدخول مدرسة الفنون فى لندن . وفى أغسطس من نفس العام قام النازيون فى ألمانيا بمسيرة نورمبرج الرهيبة التى استعرضوا خلالها قوتهم وشارك فيها أربعمائة ألف من أعضاء الحزب النازى بما فيهم أعضاء منظمة "العاصفة" والشباب الهتلرى .

وقد اختيرت أونيتى لتكون عضواً فى وفد الفاشيست البريطانى إلى نورمبرج وهناك شاهدت هتلر لأول مرة ، وسمعت صوته وقالت "بعد الآن لا يوجد أى مخلوق آخر فى العالم أتمنى مقابلته" وظهرت صورة أونيتى فى النشرة الرسمية للحزب النازى الألمانى وهى ترتدى القميص الأسود وقفازاً أسود وترفع يدها بالتحية النازية وكانت هى المرأة الوحيدة فى وفد الحزب الفاشى البريطانى .

فى ربيع ١٩٣٤ ، أبلغت أونيتى متيفورد أبويها بأنها تريد الحياة فى ألمانيا . أرسلتها الأسرة إلى مدرسة تديرها البارونة لاروشى وتلحق بها الأسر الانجليزية الارستقراطية بناتها فى مدينة ميونيخ لتعلم اللغات وعزف البيانو والرسم والغناء والسلوك الرفيع .

ومنذ البداية ، شعرت البارونة لاروشى بأن أونيتى متيفورد تلميذة غريبة .. لم تكن المدرسة كبيرة ، وكان من الواضح أن أونيتى استطاعت أن تنشر بين زميلاتها الأفكار النازية والإعجاب بهتلر . كانت دائماً تنشد الأناشيد النازية، وتضع العديد من صور هتلر فى غرفتها بل وكانت تدعو أفراد فرق «العاصفة» النازية لزيارتها فى المدرسة، مما أثار فزع البارونة المسئولة عن المدرسة ، وبالإضافة إلى ذلك ، شاركت أونيتى فى التجمعات والمسيرات النازية وهى ترتدى ملابسها السوداء، وكان لديها اصرار غريب على التقرب من هتلر والتعرف عليه بشكل مباشر، ولكنها كانت ترفض أن يتم ذلك من خلال ما تفعله فتيات أخريات مثل الارتماء على قدمى هتلر والصراخ والبكاء عند رؤيته ، وكانت لديها طريقة أفضل لتحقيق نفس الهدف .

لقاء مع هتلر

كان مطعم هتلر المفضل هو مطعم أوستريا بافاريا فى ميونخ ، حيث اعتاد أن يذهب إليه بشكل غير رسمي ومعه كلبه الألزاسي واثنان أو ثلاثة من رجاله .. وكان هتلر يمسك بكلبه في يد وبالسوط فى اليد الأخرى ، وظلت أونيتى تذهب إلى هذا المطعم كل يوم فى انتظار أن يأتى هتلر..

وكانت هناك غيرة عميقة بين أونيتي وإيفا .. وظهر الغضب على ملامحها .. وكانت إيفا تقول دائماً عن أونيتى أنها صاحبة ساقين قبيحتين ، وفى عام ١٩٣٦ ، عادت أونيتي إلى بريطانيا لحضور أعياد الكريسماس وتوجهت إلى مجلس اللوردات حيث استمعت إلى خطاب تخلى الملك إدواردعن العرش لكى يتزوج من المطلقة الأمريكية مسن سيمبسون ، وقالت أن هتلر سيغضب كثيراً لأنه يفضل أن يظل إدوارد ملكاً لبريطانيا .

كانت أونيتى تشعر بسعادة شديدة عندما تجلس عند قدمى هتلر أثناء حديثه . وكان الحديث بينهما يتركز على الأشخاص الذين يتعين عليه دعوتهم للقائه عندما تحتل قواته انجلترا .

وكان هتلر فى هذه الجلسات الخاصة يقوم بتقليد الزعماء الآخرين مثل موسولينى ونيفيل تشمبرلين رئيس وزراء بريطانيا فى ذلك الحين، بل أنه كان يقلد نفسه بطريقة تثير ضحك أونيتى متيفورد .

وبدأت مخاوف مساعدى هتلر من أونيتى تتزايد وهم يتساءلون .. ماذا تريد هذه المرأة وهل هى جاسوسة، وفى النهاية لم يجد مسئولو النظام النازى أى شئ ضد أونيتى .

الزواج من الفوهرر

ترددت قصص عديدة تؤكد أن هتلر طلب الزواج من أونيتى متيفورد .. وكانت أونيتى تشعر بالضيق الشديد من هذه القصص ، لأنها تدرك استحالة هذا الزواج ، ولخوفها من أن يعتقد هتلر أنها وراء ترديد هذه الشائعات بهدف إحراجه .

وقد حاول والدها لورد ريديسدال أن يضع نهاية لهذه العلاقة الغريبة بين ابنته وهتلر .. فنشر بياناً فى الصحف نفى فيه بشدة وجود أى مشروع زواج بين ابنته والزعيم النازى . وقال أن هتلر يعيش فقط من أجل بلاده وليس لديه وقت للزواج .

وتوجهت أونيتى إلى وطنها بريطانيا لزيارة أسرتها وهناك واجهتها الصحف البريطانية بحملة

انتقادات مريرة ، اتهمتها بالخيانة وبالعمالة للنازى ، وعندما حضرت اجتماعاً لحزب العمال فى هايدبارك ، حاول الحاضرون الاعتداء عليها بالضرب ، لولا تدخل الشرطة لحمايتها .. وغادرت المكان تلاحقها اللعنات : الخائنة .. العميلة .. المجرمة .. وأحست أونيتى أن الوقت قد حان بالنسبة لها لكى تستقر بشكل نهائى فى ألمانيا ، ولكن الموقف كان يتطور بسرعة .. ولم تهدأ الأمور كما كانت من قبل، ففى ربيع ١٩٣٨ ، دخلت قوات ألمانيا النمسا ودعا هتلر أونيتى لحضور احتفالات النصر فى فندق امبريال بفيينا .. ولكنها لم تستطع أن ترى الفوهرر سوى لدقائق قليلة .

وبحلول نهاية مايو ، كانت قوات هتلر تتحرك نحو تشيكوسلوفاكيا والفوهرر يهدد بسحقها لأنها تجرأت وأعلنت التعبئة بعد التحركات الألمانية على الحدود .. وتوجهت أونيتى إلى براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا، وأقامت فى فندق "اسبلاناد" حيث كانت تضع على صدرها شعار الصليب المعقوف بشكل استفزازى ، فطلبت منها حكومة تشيكوسلوفاكيا مغادرة البلاد ، ولكنها توجهت إلى منطقة كارلسباد حيث اعتقلت فى الطريق ، وحضر مندوب من البعثة الدبلوماسية البريطانية لمساعدتها أبلغ أنها متهمة بالنازية وسبق تحذيرها عدة مرات ولكنها أمعنت التحدى . وقد عثروا فى حقائبها على خنجر نازى وصورة كبيرة لهتلر . وتعهدت أونيتى بمغادرة تشيكوسلوفاكيا فوراً . وعندما عادت إلى ألمانيا تحدثت عن تعرضها للتعذيب وإساءة المعاملة على أيدى التشيك فى براغ .

بحلول صيف ١٩٣٨ ، اكتشفت أونيتى أنه لن يكون بوسعها اللقاء بهتلر ، كما كان يحدث من قبل بشكل غير رسمى ، حيث أصبح يتعين عليها أن تنتظر دعوته فيرافقها أحد المساعدين إلى مائدته .. ورغم ذلك ، كان هتلر يبتهج لرؤيتها ويحييها بود شديد حتى وهو وسط كبار مساعديه .

وعندما حضرت مؤتمر نورمبرج فى سبتمبر ١٩٣٨ ، أصطحبت معها والديها ، ولكن هتلر كان مشغولاً للغاية ، ولم يستطع لقاءها .. وخلال العام التالى ، وبينما كانت أوروبا تندفع نحو الحرب ، قسمت أونيتى متيفورد وقتها بين ألمانيا وبريطانيا . وعرض عليها الفوهر شقة فى برلين، وكانت إحدى الشقق التى هجرها اليهود ، وتم إعداد هذه الشقة لتصبح على أعلى مستوى وجهزت بأفضل الأثاث .. وكان كل شئ هدية من هتلر، وعلقت أونيتى فوق فراشها علمين عليهما شارة الصليب المعقوف ، ووضعت بجانب الفراش صورة للزعيم النازى وبجانبها مسدس أكدت لأحد أصدقائها أنه ستستخدمه فى الانتحار إذا أضطرت لمغادرة ألمانيا .. كانت

تدرك أن بلادها انجلترا لن تستطيع الصمود أمام قوات ألمانيا، وعندما سمعت لورد هاليفاكس وزير خارجية بريطانيا يؤكد أن بلاده ستتدخل لمساندة بولندا إذا دخلتها قوات هتلر ، توجهت إلى القنصل البريطانى فى برلين ، وأبلغها أن كل البريطانيين سيغادرون ألمانيا ونصحها بالرحيل . وردت أونيتى بأنها ستبقى فى ألمانيا رغم أن القنصل هددها بأنها لن تتمتع بأى حماية بريطانية ، وكان ردها حاسماً "أننى أحظى هنا بحماية أفضل هى حماية الفوهرر وفى صباح ٣ سبتمبر أعلنت الحرب بين بريطانيا وألمانيا ، وما أن علمت أونيتى بالنبأ حتى أغلقت الشقة وتوجهت إلى مقر وزارة الداخلية الألمانية ، حيث سلمتهم مظروفاً ضخماً به كل الشعارات والرموز النازية والفاشية الخاصة بها ومعها خطاب وداع لهتلر .

وبعد ساعات قليلة ، عثرت الشرطة على جثة سيدة فوق مقعد بحديقة عامة ، وكانت هى أونيتى متيفورد بعد أن أطلقت الرصاص على رأسها ، ولكنها لم تكن قد ماتت بعد فتم نقلها إلى مستشفى ميونيخ وأبلغ هتلر بالحادث على الفور ، وطلب من الأطباء بذل كل جهودهم من أجل إنقاذ حياتها ، وقال أنه سيقدم لهم مكافأة كبرى إذا نجحت هذه الجهود .

فى البداية ، كان رأى الأطباء أن حالتها ميئوس منها فقد استقرت الرصاصة فى رأسها وأى عملية لاستخراجها ربما تكون شديدة الخطورة على المخ ، وبعد مناقشات مطولة ، اتفق الأطباء على عدم استخراج الرصاصة .

وتوجه هتلر بنفسه رغم ظروف الحرب لزيارتها يوم ٨ نوفمبر ومعه باقة من الزهور وكانت هذه هى آخر مرة تراه فيها ، وقد فوجئ هتلر بالتغيير الذى طرأ عليها .. وعندما طلبت منه العودة إلى انجلترا بعد شفائها لم يعترض وأصدر أوامره بالسماح لوالديها بدخول ألمانيا لزيارتها .

وبالفعل ، تماثلت أونيتى متيفورد للشفاء ، وتوجهت إلى انجلترا والغريب أن الحكومة الإنجليزية لم تمانع فى عودتها ، ولم تنظم المظاهرات ضدها باعتبارها خائنة لوطنها ، ولكن وزير الداخلية البريطانى فى ذلك الحين ، هربرت موريسون قال أنها بحالتها الصحية الراهنة لم تعد تشكل خطراً على أمن بريطانيا .

عاشت أونيتى فى انجلترا حياة هادئة بعد التغيير الهائل الذى طرأ عليها .. كانت وحيدة لا تلتقى بأحد . وقد أنفصل والداها وقررت الأم أن تصحب ابنتها معها للحياة فى إحدى الجزر المنعزلة أمام سواحل بريطانيا . وعاشت أونيتى فى هذه الجزيرة حتى ٢٨ مايو ١٩٤٨ حيث أصيبت بمرض شديد ونقلت إلى أحدى المستشفيات ، حيث لفظت أنفاسها الأخيرة، وأكد الأطباء أن الرصاصة التى أستقرت فى رأسها منذ سنوات هى المسئولة عن أصابتها بالمرض ووفاتها .

ماری فیفیان تشرشل
المرأة ذات الألف وجه

اسمها يتمتع برنين خاص فى عالم النصب والاحتيال .. استخـدمت كل أسلحة الأنثى لكى يسقط الرجـال فى شباك عيونهـا السـاحرة .. وعندئذ يتحول هؤلاء الرجال إلى عـبيد لأوامرها ونزواتهـا .. وجرائمها التى دبرتها بـدهاء فى مركز عملياتها الوحيد .. غرفة النوم !!

رغم أن أشهر المحتالين والنصابين فى التـاريخ من الرجال ، إلا أن خبراء الجريمة يؤكدون أن جريمة الاحـتيال هى الأقرب لطبـيعة المرأة !! ويرى هؤلاء ان المـرأة تمارس فى حياتهـا العادية أشكالاً عديدة من الاحتـيال لا يجرمها القـانون مثل وسائل التجمـيل التى تهدف فى الأساس إلى الالتفاف حول الحقيقة وخداع الآخرين بشكل يختلف عن الشكل الحقيقى للمرأة.. ومن أشكال الاحتيال البرئ التى تمارسها المرأة استغـلال أسلحتها الأنثوية وكلماتها المعسولة لإغراء الرجل وحثه على القيام بعمل مرفوض من جانبه وهو فى كامل قواه العقلية مثل أن يشترى لها ثوباً غالياً، أو قطعة من المجوهرات، حـتى ولو كان من شأن مثل هذا العمل أن يسبب له ارتباكـاً مالياً . وقد تصل الأمور لأخطر من ذلك كـأن يرتكب الزوج جريمة اخـتلاس ، على سبيل المـثال ، من أجل الاستجابة لمطالب زوجته التى لا يستطيع مقاومتها بسبب الضغوط التى تمارسها ضده والأسلحة التى تستخدمها لاقناعه بوجهة نظرها ..

واحتيال المرأة ليس كله من النوع البرئ الذى لا يمثل انتهاكاً لنصوص القانون .. ففى بعض الأحيان تمارس المرأة جريمة النصب والاحتيال بموهبة أو اقتدار يحسدها عليه أشهر المحتالين وأبرع النصابين .

زعيمة الاحتيال

من أشهر أمثلة المرأة المحتالة فى العالم ، الأمريكية مارى فيفيان تشرشل التى عرفت فى دوائر الشرطة فى الولايات المتحدة باسم "أميرة شيكاغو" . كانت مارى تشرشل شخصية بارزة فى عالم الجريمة بشيكاغو حيث كانت أبرع زعماء عصابات النصب والاحتيال والابتزاز فى العصر الحديث . وكان هدفها الوحيد فى الحياة هو جمع المال بأى وسيلة مهما كانت ، أما مركز العمليات الخاص بها والذى كانت تمارس فيه جرائمها فكان هو غرفة نومها التى يدخلها الضحية من الأثرياء ويخرج منها فقيراً معدما .

ولدت مارى تشرشل فى إيرلندا لأبوين ميسورى الحال . ومنذ طفولتها أظهرت قدراً كبيراً من الذكاء وفى نفس الوقت ، كانت لديها رغبة جنونية فى الاستيلاء على ما لدى غيرها من الأطفال . وفى سن السادسة عشر، أصبحت مارى على قدر كبير جداً من الجمال وقررت بينها وبين نفسها أن تستثمر هذا الجمال من أجل تحقيق ثروة كبرى ، وببراعة شديدة ، رصدت الفتاة ضحيتها الأولى وكان ابن أسرة شديدة الثراء فى دبلن . وتعرفت مارى على هذا الشاب ودخلت معه فى علاقة غرامية ملتهبة، وبعد فترة فوجئ بها الشاب العاشق تطلب منه مبلغاً كبيراً من المال وإلا أبلغت أسرته بعلاقتهما . ورغم أن الشاب دفع لها ما طلبته ، إلا أنها أبلغت أسرته بكل شئ وطلبت منهم أن يدفعوا لها أيضاً ثمن سكوتها ، وكان هذا الثمن عبارة عن مبلغ كبير من المال بالإضافة إلى تذكرة سفر إلى أمريكا .

فى عام ١٩١٢ ، توجهت مارى فيفيان تشرشل إلى الولايات المتحدة ، وكان ذلك قبل عشر سنوات من ظهور رجل العصابات الشهير آل كابونى فى شيكاغو حيث نشطت عصابات الجريمة تمارس كافة الانتهاكات للقوانين .

ومنذ اللحظة الأولى ، أدركت مارى أن مكانها الطبيعى هو العالم السفلى وسط الخارجين على القانون ، ولذلك، توجهت مباشرة إلى شيكاغو حيث ارتدت أفخر الثياب ودخلت فى علاقات عديدة مع زعماء الجريمة .. وعندما بلغت سن العشرين، كانت مارى قد احتلت مكانة مرموقة وبارزة فى عالم الإجرام بالولايات المتحدة وأطلق عليها لقب أميرة شيكاغو الذى التصق

بها إلى الأبد .

كانت ماري تشرشل تختار ضحاياها بدقة شديدة وخاصة من الرجال الأثرياء الذين تتراوح أعمارهم بين خمسين وستين عاماً .. وكان معظم هؤلاء الضحايا من كبار رجال الصناعة والشخصيات العامة الشهيرة ورجال الأعمال الذين يربط بينهم جميعاً خيط واحد هو الشعور بالملل من الحياة الزوجية، والرغبة في الدخول في علاقة غرامية مع إمرأة جميلة مهما كان الثمن .

سلاح الجمال

كان الأسلوب الذي اتبعته ماري بسيطاً للغاية ، فالبداية دائماً هي اصطياد أحد الأثرياء الذين لا وقت لديهم للتمتع بالحياة ، ثم استخدام سحرها وجمالها ، لكي تفتح أمامه أبواب الحياة والمتعة على مصاريعها ، بحيث يبدأ في التقرب إليها . وعندئذ تتظاهر بأنها وقعت في شباكه ، وخاصة بعد أن يغدق عليها هداياه من المجوهرات والأموال .. وقبل أن يدرك حجم الهوة التي سقط فيها .. تكون عصابتها قد التقطت له عشرات الصور الغرامية الفاضحة .. وبعد ذلك تبدأ عملية الابتزاز التي تتم خلالها مساومة العشيق المسكين على سمعته وشرفه .. وهنا لا يكون أمامه أي مجال سوى الخضوع التام لمطالب "أميرة شيكاغو" وان يدفع لها ثمن سكوتها ..

بعد عدة عمليات ، أصبح بوسع "أميرة شيكاغو" أن تسكن قصراً فاخراً يعج بالخدم والحشم، بالإضافة إلى فريق من الحرس الخاص"البودي جارد" وخلال فترة قصيرة أصبحت ماري تشرشل من أبرز نساء شيكاغو وأكثرهن أناقة، وفي ذورة تألقها ، تعرفت على إيدي جورين أشهر لص بنوك في التاريخ ، والذي كان يتميز بملامحه الجميلة وعيونه الزرقاء .

كان من الواضح تماماً ان كليهما خلق للآخر، وارتبطا في علاقة حب اسطورية كانت حديث شيكاغو كلها ، حتى بدأت حساسية إيدي الشديدة تظهر تجاه العلاقات التي ترتبط بها حبيبته مع الأثرياء ، ورغم محاولاتها العديدة لإقناعه أن هذه العلاقات مجرد "شغل" ولا تعكس أي شعور حقيقي تجاه هؤلاء العشاق ، إلا أنه كان يرفض هذا التبرير خاصة إذا كان هؤلاء العشاق من الشباب الذين يماثلونها في السن .

استمرت سطوة ماري تشرشل في شيكاغو لمدة تصل إلى أربع سنوات متواصلة، جمعت خلالها ثروة قدرتها الشرطة الأمريكية بحوالي مليون دولار، وهو رقم هائل بأسعار الربع الأول من هذا القرن .. وقد جمعت ماري كل هذه الثروة بوسيلة واحدة هي الاحتيال والابتزاز ..

وخلال هذه الفترة تسببت "أميرة شيكاغو" في تدمير حياة عشرات الرجال الذين سقطوا في

شباكها وحبائلها متوهمين أنهم فى طريقهم إلى النعيم، بينما كانوا فى الحقيقة يسلمون مقدراتهم ومصائرهم لإمرأة ذات قلب من صخر لا تعرف الرحمة إليه سبيلا .. وقد حاول أحد ضحاياها أن يلجأ للشرطة لكى تحميه من الابتزاز الذى تمارسه ضده هذه المرأة، ولكنه فوجئ بأن الضابط الكبير الذى يتقدم إليه بشكواه الذى من المفروض أن يعمل على حمايته ، هو فى واقع الأمر أحد مسئولى الشرطة الذين يعملون فى خدمة أميرة شيكاغو، ويحصلون منها على رشاوى منتظمة ..

وحاول أحد ضحاياها، وكان مديراً لأحد مصانع الصلب أن يتصدى لنفوذها، وهددها بالقتل ولكنه فوجئ برجالها يحضرون إليه ويحذرونه من أن أى محاولة للمساس بأميرة شيكاغو سيكون الرد الوحيد عليها هو ابادته مع جميع أفراد أسرته .

ولم يجد شاب ثرى آخر احتالت عليه مارى حتى سلبته كل ثروته سوى ان يتخلص من حياته بالانتحار هرباً من المصير الأسود الذى كان ينتظره بعد أن ضاعت ثروته وتدهورت سمعته إلى الحضيض .

حملة ضد الفساد

ذات يوم ، قررت الصحافة أن تشن حملة كبرى ضد الفساد المتفشى بين المسئولين وكبار الأثرياء الأمريكيين .. وكان من الضرورى أن تمس هذه الحملة "أميرة شيكاغو" باعتبارها من أهم رؤوس الفساد، وفى الوقت المناسب ، وصلتها نصيحة مع بعض أصدقائها فى دوائر السلطة بأن تختفى وتبتعد عن شيكاغو قبل ان تنفجر الفضيحة ويطالب البعض برأسها على أساس أنها من أهم رؤوس الفساد .

وكان رأى مارى تشرشل هو أن ما فعلته فى شيكاغو يمكن تكراره فى أى مكان آخر ولذلك حزمت حقائبها وتوجهت إلى نيويورك . وبعد فترة قصيرة تبعها عشيقها "ايدى" .

فى نيويورك، عاشت مارى تتنقل بين الفنادق الفاخرة بحثاً عن صيد جديد ، ولكنها بدأت تشعر أن الوضع مختلف فى هذه المدينة عما كان عليه فى شيكاغو . وكان هذا الشعور صادقاً إلى حد بعيد لأن مجتمع نيويورك لم يكن يشبه مجتمع شيكاغو من قريب أو بعيد كما ان مارى تشرشل لم تكن لها أى علاقات فى نيويورك يمكن ان تسهل لها خططها ومؤامراتها ، كما كان يحدث فى عاصمة الجريمة شيكاغو .

كما ان كبار المجرمين ورجال العصابات الذين كانوا يساندونها لم يكن لهم نفس الوجود أو

التأثير فى نيويورك ، بالإضافة إلى أن زعماء الجريمة فى نيويورك حاولوا الابتعاد عنها لتجنب الشبهات المحيطة بها وايثاراً للابتعاد عن المشاكل خاصة بعد أن ارتفعت الصيحات التى تطالب بمواجهة الفساد والجريمة وقد وصلت إلى شرطة نيويورك بالفعل تحذيرات من شرطة شيكاغو بضرورة مراقبة مارى تشرشل باعتبارها أخطر المجرمين فى مجال الاحتيال والابتزاز . وفى مواجهة هذه الظروف الصعبة . وغير الملائمة ، كان قرار مارى هو التوجه إلى أوروبا حيث لا يعرفها أحد وحيث يتوافر المئات بل والألوف من الأثرياء الذين تستطيع أن تلعب معهم لعبتها . وبالفعل ، توجهت مارى تشرشل إلى أوروبا وبالتحديد إلى أغنى المدن الأوروبية حيث نزلت فى أفخم الفنادق ومارست نفس أسلوبها القديم فى اصطياد الأثرياء وأصحاب الملايين ثم ابتزازهم والاقبال عليهم ..

الجريمة فى أوروبا

فى برلين ، استطاعت مارى أن تحتال على رجل صناعة ألمانى وتبتز منه مبلغ ٢٥٠ ألف مارك فى عملية واحدة .. بعد ذلك ، توجهت مارى إلى فيينا عاصمة النمسا حيث تعرفت بأحد النبلاء وارتبطت معه بعلاقة عاطفية .. وكانت النهاية تقليدية حيث دفعت لها أسرة هذا النبيل مبلغاً كبيراً من المال لكى تخرج من حياته وتمتنع عن التشهير به .

وتوجهت مارى بعد ذلك إلى لندن حيث لم يكن العمل هناك بالسهولة التى اعتادت عليها فى العواصم والمدن الأخرى وكان الرجال الذين تعرفت مارى عليهم فى بريطانيا من نوع يختلف كثيراً عن الرجال الذين عرفتهم من قبل حيث كانوا يتسمون بالتحفظ والحرص الشديد .

قد نفذت مارى عدة عمليات فى لندن ولكنها لم تقتنع بحجم "منجزاتها" فى العاصمة البريطانية وربما كان هذا الفشل النسبى يرجع إلى فقدانها للكثير من سحرها وجمالها بسبب كثرة السهر والافراط فى تناول الخمور مما أدى إلى ظهور التجاعيد على وجهها وزيادة وزنها بعض الشئ .

وقد أحست مارى براحة كبرى عندما علمت ان حبيبها القديم أيدى جورين قد وصل إلى باريس ، وقررت ان تسافر للحاق به هناك، حيث عثرت عليه فى أحد منازل حى "مونمارتر" الشهير وكان يقوم بالإعداد لأكبر عملية إجرامية فى تاريخه ..

وكانت هذه العملية التى يعد لها أيدى جورين هى اقتحام بنك امريكان اكسبريس لسرقته.

وأكد يدى لمارى أنه بعد نجاح هذه العملية سيكون بوسعهما التقاعد واعتزال الجريمة والحياة فى هدوء . وفى ليلة التنفيذ، توجه ايدى وعصابته إلى مقر البنك حيث تمكنوا من سرقة نصف مليون دولار من العملات الورقية الأمريكية ، وكانت مارى تقف فى الشارع أمام البنك لمراقبة الطريق حتى تفرغ العصابة من مهمتها . وهذا الدور الذى قامت به مارى فى هذه العملية لم يسبق لها أن لعبته من قبل ، لكنها أدته عن طيب خاطر من أجل عيون حبيبها ايدى .

وبعد ان عادت العصابة إلى وكرها ، كان القرار الذى اتفقوا عليه بالاجماع هو ضرورة تهريب الأموال المسروقة إلى خارج فرنسا فى أسرع وقت ممكن . فقد كان لكل دقيقة ثمنها وخطرها أيضاً ، بعد ان شنت الشرطة الفرنسية على الفور حملة كبرى للقبض على اللصوص الذين قرروا ان يتفرقوا بعد ان يقوم ايدى بتهريب الأموال المسروقة إلى خارج فرنسا .

ويبدو أن أعضاء العصابة لم يتحركوا بالسرعة الكافية . فقد وصلت إلى الشرطة معلومات من أحد المرشدين تؤكد تورط ايدى جورين وأميرة شيكاغو فى سرقة بنك أمريكان اكسبريس . وتوجهت الشرطة إلى وكر العصابة حيث قبضت على ايدى ومارى أثناء وضع الأموال فى حقيبة تمهيداً للهرب بها إلى الخارج .

كان ايدى على ثقة من أنه ضائع لا محالة، فقد اعتقل وبحوزته الأموال المسروقة ، لذلك فعندما قالت مارى للشرطة أنها ليست متورطة فى جريمة السرقة ساندها بقوة ، وأكد أنها ليست شريكة فى الجريمة ، ورغم تأكد الشرطة الفرنسية من تورط مارى فى جريمة السرقة ، إلا أنهم أطلقوا سراحها قانعين بالصيد الثمين الذى وقع فى قبضتهم، وهو ايدى جورين أخطر لص بنوك فى العالم .

المحاكمة

استطاعت مارى بعد ذلك الهرب إلى لندن ، ولكنها لم تستطع تحمل فكرة الابتعاد عن عشيقها ايدى لسنوات .. لذلك عادت إلى باريس لرؤيته فى السجن قبل محاكمته .

وكانت السلطات الفرنسية قد توصلت إلى أدلة لإدانتها خلال التحقيقات فى قضية سرقة بنك أمريكان اكسبريس .. لذلك تم القاء القبض عليها لدى عودتها إلى باريس ، وتم تقديمها للمحاكمة، حيث صدر الحكم بسجنها لمدة خمس سنوات وانهارت مارى عند صدور الحكم ، خاصة بعد أن علمت بالعقوبة التى صدرت على عشيقها ايدى جورين وهى السجن مدى الحياة

فى المستعمرة الفرنسية المعروفة باسم "جزيرة الشيطان" .

وقضت "أميرة شيكاغو" مدة العقوبة بالكامل ، وعندما خرجت من السجن فوجئت بحقيقة ان جمالها يتوارى بسرعة وارتسمت على وجهها سنوات السهر والمجون ، بالإضافة إلى الآثار التى تركتها فترة الحياة وراء الأسوار .

بعد الخروج من السجن،عادت مارى الى لندن، حيث قامت بتشكيل منظمة اجرامية جديدة عرفت باسم عصابة "شارع نورث أمبرلاند" .. وبدأت مرة أخرى تمارس جرائم الاحتيال والابتزاز ولكنها فى هذه المرة استخدمت شبكة من بنات الهوى والعاهرات للايقاع بالضحايا ، لأنها لم تعد قادرة على أداء هذا الدور بنفسها ، وقد كانت عودة "أميرة شيكاغو" لممارسة الاحتيال والابتزاز فى لندن خطوة محفوفة بالمخاطر لأسباب عديدة ، من أهمها ان الفساد لم يكن متفشياً بين رجال الشرطة البريطانية بنفس الدرجة التى كان عليها بالنسبة لرجال الشرطة فى شيكاغو .

وقد شنت الشرطة حملة كبرى ضد عصابة "شارع نورث امبرلاند" وزعيمتها مارى تشرشل وتم خلال هذه الحملة اعتقال العديد من أفرادها، بينما تمكنت زعيمة العصابة من الهرب مع عدد من اتباعها .

البغاء والمخدرات

ظهرت مارى بعد ذلك لممارسة نشاط آخر ، بعد أن تأكدت أنه لا الزمان ولا المكان أصبحا ملائمين لممارسة جريمة الاحتيال والابتزاز .. واختارت هذه المرة أن تدير وكراً لتعاطى المخدرات وخاصة الأفيون قرب ساحة البيكاديللى فى لندن .. وقد أصبح هذا الوكر هو المكان المفضل لمدمنى المخدرات سواء البريطانيين أو السياح الأجانب مما شجع مارى على أن تلحق بوكر المخدرات بيتاً للدعارة لجذب عشاق المتعة الحرام أيضاً .

يقول المؤلف البريطانى جيرالد سبارو فى كتابه عن "حياة مارى فيفيان تشرشل أميرة شيكاغو" ان نشاط مارى فى هذه المرحلة كان وضيعاً وحقيراً ومنحطاً حتى بالنسبة لنشاطها السابق فى مجال الاحتيال والابتزاز .. فقد كان المترددون على وكرها من حثالة البشر والرعاع..

وذات صباح سمعت مارى صوت دقات على باب منزلها، وعندما فتحت الباب وجدت أمامها عشيقها القديم ايدى جورين .. وكانت المفاجأة شديدة عليها، خاصة بعد أن أبلغها أنه

نجح فى الهروب من السجن بمعجزة، وأنه الآن يطلب حمايتها ومساعدتها .. كانت مارى مازالت تحب ايدى، ولكنها أيضاً كانت تدرك أنها لم تعد ذات قوة ونفوذ كما كانت من قبل ولذلك فقد راودتها شكوك عميقة فى مقدرتها على حماية عشيقها القديم أو مساعدته .

ورغم ذلك .. عاش ايدى مع مارى لمدة ستة شهور استعادا خلالها ذكريات الأيام الجميلة الماضية، وبعد ذلك بدأت مارى تلاحظ اهتمام ايدى بالفتيات الصغيرات العاملات عندها وسرعان ما بدأت الغيرة تسيطر عليها ، خاصة بعد ان بدأ اهتمام ايدى بها يقل رويداً رويداً.. وبدأت المشاجرات تتفجر بينهما .. وذات صباح اختفى ايدى فجأة ومعه فتاة عمرها ١٨ عاماً من العاملات فى بيت المتعة الذى تديره مارى ..

انتقام إمرأة

عندما علمت مارى بما حدث ، قررت ان يكون انتقامها من هذا العشيق الخائن رهيباً وكانت تعرف جيداً الطريقة التى تدمره بها واستأجرت قاتلاً محترفاً ، وكلفته بمهمة واحدة هى اغتيال ايدى جورين فى أى مكان وبأى ثمن ، وذات يوم ، كانت مارى تسير فى شارع "بلونوبرى" فى لندن مع هذا القاتل المحترف ، وفجأة ، وجدت أمامها ايدى جورين مع الفتاة التى فضلها عليها وهرب معها .. ولم تتمالك نفسها ، فاندفعت نحوه وبيدها ، خنجر كانت تحمله معها فى كل مكان لكى تغمده فى صدره ولكن القاتل المحترف الذى استأجرته كان أسرع منها ، وأطلق رصاصة من مسدسه على العشيق الخائن الذى سقط على الأرض وسط بركة من دمائه وقد أخذت فتاته الصغيرة تصرخ هلعاً وفزعاً ، بينما هربت مارى والقاتل المحترف قبل أن يمسك بهما أحد .

ورغم خطورة اصابة ايدى جورين ، إلا أنه نجا من الموت بأعجوبة .. واتهم "أميرة شيكاغو" بمحاولة قتله فتم تقديمها للمحاكمة عام ١٩٢٦ مع القاتل الأجير الذى أطلق النار.

خلال المحاكمة جلست مارى فيفيان تشرشل كسيرة القلب فى قفص الاتهام، وهذه المرة لم تحاول الدفاع عن نفسها ، وإنكار التهمة، بل قالت أنها هى التى أطلقت النار على ايدى جورين وانه يستحق القتل لأنه خانها ونسى كل ما فعلته من أجله .

وعندما صدر الحكم على مارى بالسجن لمدة خمسة عشر عاماً ، لم يهتز لها جفن بل استقبلته بابتسامة غامضة، وكأنها تستسلم لمصيرها وتقول للعالم كله : بعد الخيانة لا شئ يهم ..

ساندرا فرجاس
إمبراطورة الهيروين

كان حلمها الوصول إلى قمة السلطة والثراء والنفوذ..
ولكن النهاية كانت شديدة القسوة ..
وكانت بمثابة الدرس الذى جاء بعد فوات الأوان ..

منذ تفتحت عيناها على الحياة ، كانت ساندرا فرجاس تحلم بالمال والثروة والبذخ والرفاهية . ومن أجل تحقيق هذا الحلم ، لم تتردد الفتاة ذات الجمال الساحر فى أن تدق كل الأبواب حتى ولو كانت أبواب الجحيم .. وكانت مستعدة للسير فى أى طريق حتى تصل إلى ذلك الوهم أو السراب الذى كان يداعب مخيلتها أثناء اليقظة والمنام ..

نعم .. كانت ساندرا فرجاس ساحرة الجمال .. وكانت ذات بريق غامض يشع من عينيها ولا يعرف المرء إن كان هو بريق الطموح.. أم الجشع بلا حدود ..

كان مسقط رأس ساندرا مارسيا فرجان إحدى القرى الكولومبية وسط أسرة من الفلاحين البسطاء .. وجاءت الطفلة الصغيرة لتقاسمهم حياة البؤس والشقاء والحرمان .. ورغم ذلك ، تنبأت عرافة عجوز بأن هذه الطفلة ستلعب بالمال والذهب .. وأقدار الرجال .

حاول والدها البحث عن لقمة العيش لأسرته فى المدينة ، فانتقل معهم للعيش فى العاصمة بوجوتا ، ولكن المدينة كانت أشد قسوة عليه من القرية .. وظلت أسرة ساندرا تعانى من شظف العيش حتى دخلت الفتاة مرحلة المراهقة ، وبدأت أنوثتها تتفجر وتلفت إليها الأنظار فى كل مكان .. وبغريزة الأنثى .. أدركت ساندرا أن هذا الجمال سيكون هو السلاح الذى سيفتح لها أبواب الحلم .. ولم تتردد للحظة فى استخدام هذا السلاح مع كل الرجال المحيطين بها حتى تأكدت تماماً من فعاليته وإمكانياته الجبارة .

وقررت ساندرا أن تسعى للفوز بلقب ملكة جمال كولومبيا .. بل وملكة جمال العالم أيضاً.. وكانت واثقة من إمكانياتها الجسمانية الرائعة التى تتيح لها الفوز بهذا اللقب .

وبالفعل بدأت ساندرا تشارك فى مسابقات الجمال المحلية فى كولومبيا وفازت بألقاب عديدة ، أكدت أنها فى الطريق إلى القمة التى تحلم بها .. ولكن عيون الرجال الباحثة عن الجمال التقطتها مبكراً .. ولم يكن هؤلاء الرجال من النماذج العادية بل كبار تجار المخدرات فى كولومبيا معقل تجارة الهيروين والكوكايين فى العالم ..

استغل بارونات المخدرات فى كولومبيا جنون الطموح لدى ساندرا لكى يجذبوها إلى دائرة الدمار، ويجندوها للعمل فى شبكات تجارة وتهريب الكوكايين داخل كولومبيا وخارجها ، ولم تمر فترة طويلة حتى أصبح لقب ساندرا الرسمى هو إمبراطورة الكوكايين ..

فى البداية ، استغلت ساندرا مقاييس جسدها المثالية لكى تعمل كعارضة أزياء فى أسبانيا وباريس ونيويورك وروما، وارتبطت بعلاقات وطيدة مع أشهر الشخصيات ذات النفوذ فى الولايات المتحدة وأوربا .. وأخيراً ، وقع فى غرامها أحد كبار رجال الأعمال الأثرياء ويدعى هيرنانديز ايفرين وهو من الإكوادور بأمريكا الجنوبية . وعرض عليها هذا الثرى الزواج ووافقت الفتاة الجميلة على الفور بعد أن تأكدت من حجم ثراء العريس .. وبالفعل ، أجريت مراسم الزفاف فى ديسمبر ١٩٩٥ بمدينة كويتو عاصمة الأكوادور .

قدم العريس لعروسه طاقماً من الماس الحر ثمنه مليون دولار .. وكان حفل الزفاف ليلة من ليالى ألف ليلة وليلة لم تشهد مثله الأكوادور كلها عبر تاريخها كله .

وبلغ عدد الضيوف أكثر من ألفي مدعو جاءوا من جميع أنحاء العالم للمشاركة فى الاحتفال بزفاف إمبراطورة الكوكايين ..

ونظراً لأن هدف العريس كان هو مجرد التمتع بالجسد الأنثوى الجميل ، بينما كان هدف

العروس هو المال ، لذلك كان من الطبيعى أن ينهار هذا الزواج بعد شهر واحد فقط ..

وقال الزوج أنه تقدم بطلب الطلاق من ساندرا بعد أن اكتشف خلال شهر العسل علاقاتها المشبوهة وتورطها مع عصابات تهريب وتجارة المخدرات .. وبالفعل تم الطلاق واستولت ساندرا بمساعدة أصدقائها من المسئولين المنحرفين على بيت الزوجية وجزء كبير من ثروة الزوج المسكين .

وقد ساعدها بارونات المخدرات فى بلدها كولومبيا على تزوير وثائق تؤكد أنها فازت بلقب ملكة جمال كولومبيا لعام ١٩٩٣.. وبعد الطلاق سافرت ساندرا إلى باريس لكى تحقق المزيد من أحلامها فى الثراء والشهرة والنفوذ الذى وصل إلى حد نشر تهنئة لها فى الصحف الفرنسية من سفير كولومبيا فى باريس بمناسبة وصولها إلى فرنسا ، وأشارت التهنئة إلى أنها ملكة جمال كولومبيا لعام ١٩٩٣ ..

ونتيجة لحملة الدعاية المكثفة التى نظمت لها فى باريس ، اتفق معها أحد أكبر بيوت الموضة الفرنسية على أن تعمل معه كعارضة أزياء مقابل ملايين الفرنكات . وأصبحت حياتها نموذجاً حقيقياً للترف والبذخ ، فقد صادقت الحكام والمشاهير والفنانين وعاشت فى أفخم الفنادق وارتدت أغلى الملابس .. كل ذلك دون أن يعرف أحد أنها تعمل مع شبكات تهريب وتجارة المخدرات .

وأصبحت الصحف والمجلات تتابع أخبارها وتنقلاتها ونشرت لها صوراً مع الأمير رينيه أمير موناكو .. وأصبحت ساندرا وجهاً مألوفاً فى الحفلات الخيرية والدبلوماسية أيضاً .. وتهافت الصحفيون عليها لإجراء المقابلات والأحاديث بينما تنافست أكبر بيوت الأزياء على اقناعها بالعمل معها .

وقيل أنها كانت تمتلك مجموعة من أغلى المجوهرات فى العالم تصل قيمتها إلى عدة ملايين من الدولارات .

وفى نفس الوقت ، كانت ساندرا فرجاس تحمل معها فى سفرياتها العديدة عدة كيلو جرامات من الهيروين فى كل مرة .. ولم يكن أحد يجرؤ على تفتيش هذه الشخصية الشهيرة ذات النفوذ الكبير فى كل مكان .

وانتقلت ساندرا بعد ذلك إلى مرحلة أخرى، فأصبحت وسيطاً خطيراً بين منتجى المخدرات

وتجار التجزئة فى أوربا وأمريكا .. وحقق لها هذا الوضع المزيد من الثراء. أصبحت ساندرا تمتلك منزلاً فى كل عاصمة أوروبية تقريباً بجانب ممتلكاتها فى الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية . وبجانب ذلك أصبحت ساندرا صاحبة أضخم بيت للأزياء فى كولومبيا . ووصلت إلى مرحلة من الغرور جعلها تتصور أنها إمرأة فوق القانون .

لم تدرك ساندرا خطورة المنافسة فى عالم المخدرات .. ولم تفهم أن عالم الهيروين والكوكايين شديد القسوة ولن يسمح لها بالبقاء على العرش لفترة طويلة ..

ونتيجة لذلك ، تخلت ساندرا عن حرصها ، وبدأت تظهر فى أسواق المجوهرات لتشترى بالملايين دون أن تضع فى حسبانها أن عيوناً كثيرة ترقبها وتغير من نجاحها .

وفى بداية عام ١٩٩٦ ، تلقت الشرطة بلاغاً من مجهول بأن ساندرا فرجاس ستعود من أسبانيا إلى فرنسا مع ابنة عمها ومعها ٣٠٠ ألف فرنك فرنسى هى حصيلة صفقة صغيرة من المخدرات التى باعتها فى أسبانيا .

وانتظرت الشرطة ساندرا فى المطار وعثرت على المبلغ مع إبنة عمها التى عجزت عن تحديد مصدر هذه الأموال .

وبدأت الدائرة تضيق حول ساندرا وعقد مسئولو الشرطة فى كولومبيا وفرنسا وأسبانيا اجتماعاً للإيقاع بها أثناء إحدى عمليات التهريب الكبرى . وفى سبتمبر ١٩٩٦ ، ألقى القبض علي شاب فى مطار بوجوتا ومعه ٥ ,٥ كيلو جراماً من الهيروين واعترف بأنه تسلم هذه المخدرات من السائق الخاص بساندرا فتم القبض عليه أيضاً واعترف بأن المخدرات تخص ساندرا فرجاس .

وهكذا ، تم القبض على إمبراطورة الهيروين فى فرنسا، وتم ترحيلها إلى كولومبيا لمحاكمتها على سلسلة من الجرائم، منها تهريب المخدرات والاتجار فيها والفساد وغيرها..

سقطت ساندرا فى بحر العسل الذى كانت تحلم به .. واكتشفت أخيراً أن الطموح بلا حدود هو الباب الذهبى للضياع وأن عشق جمع المال والمجوهرات يشبه الماء المالح الذى لا يروى عطشاً مهما نهل الإنسان منه .. بل يجعله يشعر بالمزيد من الظمأ حتى تأتى النهاية المأساوية الأكيدة ..

أولريكا ماينهوف
الإرهابية ذات الشعر الأحمر

اعتبرها البعض مسئولة عن موجة الإرهاب التى اجتاحت العالم خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين .. وفى نفس الوقت ، أكد البعض الآخر أنها كانت ثورية من طراز رفيع . واتفق الجميع على أنها كانت نموذجاً غريباً وخطيراً من النساء .

فى مساء يوم ١٦ يونيو ١٩٧٢ ، تقدم أحد رجال الشرطة الألمانية إلى منزل منعزل فى قرية لانجنهاهن قرب مطار هانوفر بغرب ألمانيا ، بينما كانت وحدات من قوات الأمن الخاصة تحاصر المنزل وتتخذ مواقعها داخل وحول المبانى المجاورة ، وهى على أهبة الاستعداد للاشتباك وإطلاق النار .. دق رجل الشرطة على باب إحدى شقق المنزل ، وهو يخفى مسدسه وراء ظهره ، وبعد دقائق قليلة فتحت إمرأة الباب ، بينما كانت أثار النوم واضحة على وجهها ، وبمجرد أن شاهدت رجل الشرطة استيقظت كل حواسها فجأة ، وحاولت إغلاق الباب مرة أخرى ولكن هذه المحاولة جاءت متأخرة حيث ألقى رجل الشرطة بجسده إلى داخل الشقة وقام بشل حركة المرأة بسرعة خاطفة، ورغم أنها حاولت التخلص من قبضة الضابط، إلا أنها فشلت ولم تجد سوى عبارات السباب التى انطلقت من فمها وكأنها رصاصات صادرة من مدفع رشاش. كان هذا هو المشهد الأخير فى حملة مطاردة رهيبة وصفت بأنها أكبر مطاردة فى تاريخ

الشرطة الألمانية للقبض على ملكة الإرهاب وإمبراطورة العنف أولريكا ماينهوف ، التى استحقت عن جدارة لقب أخطر إمرأة فى العالم والتى كان القبض عليها حية أو ميتة هو حلم أجهزة الأمن والشرطة فى كل مكان على ظهر الكرة الأرضية .. اقتاد رجال الشرطة الألمان أولريكا مانيهوف بعد اعتقالها إلى إحدى السيارات المصفحة التى كانت فى الانتظار خارج المنزل ، واندفعوا بعد ذلك إلى الشقة ليعثروا على حقيبتها المعدة للسفر .. وعند فتح الحقيبة عثر بداخلها على ٣ مسدسات عيار ملليمتر وقنبلتين يدويتين ومدفع رشاش وشحنة ناسفة تزن ١٠ أرطال .

واجتاحت مشاعر الفخر والإعتزاز كل فرد فى الشرطة الألمانية لاعتقال أولريكا ماينهوف التى شكلت مع زميلها الألمانى اندرياس بادر أخطر عصابة روعت العالم لسنوات ، وهى منظمة (بادر ماينهوف) الإرهابية وقد ارتكبت هذه المنظمة أو العصابة سلسلة مروعة من الجرائم والعمليات الإرهابية التى شملت الاغتيالات واختطاف الطائرات وتفجيرات القنابل وغير ذلك من أشكال العنف الدموى التى اجتاحت العالم فى أواخر الستينيات وبداية السبعينيات وقد حددت سلطات التحقيق الجرائم التى ارتكبتها منظمة بادر ماينهوف بالتفصيل فى عريضة اتهام احتاجت لأكثر من ٣٥٤ صفحة .

وقبل اعتقال أولريكا مانيهوف ، كان قد تم بالفعل القبض على رفيقها أندرياس بادر وعدد من قيادات المنظمة وتم إيداعهم بأحد السجون .. ورغم القبض على أندرياس بادر إلا أن السلطات الألمانية لم تشعر بالراحة لأنها كانت تدرك أن أولريكا ماينهوف هى العقل المدبر للمنظمة والقوة المحركة التى تقف وراء جميع عملياتها الإرهابية .

المصير الأسود

والغريب أن بداية أولريكا ماينهوف لم تكن تشير من قريب أو بعيد إلى المصير الأسود الذى انتهت إليه .. وكانت الرحلة الغريبة التى قطعتها من النبوغ والتفوق ، إلى العنف والإرهاب نموذجاً للتغيير الجذرى ، الذى يمكن أن يطرأ على حياة إنسان وينتقل به إلى نقيض ما كان الجميع يتوقعونه له من نجاح وتفوق وازدهار !!

لقد كانت أولريكا ماينهوف طالبة جامعية مثالية ، ولكنها تحولت لتصبح رمزاً للتطرف والوحشية ، يمتلئ قلبها بالحقد والكراهية ، والرغبة فى تدمير هذا العالم .. ولدت أولريكا ماينهوف لأبوين مثقفين ، فى أسرة تنتمى للطبقة العليا المتوسطة بمدينة "أولدنبرج" الألمانية فى مقاطعة سكسونيا السفلى .. وكان ميلادها فى يوم ٧ أكتوبر ١٩٣٤ بينما كانت بلادها تمر بمرحلة

من الاضطراب السياسى ، وتستعد لدخول الحرب العالمية الثانية ، وكان والدها ووالدتها يعملان كمؤرخين فنيين ، تخصصهما تاريخ الفن، وهو نوع من العمل الراقى الذى يعمل فيه أناس من المتحضرين . وقد توفى والدها وهى فى سن الخامسة من عمرها ، ثم لحقت به والدتها وهى فى سن الرابعة عشرة ..

وخلال السنوات التى شكلت فيها ملامح شخصيتها ، كان المسئول عنها صديقة والدتها البروفيسور ريناتى ريميك ، وهى أستاذة جامعية مثقفة معروفة بآرائها الراديكالية المتطرفة . ويقال أن أولريكا ماينهوف تعلمت من هذه السيدة الكثير من الأفكار الشيوعية، وشربت منها كراهية السلطة والمجتمع، والرغبة فى التدمير والعنف، وغير ذلك من المواقف والأفكار الراديكالية المتطرفة .

وخلال سنوات الدراسة ، أظهرت الفتاة أولريكا ماينهوف ذات الشعر الأحمر تفوقاً ملحوظاً.. وفى عام ١٩٥٧ ، دخلت جامعة مونستر وهى فى الثالثة والعشرين من عمرها لتدرس علم الاجتماع والفلسفة، ولتصبح من الزعامات والقيادات الطلابية ذات الصيت الذائع فى أوساط الراديكاليين الألمان . وقادت أولريكا ماينهوف المظاهرات ضد القنبلة الذرية وضد الغزو الأمريكى لفيتنام ، وغير ذلك من القضايا التى أهتمت بها الحركة الطلابية الراديكالية فى جميع أنحاء العالم .

بداية المأساة

وذات يوم ، تعرفت أولريكا ماينهوف على رجل أنيق ، حاد القسمات، يدعى كلاوس روهل. وكان روهل يصدر مجلة يسارية فى ألمانيا ، يطلق عليها اسم «كونكريت» وبعد حديث قصير مع أولريكا ، أدرك أن هذه الفتاة ذات عقلية عبقرية، فطلب منها أن تعمل معه فى المجلة ووافقت أولريكا على الفور .

لم يمر وقت طويل حتى أصبحت أولريكا ماينهوف من رموز الصحافة الراديكالية فى ألمانيا ، فقد كانت تكتب ببراعة وبأسلوب منطقى يقتحم عقول القراء اقتحاماً . ولذلك إزدادت شهرتها ككاتبة سياسية من طراز رفيع ، واهتمت بالقضايا ذات الجماهيرية ، مثل اقتصاد ألمانيا والمشكلات الاجتماعية التى يعانى منها الكثيرون ، والتى وصلت إلى درجة البؤس بين قطاعات عريضة من الشعب الألمانى ، و لم يكن لهم أى نصيب من المعجزة الاقتصادية الألمانية التى يتحدث عنها العالم. وقد حققت مجلة كونكريت نجاحاً ملموساً بالنسبة للتعبير عن وجهات

نظرها ، ولكنهـا لم تحقق نفس النجاح فى التـوزيع والانتشـار . وهنا قرر كلاوس روهل إضـافة الجنس إلى الاهتمامات السياسية للمجلة، حتى تحقق الرواج المـطلوب ، وتستقطب المزيد من القراء.. وفى نفس الوقت تزوج روهل من أولريكا ماينهوف .

وبعد التطوير الذى شهـدته المجلة تضاعفت أعداد قـرائها ، وكسب صاحبهـا روهل وزوجته أولريكا المال الوفـير ممـا أتاح لهما حـياة رغدة فى منزل فـخم ، بالإضافة إلى سيارة مرسـيدس فاخـرة وبعد سنوات قليلة ، أصـبحت أولريكا ماينهـوف أما لطفلتـين توأم ، ووجدت نفسـها فى موقع نجـمة المـجتـمع الراديكالى بألمانيـا ، وأصبحـت وجهاً مـألوفاً على شـاشات التليـفزيون وصفـحات الجـرائد والمجـلات الألمانية والعـالميـة . ولكن كل هذا النجاح لم يجـعل أولريكا ماينـهوف تشعـر بالرضا، بـل كانت دائمـاً تحس بالاستـياء والضـيق مما حـولها وترى أن الـثراء والنجاح الذى وصلت إليه مجرد أشياء زائفة ، مصطنعة بلا قيمة .. وكان كلاوس روهل زوجاً لا يعرف شيئاً عن الوفاء أو الإخلاص، فارتبط بعلاقات نسائية عديدة، مما أدى إلى انفصال أولريكا عنه بالطلاق بعد سبع سنـوات .. والأكثر من ذلك أنها تركت أيضاً العـمل فى مجلة "كونكريت" وسافـرت إلى برلين ، ووضعت ابنتيهـا "ريجين" و"بيتـين" فى مدرسة داخلية كـلاسيكية معـروفة بنظامها الصارم ، وبذلك أصبحت حرة تماماً من كل قيد، فانطلقت لتنضم إلى إحدى الجماعات الراديكالية للشبـاب اليسارى المتطرف، الذين كانوا يؤمنون بأن الـعنف هو السبيل الوحيد لتغـيير المجتمع وسرعان ما أقتنعت أولريكا ماينهوف بأفكار هذه الجماعة، وبدأت تدافع علناً عن اشعال الحرائق، واحتجاز الرهائن ، وقتل المدنيين ، وغير ذلك من الأعمال الإرهابية .. وخلال اندفاعها نحو القضايا العـامة ، قررت أولريكا أن تقوم بتصفـية بعض الحسابات الشخصيـة، فبدأت حملة ضد زوجها السابق ومجلته، ووصلت الأمور إلى حد قيـامها بغارة مع عدد من رفاقها على منزلها السابق ، وتم خلال هذه الغارة تدمير المنزل وإشعال النار فيه .

ومن خلال مصادرها العديدة ، علمت أولريكا عن وجود شاب يعـد خبيراً فى اشعال الحرائق ويدعى اندرياس بادر ، الذى كان يقـضى عقوبة بالسـجن لإتهامه باشـعال النار فى أحد المـحال التجـارية الفخمـة بمدينة فـرانكفورت . وذات يوم ، قابلت أولريـكا "عروس الثورة" وهى الفـتاة جودرون انسـلين عشيـقة اندرياس بادر ، وكـانت انسلين ابنة أحـد القسـاوسة ، درست الفلسـفة وانضـمت إلى الشـبـاب الشيـوعى المـتطرف فى غـرب ألمـانيـا، ثم تعـرفت على اندرياس بادر وارتبطت بـه. وقـد علـمت أولريكا من انسـلين أن هناك خطـة لإطلاق سـراح انـدرياس بادر من السجن وبالتحديد فى إحدى مكتبات برلين . وتـقرر اختطاف اندرياس وتهريبه من هذه المكتبة ،

وفي يوم ١٤ مايو ١٩٧٠ قادت أولريكا ماينهوف بمجموعة من الإرهابيين المسلحين هجوماً مسلحاً على هذه المكتبة، قتلوا خلاله عدة أشخاص وأخذوا معهم اندرياس بادر، ثم لاذوا بالفرار..وكانت هذه الغارة هى بداية مرحلة العنف فى حياة أولريكا ماينهوف .

تنظيم إرهابى

ارتبطت أولريكا باندرياس بادر، واتفقا بعد فترة قصيرة على تشكيل منظمة "بادر ماينهوف" التى بدأت بحوالى أربع وعشرين عضواً فقط من أصدقائهما الفوضويين المعروفين بتطرفهم الشديد .

وكانت الشخصيات القيادية فى هذا التنظيم الإرهابى، هى اندرياس بادر، وعشيقته انسلين وجان كارل راسب ، الذى أصبح عشيقاً لأولريكا ماينهوف . وقد اتفق على أن يكن بادر هو زعيم المنظمة .. كان اندرياس بادر رجلاً أنيقاً جذاباً بالنسبة للنساء، يشبه الممثل الشهير مارلون براندو، ويحاول أن يقلده فى حياته .. وفى نفس الوقت ، كان بادر عدوانياً لأقصى درجة، لا يعرف شيئاً اسمه التفاهم أو الحوار أو النقاش ، يؤمن أن القوة والعنف هما اللغة الوحيدة التى يفهمها هذا العالم .. أما أولريكا ماينهوف ، فقد كانت هى العقل المفكر للجماعة، وفيلسوفة العنف التى تقدم الأساس الأيديولوجى والعقائدى لعملياتهم الإرهابية .

تمكن الأربعة القياديون فى منظمة بادر ماينهوف من الهرب إلى خارج ألمانيا وتوجهوا إلى الشرق الأوسط لتدريب الفدائيين فى منظمة الجبهة الوطنية لتحرير فلسطين .. ولكن مهمة الرباعى الألمانى لم تكن سهلة، وحدثت احتكاكات بينهم وبين أعضاء جبهة تحرير فلسطين، واتهم كل جانب الآخر بالبرود والغطرسة وانتقاد الثورة ! ! واعتبر الفلسطينيون أولريكا وانسلين من الشخصيات التى تسعى لفرض سيطرتها، ولم يمر وقت طويل حتى طلبت المنظمة من الألمان الأربعة الرحيل لأنهم أشخاص بلا قضية حقيقية .

ورغم ذلك ، ظلت أولريكا ماينهوف متعاطفة مع القضية الفلسطينية .. وبعد عودتها إلى ألمانيا، اتخذت قراراً مفاجئاً بإرسال ابنتيها إلى مخيم للاجئين فى الأردن، حتى يتم تدريبهما مع الأطفال الفلسطينيين ، لكى يصبحا من الفدائيين الانتحاريين "كاميكازى" ضد إسرائيل .

ولكن هذا المشروع لم يتم ، لأن الأب كلاوس روهل أقام الدنيا وأقعدها فى ألمانيا من أجل طفلتيه ، وقام باستئجار مخبرين خصوصيين لإعادة ابنتيه . ونجحت جهود الأب ، وتم العثور

على الطفلتين فى مخبأ باليرمو عاصمة صقلية وهما فى طريقهما للشرق الأوسط ، ورفضت الطفلتان فى البداية الحياة مع أبيهما ، لأن الأم أولريكا غرست فيهما كراهيته ، ولكنهما بعد فترة شعرتا بالحب تجاهه .. وأخذت منظمة بادر ماينهوف تنمو حتى وصل عدد أعضائها إلى مائة وخمسين فرداً من الذكور والإناث ، والغريب أن معظم هؤلاء الأعضاء كانوا من أسر أرستقراطية ثرية، ولم يكن هناك سوى عضوين فقط من الطبقة العاملة ، وقد اسندت لهما مهمة تغيير معالم السيارات التى تسرقها المنظمة .

وقد عرفت منظمة بادر ماينهوف بأنها منظمة مسلحة على أعلى مستوى . فقد كانت لديها كميات ضخمة من الأسلحة الخفيفة والرشاشات والقنابل اليدوية والعبوات الناسفة التى استخدمت فى سلسلة من الهجمات على البنوك وعمليات السرقة لتمويل أنشطة العصابة الإرهابية .

وقد شنت منظمة بادر ماينهوف هجوماً مروعاً على فرع بنك بافاريا فى مدينة كايزر سلوتنى الألمانية ، وقتل خلال هذا الهجوم أحد رجال الشرطة .

شاركت فى هذا الهجوم عضوة جديدة فى المنظمة ، وكانت فتاة ذات شعر أشقر طويل تدعى انجبورج بارتز .. وأصيبت هذه الفتاة بالهلع من منظر دماء الضحايا ، لدرجة أنها قررت العودة إلى منزلها ، والابتعاد عن هذه العصابة ، واتصلت انجبورج تليفونيا بوالديها فى برلين وكانت هذه هى المرة الأخيرة التى سمع فيها الأبوان صوتها .. فقد اعترف جرهارت مولر ، وهو إرهابى تحول إلى شاهد ملك عند محاكمة العصابة ، بأن أولريكا ماينهوف استدعت الفتاة ، ثم رافقتها إلى منطقة نائية مهجورة ، ونفذت فيها حكم الإعدام بتهمة الخيانة ، واستمرت الأعمال الإرهابية البشعة لمنظمة بادر ماينهوف ، بينما كانت السلطات عاجزة عن مواجهتها رغم الهلع الذى سببته فى مختلف أنحاء ألمانيا .

هجوم الشرطة

خلال عامين من العمليات الإرهابية ، قتلت العصابة خمسة أشخاص بالرصاص أو القنابل وحاولت اغتيال أربع وثلاثين شخصاً ، وشنت عدداً لا يحصى من الهجمات والتفجيرات التى استهدفت الجيش الأمريكى فى ألمانيا . لم تكن أولريكا ماينهوف تهتم على الإطلاق بالحياة الإنسانية.. وكانت تصف بعض الناس مثل رجال الشرطة بأنهم "خنازير" رغم أن الشعارات التى رفعتها كانت شديدة البريق، مثل تحقيق المساواة بين البشر ومقاومة الظلم الاجتماعى.

حشـدت جهـات الأمن الألمانيـة كل قواتهـا من أجل مواجـهة مـوجة الإرهاب ، التى اجـتاحت ألمانيا.. وحانت الفرصة فى بداية عام ١٩٧٢ فى أحد الشوارع الهادئة بمدينة فرانكفورت .

فقد تلقت الشـرطة الألمانية بلاغاً من مـجهول بوجود كمـية كبيرة من الأسلحـة والذخيرة فى أحد الجراجات بهـذا الشارع .. وتحركت قوات الأمن مع سيارتى لورى بهمـا أكياس من الرمال ليس لاستـخدامـها فى بناء حـائط، بل للظهور فى شكل عـمال ينقلون بضـائع إلى أحد المـحال التجارية .. وبعد فترة ، اقتربت سيارة فاخرة من طراز "بورش" المعروف بسرعته الفائقة ، وخرج منها ثلاثة رجال يرتدون سويترات من الجلد ، ودخل اثنان منهـما إلى الجراج ، بينما انتظر الثالث فى الخـارج ، وقامت الشـرطة باعـتقـاله ، وكان هو كـارل راسب أحـد قادة المنظمـة والإرهابى الخطيـر الذى كان أيضاً عـشيـقاً لأولريكا مانـيهوف ، وبعـد فتـرة من الحصار ، تم القـبض على إرهابى آخر هو "هولجـارماينز" ثم حدث تبـادل لإطلاق النار، وأصيب إرهابى آخر برصـاصة فى فخـذه، وتم اعتقـاله وهو يتأوه من الآلام ، وكان هو اندرياس بادر، وبعـد فترة قـصيرة ، اعـتقلت جودرون انسلين فى هامبورج داخـل أحد محال الملابس، حيث لاحظ عامل المـحل أنها تحتفظ بمسدس فى ملابسها فاتصل بالشرطة .

وبعد القبض على رفاقهـا ، شعرت أولريكا مانيهوف بالوحدة والعزلة، وبدأ جـميع أصدقائها حتى من اليساريين والشيوعيين يتخلون عنها نظراً لخطورتها .

فى أحـد أيام شـهر يونيـو ، قـررت أولريكا أن تتـوجه إلى مطـار "هانوفر" حـيث كـان يسكن بالقرب منـه مدرس يسارى صـديق لها ، ووصلت أولريكا إلى شـقة هذا المـدرس ، ومعهـا عدة حقائب ، وعندما فتح لها الباب، أحس الرجل أنه فى مأزق شديد . فهو يشغل الآن موقعاً محترماً كرئيس للاتحـاد الفيدرالى للمدرسـين الألمان .. وكان آخر شئ يرغب فـيه هو أن تزوره أولريكا ماينهـوف فى شقتـه لتطلب الإقامة عنده فـترة ، وقد سـمح المدرس الصديق لأولريكا مـاينهوف بالدخول . وتوجه إلى بعض أصدقـائه يسألهم المشورة عن كيفية التـصرف فى مثل هذا المأزق ، ونصحوه جميعاً بإبلاغ الشرطة فوراً .. وبـالفعل اتصل بالشرطة وأبلغها بوجود أولريكا ماينهوف فى شقته .

وخلال محاكمـة أولريكا ماينهوف ، لم تتوقف عن توجيه الشتائم للقضـاة والمحامين ورجال سوف تنفجر فى وقت لاحق ، وبالفعل حدثت عدة أعمال إرهابية على سبيل الانتقام .

وقد وصف أحـد القساوسـة الذين عرفوا أولريكا مـاينهوف نهايـتها بقولـه البوليس . وتمت

محاكمة زعماء وأعضاء عصابة بادر ماينهوف وسط إجراءات لم يسبق لها مثيل فى ألمانيا . وتم بناء زنازين خاصة للمتهمين فى سجن ستانهايم بشتوتجارت، حيث كانت هناك مخاوف من حدوث هجمات إرهابية على السجن، بهدف إطلاق سراح أعضاء العصابة الإرهابية، ورغم وضع المتهمين فى زنازين منفصلة، إلا أن أولريكا ماينهوف أصيبت بحالة اكتئاب غريبة .. فقد امتنعت تماماً عن الحديث حتى مع الحراس وأصبحت تطيل التفكير والتأمل .. وفى صباح يوم ٩ مايو ١٩٧٦ ، عثر الحراس على جثة أولريكا ماينهوف وقالوا أنها شنقت نفسها فى زنزانتها.

وقد رفض الكثيرون ، خاصة من أتباعها ومؤيديها ، تصديق أنها انتحرت، وقالوا أن السلطات الألمانية قتلتها .

وشيعت جنازتها فى برلين ، وسار فى هذه الجنازة أربعة آلاف شخص، معظمهم حرص على إخفاء وجهه بقناع حتى لا تتعرف عليه سلطات الأمن .

وخلال الجنازة أدرك رجال الأمن أن أمامهم قنبلة موقوتة ، اسمها الانتقام لأولريكا ماينهوف نهايتها بقوله .. "اعتقد أنها أدركت أخيراً أنها وصلت إلى نهاية الطريق الخطأ الذى سارت فيه" .

إيميــــلدا مــــاركـــــوس
لعــــنة الطمـــوح

كانت إيميلدا رمزاً للطـموح فى أقصى بل وأبشع صوره .. بدأت من تـحت الصـفــر .. ووصلت إلى قمـة السلطة والنفوذ والثـراء . تجاهلت مشاعـر الشعب الفلبينى الفـقير، وأخذت تغترف من ثرواته لتنفقـها على شهواتها وملذاتها .. وفى النهـاية جاء حكم الشـعب حـاسمـاً كالسـيف وهو أن تسقط هذه المـرأة ذات الجمال الـساحر من على القـمة مع زوجهـا الدكتـاتور الذى لفظ بين يديها أنفـاسه الأخـيرة فى المنفى .. بعيداً عن الوطن ..

الطموح هو سر المرأة الأكبر .. فهو الذى يحلّق بها إلى الأفق اللانهائى .. وهو أيضاً الذى قد يحـّـول حـيـاتهـا إلى مـأسـاة ، لا تـسـتـدر مـن الدمــوع بقــدر مـا تـجلب اللعنـات على صاحبتها ...

طموح المرأة إعـصار لا يعرف حدوداً ولا نهـايات .. هو قوة جهنميـة تنطلق بصاحبتـها نحو المطلق ، وترفض أى محـاولة للتوقف عند قدر معين من الـمتعة أو الثراء أو النفـوذ، وفى أحيان

كثيرة يتجاوز طموح المرأة حتى الحـدود التى يحتملها المعنى اللغوى للكلمة بحيث تكون هناك ضرورة ملحة وحتميـة لاستخدام كلمة أخرى تكون أكثر قدرة على التعـبير عن هذه القوة الرهيبة التى تضطرم داخل صدر المرأة .. وفى هذه الحـالة تكون أقرب الكلمات التى يمكن اسـتخدامها هى الجشع الجنونى أو الطمع الشيطانى ..

عشق السلطة والنفوذ

إن المرأة بطبعهـا مخلوق شديد النهم والافراط ، خاصة إذا تخلصت من القيـود التى تفرضها بعض القيم الاجتماعية والدينية على غرائزها وأطماعها ...

والمرأة تعـشق النفوذ، ولديها شبق جنونى للـتسلط والدكتاتورية .. وهى مـخلوق عابد لذاته ولديها إستعداد لقضاء عمرها كله تتبتل فى محرابها .. وتصلى لنفسها .. ووقوف المرأة لساعات أمام المـرآةخير دليل على هذه العـقيدة الوثنيـة التى تؤمن بها كل امرأة وهى عـبادة الذات .. ولم تولد بعد المرأة التى لـم تغلق على نفسها باب غرفتهـا، وأخذت تتأمل معالم الجمال فى جسدها، وتحلم بملايين الذين يتدفقون إلى معبدها، ويسجدون أمام وثنها الجميل ...

وفى بعض الأحـيان ، يرتبط هذا التـقديس الجنونى للذات بذكـاء عبـقرى، يحول الـمرأة إلى مخلوق نادر يجمع بين الجمال والعبقرية، ليكون مزيجاً مـدمراً لصاحبته وللكثيرين من المحيطين بها أيضاً ..

وأبرز نموذج على ذلك هو امرأة معاصرة تستـحق بالفعل لقب أشهر بنات الشيطان فى القرن العشرين ، وهى إيميلدا مار كوس أرملة طاغية الفلبين الراحل فرديناند ماركوس ..

بعد حـوالى ٢٥ عاماً فى الحكم ، سقط مـاركوس، وهرب من الفلبين ليـعيش فى المنفى مع زوجته الجميلة ايميلدا .. وعندما اقتحم الشـعب قصور الطاغية، شاهد أبشع صور الفساد التى لم يكن يتـخيلها أحـد .. وكان الفـساد المـتعلق بالسـيدة الأولى ايمـيلدا ماركوس، هـو الأشد اثارة وبشاعـة فى نفس الوقت .. عـثروا فى أحد الـقصور على أكـثر من ثلاثة آلاف زوج مـن الأحذية الخاصة بأيميلدا، بعضها كان مطعمـاً بالماس والأحجار الكريمة .. كانت زوجة الطاغية تضع فى قدميها ثروة حقيقية بينما شعب الفلبين يموت جوعاً ..

وتوالت التفاصيل المروعة ترسم صورة رهيبة للحياة التى عاشتها ايميلدا ..

اشترت ايميلدا لوحات فنية عالمية بمبلغ يزيد على مائة مليون دولار ..

كانت هى أكبر زبون للمجوهرات فى العالم .. وكانت كبرى محال المجوهرات فى سويسرا وباريس ولندن ونيويورك تغلق أبوابها ، بمجرد أن تصل سيدة الفلبين الأولى، التى لم تكن تقل مشترياتها فى أى زيارة لمحل مجوهرات عن مليون دولار فى المرة الواحدة ، وقد اشترت ايميلدا جوهرة(عين القط) الشهيرة بمبلغ ٥ ,٥ مليون دولار ، وخلال احدى زياراتها لسويسرا اشترت مجوهرات وأحجار كريمة قيمتها ١٥ مليون دولار مرة واحدة ..

لم تكن ايميلدا تسافر إلى الخارج فى مقعد بطائرة، أو حتى بطائرة خاصة، كما يفعل الأثرياء وأصحاب الملايين، بل كانت تنتقل بين مدن العالم بطائرتين، الأولى لها والثانية لحقائبها ومشترياتها .

الطائرة الخاصة لإيميلدا ، كانت أعجوبة، ونموذجاً لا نظير له لجنون البذخ، الذى كانت هذه المرأة تعانى منه .. فهى مزودة بجناح للنوم وصالون وحمام .. ومقابض الأبواب مصنوعة من الذهب الخالص، وقام بتصميم مصاعدها وأثاثها وتجهيزاتها أكبر خبراء الديكور فى الولايات المتحدة وأوربا ..

وقد اشترت ايميلدا شقة سكنية فى أحد أهم شوراع مدينة نيويورك ، ودفعت فيها عشرة ملايين دولار ، واعترض سكان المبنى على اقامتها وسطهم، بحجة أن وجود شخصية مثل ايميلدا ماركوس فى عمارتهم سيؤدى إلى القضاء على جو الهدوء الذى يعيشه السكان ، وبالفعل تنازلت ايميلدا عن الشقة، وحجزت جناحاً دائماً فى فندق والدورف استوريا الشهير يصل ايجاره إلى ٢٠٠٠ دولار فى الليلة الواحدة، بالاضافة الى ألف دولار أخرى ثمن الزهور التى كان يتم توزيعها فى أنحاء الجناح كل خمسة يوم .

كانت إيميلدا أحد رؤوس الفساد الكبرى فى الفلبين فقد أقامت امبراطورية هائلة للرشوة والفساد والمحسوبية، حيث أكدت العديد من الشركات العالمية أنها دفعت ملايين الدولارات لإيميلدا حتى تفوز بعقود وإمتيازات فى الفلبين ، واستخدمت ايميلدا شبكة من الأقارب والمحاسيب لاستلام هذه الرشاوى بأسمها، مقابل تسهيل أعمال الشركات الأجنبية ..

كانت خزائن كل المؤسسات الفلبينة مفتوحة على مصراعيها أمام ايميلدا، بما فى ذلك مؤسسات الجيش والشرطة والمخابرات والرئاسة ، ولم تكن ايميلدا تسحب من هذه الخزائن فى المرة الواحدة أقل من مليون دولار .

عملية نهب كبرى

لقد تولى طاغية الفلبين الرئاسة فى عام ١٩٦٩ وظل هو وزوجته يمارسان عملية نهب كبرى لثروات الشعب الفلبينى لدرجة أن ثروته وصلت بعد عشرين عاماً فى السلطة إلى ٢٥ مليار دولار بخلاف الأموال الهائلة التى أنفقاها خلال هذه الفترة على حياة الترف والبذخ التى تضاءلت بجوارها مشاهد ومظاهر الثراء فى قصص ألف ليلة وليلة .

ومن القصص الغريبة التى تتردد عن الطاغية ماركوس وزوجته ايميلدا ، أنهم عثروا على كنز الذهب الذى أخفته اليابان فى الفلبين خلال الحرب العالمية الأولى .

وقصة هذا الكنز ترجع إلى أيام احتلال اليابان للفلبين ، حيث عثر الجنود اليابانيون على منجم للذهب شمالى العاصمة الفلبينية مانيلا . واستخدم اليابانيون أسرى الحرب من قوات الحلفاء فى استخراج هذا الذهب، ثم اعادة دفنه فى أماكن سرية داخل الفلبين ، وقتل اليابانيون جميع الأسرى الذين شاركوا فى هذا العمل حتى لا يعرف أحد السر غيرهم ، ثم أعدوا خريطة بمواقع الذهب حتى يتمكنوا من الوصول اليه بعد انتهاء الحرب .

ولما هزمت المانيا واليابان فى الحرب العالمية الثانية، احتفظ اليابانيون بهذا السر، ولم يعلم به أحد . ولكن ماركوس إستطاع أن يعرف قصة كنز الذهب بالصدفة، عن طريق المخابرات الأمريكية التى كان يعمل فى خدمتها ، وبمساعدة خبير أمريكى ، تمكن ماركوس من الوصول إلى الذهب، واستولى عليه لنفسه ، ولكن الخبير الأمريكى أدلى بتصريحات صحفية بعد مغادرته الفلبين كشف فيها ، السر الخطير .

وفى مواجهة هذا الموقف ، نفى ماركوس القصة برمتها، بل وإتهم الخبير الأمريكى الذى ساعده فى الوصول إلى الذهب بالجنون ، ولكن ذلك لم يكن كافياً لاسكاته، فحاولت المخابرات الفلبنية إغتياله، ولكنه هرب واختفى فى أمريكا الجنوبية، وأغلق فمه تماماً بعد أن أدرك أن اللعبة أصبحت خطيرة .

وقد أدرك ماركوس أن بقاء كل هذا الذهب داخل الفلبين لن يفيده فى شئ، وأنه لا بد من تحويل هذا الذهب إلى دولارات ، وبالفعل قام ببيع هذا الذهب على دفعات فى أسواق العالم ، وتردد أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية قد ساعدته فى تحويل الذهب إلى أموال سائلة وضعها فى حساباته المتعددة بالبنوك الأجنبية .

وقد اتهمت اللجنة الحكومية التى شكلتها سلطات الفلبين الجديدة، بعد سقوط ماركوس

دكتاتور الفلبين السابق وزوجته ايميلدا بالاستيلاء على ١٥ مليار دولار نقداً من ميزانية الدولة وتهريبها خارج البلاد .

وأكدت اللجنة أن ماركوس وايميلدا قاما بتغير اسميهما إلى ويليام رايان وجين رايان لفتح حسابات فى البنوك الأجنبية حتى لا يستطيع أحد الوصول إلى الأموال التى نهباها من الشعب الفلبيى الفقير، مما أدى إلى المزيد من التدهور فى اقتصاد الفلبين وزيادة معاناه المواطنين.

وقد كشفت وسائل الاعلام العالمية حجم البذخ والثراء الذى عاشته ايميلدا ، وتحدثت كثيراً عن الحفلات الصاخبة التى كانت تقيمها فى مختلف عواصم العالم، وتدعوا فيها أصدقاءها من المليونيرات للتمتع بالثروات التى نهبتها من دماء الشعب الفلبينى المسكين .

ولا شك أن جرائم ايميلدا ماركوس لم تتوقف عند حد نهب الأموال مع زوجها من ثروة الشعب الفلبينى .

فقد كانت هذه المرأة ذات جبروت هائل، وكانت هى الحاكم الفعلى للبلاد الذى أحكم قبضته عليها بالحديد والنار ، ووصلت الأمور إلى حد أن وصفتها وسائل الاعلام العالمية بأنها السلاح السرى لماركوس فى مواجهة معارضية .

لذلك لم يكن غريباً أن تحاول إيميلدا بعد أن تدهورت صحة زوجها ، أن تستولى صراحة على منصب الرئاسة فى الفلبين ، وقد كانت هناك مقدمات عديدة لهذه الخطوة الغريبة التى تدخلت الأقدار لكى تحرم إيميلدا منها ..

فقد تزايد نفوذ ايميلدا بشكل، هائل حتى أصبح يفوق نفوذ زوجها الرئيس الرسمى للبلاد. وقد تولت ايميلدا بالفعل العديد من المناصب والمواقع الهامة فى الفلبين، منها منصب محافظ العاصمة مانيلا، ووزارة الإسكان ووزارة الشئون الإجتماعية ، وعضوية البرلمان، وعضوية اللجنة التنفيذية العليا المكلفة بأدارة شئون البلاد فى حالة وفاة أو عجز الرئيس فرديناند ماركوس .

باختصار ، كانت ايميلدا هى الشخصية الأولى فى الفلبين، حتى قبل زوجها الرئيس الذى كانت تعتبره مجرد مرحلة فى طريق الطموح الجنونى الذى سارت عليه .

لقد كانت الخطوة الأولى فى هذا الطريق الذى سارت فيه ايميلدا هى العمل كراقصة ومغنية، ثم حصلت على لقب ملكة جمال الفلبين . وكان هذا اللقب هو الذى لفت إليها أنظار الكثيرين من الرجال ، وعلى رأسهم الرئيس ماركوس ذاته . وفى عام ١٩٨٦ ، تردد أن إيميلدا

تسعى لمنصب نائب الرئيس ولكن الواقع كـان يؤكد أنها أقوى من الرئيس لسـبب بسيط أنها هى التى تحركه وتحدد له الخطوات والقرارات التى يتخذها .

كانت المعركـة الأخيرة التى خاضها ماركـوس ضد زعيم المعارضة الفلبـينية بنينو أكنيو هى أبرز دليل على الدور الذى تلعبه إيميلدا فى ادارة نظام زوجـها ، لذلك كانت هى القائد الذى أدار هذه المعركة وخطط لها وحدد كيفية تنفيذها .

قلب حاقد

كانت ايمـيلدا شديدة الكراهيـة لكل من يجرؤ على مـعارضة نظام زوجـها الطاغـية .. لذلك إمتلأ قلبها بالحقد على الزعيم المـعارض بنينو أكينو الذى كان ينتمى لأسرة شديدة الثراء وارتبط بعلاقات غرامية عديدة، منها علاقة مع ايميلدا نفسها ، لكنه ابتعد عنها بعد أن تأكد من أنها تسعى لاستخدامه كوسيلة لتحقيق طموحاتها وأطماعها .

لم تغفر إيـميلدا لأكنيو هذا الموقف القـديم، لذلك قررت أن تنتقم منه بعد أن أصـبحت هى سيدة الفلبـين الأولى ، واعتقدت أن أكنيو تـعالى عليها وإحتـقرها لأنه ينتمى لأسرة أرستـقراطية بينما تنتمى هى لعامة الشعب ، أو لأسرة فقيرة معدمة .

وبالاضـافة إلـى ذلك ، أخذ الزعـيم المـعـارض يشن حملة انـتقـادات عنيـفة ضـد ايميلدا ماركوس وهاجم تورطها فى الفساد وأصبحت صـرخاته ، تروى فى البرلمان " أوقفوا هذه السيدة عند حدها" .

كما هاجم أكنيو المـشروعات الدعائية التى تشرف عليـها اميلدا مثل مشروع نشـر الثقافة فى الفلبين ، وقال أن الشعب جائع ويعيش فى الأكواخ بينما تتحدث السيدة الأولى عن الثقافة وتهتم بالفن الأرستقراطى مثل الأوبرا والبالية .

ووصف زعيم الـمعارضـة أنشطة واهتمـامات ايمـيلدا ماركـوس بأنها ليـست ضرورية، وأن الهدف الوحيد فيها هو الدعاية للسيدة الأولى وزوجها الدكتاتور، بينما لا يستفيد الشعب الفلبينى شيئاً من هذه المشروعات، وقد استطاعت الحملة التى شنها الزعيم المعارض بنينو أكنيو أن تؤثر على طمـوحات سـيدة الفلبـين الأولى ، وبدأ الشعب يتـحدث عن قـصص فسـادها .. ووصلت الأمـور إلى حد عـجز إمـيلدا عن مواجـهة هذه الحـملة وحـدها، وطلبت من زوجهـا الرئيس أن يتدخل لمـساندتها، بعـد أن أقنعته أنه الهـدف الحقيـقى لهذه الحمـلة ضدها، وأن أى تدهور فى شعبيتها لابد وأن يتبعه تدهور فى شعبية الرئيس ..

وهكذا ، اندفع ماركوس للدخول بكل ثقلة وقوته فى هذه المواجهة بين زوجته وزعيم المعارضة.. وأدلى بتصريح خطير قال فيه : إن من يعارضونه ويسعون لإسقاطة يجب أن يتصرفوا كرجال ، وأن يوجهوا ضرباتهم لشخص الرئيس بدلاً من تركيز هجماتهم على النساء والأطفال .

كانت نتيجة حملة الانتقادات التى تعرضت لها ايميلدا هى تهديد المشروعات الثقافية التي تشرف عليها بالتوقف ، خاصة بعد أن بدأ المتبرعون فى هذه المشروعات يتراجعون ، لولا أن استغلت إيميلدا كل نفوذها ونفوذ زوجها لكى تستمر هذه التبرعات .

وعند هذه المرحلة ، قررت إيميلدا أن تلجأ لأسلوب الضرب تحت الحزام، فى مواجهة خصومها ومعارضى زوجها، فأقنعت الرئيس الفلبينى أن هؤلاء الأعداء والمعارضين يتسترون وراء الديمقراطية ويحتمون خلف ستار حرية الرأى .

وطلبت إيميلدا من ماركوس أن يدوس بحذائه على الديمقراطية من أجل انقاذ مستقبله السياسى . وأشرفت السيدة الأولى بنفسها على تنفيذ مخطط إرهابى إجرامى يشمل تنفيذ سلسلة من عمليات الأغتيال السياسى والتفجيرات وأعمال العنيف ، ثم إلصاق تهمة هذه الأعمال الإرهابية بالمعارضة الفلبينية . وبعد ذلك أعلن ماركوس بعد استشارة زوجته الأحكام العرفية وبسط الجيش سيطرته على البلاد، واستولى العسكريون من الموالين لايميلدا وزوجها على المراكز الاستراتيجية والهامة فى البلاد وفى مقدمتها مقار وسائل الاعلام والاذاعة والتليفزيون، وتم اعتقال خمسين شخصاً من زعماء المعارضة والصحفيين فى حملة رهيبة ، ووجهت لهؤلاء المعتقلين تهمة السعى لقلب نظام الحكم بالقوة .

وكان زعيم المعارضة بنينو أكنيو على رأس قائمة المعتقلين فى حملة سبتمبر ١٩٧٢ ولكنه تقدم يوم ٢٥ سبتمبر بالتماس للمحكمة العليا يطلب فيه التحقيق معه ويطعن فى شرعية الأحكام العرفية التى أعلنها ماركوس فى الفلبين، ورغم أن عدداً من أكبر المحامين الفلبينيين وقفوا أمام المحكمة يؤكدون تضامنهم مع زعيم المعارضة إلا أن المحكمة رفضت الالتماس بالعفو عن المعتقلين وإلغاء الأحكام العرفية !!

لم يكن بنينو أكنيو زعيماً من النوع الذى يستسلم بسهولة، لذلك رفض أن يدافع عن نفسه أمام هذه المحكمة الظالمة، وإتهم ماركوس وزوجته بتلفيق الاتهامات له، ثم أعلن الإضراب عن الطعام فى يناير ١٩٧٥ ونفذ الاضراب بالفعل داخل السجن لمدة شهر كامل، حتى فقد ٣٠ كيلو جراما من وزنه تقريبا، فتم نقله إلى المستشفى لإنقاذ حياته .

حكم بالإعدام

فى أواخر نوفمبر ١٩٧٧ صدر الحكم العسكرى بأعدام بنينو أكنيو رمياً بالرصاص ولكن الولايات المتحدة تدخلت لوقف تنفيذ الحكم ، وبعد عام ، نجحت الجهود التى بذلها الرئيس الأمريكى جيمى كارتر فى التوصل إلى اتفاق لأنقاذ حياة زعيم المعارضة الذى كانت زوجته كورازون تتفاوض بأسمه .

كان هذا الإتفاق يقضى بأن يتقدم زعيم المعارضة المعتقل بالتماس بحيث يتضمن ثلاثة نقاط أساسية، الأولى هى طلب العفو من الرئيس الفلبيني والثانية هى الاعراب عن رغبته فى العيش خارج بلاده، والثالثة هى التعهد بعدم الاشتغال بالسياسة. وتقدم بنينو أكنيو بهذا الالتماس ، ولكن نصيحة ايميلدا لزوجها ماركوس كانت هى تأجيل العفو عن زعيم المعارضة لأطول فترة ممكنة . واستمرت هذه الفترة لمدة عام ، وأخيراً أعلن ماركوس العفو عن بنينو أكنيو وسمح له بمغادرة الفلبين مع زوجته كورازون أكنيو وأفراد أسرته للحياة فى المنفى بمدينة بوسطنى الأمريكية، حيث واصل نبينو أكنيو معركته السياسية ضد الدكتاتور ماركوس وزوجته ايميلدا ..

وبعد مغادرة أكنيو للفلبين ، شهدت البلاد موجة رهيبة من أعمال العنف وانفجارات القنابل.. وتعرض الرئيس ماركوس لمحاولة اغتيال نجا منها بأعجوبة، حيث انفجرت قنبلة بالقرب منه وأدى الانفجار لإصابة عشرين من حراسه

وبعد هذه المحاولة ، صدر أمر بالقبض على ثلاثين من أكبر معارضى الرئيس ماركوس فى الفلبين وخارجها، وكان بينهم الزعيم بنينو أكنيو ولكن السلطات الأمريكية رفضت تسليمه بسبب عدم وجود اتفاقية لتبادل تسليم المجرمين بين الولايات المتحدة والفلبين .

بعد ذلك لجأت المعارضة الفلبينة إلى استراتيجية جديدة تقوم على اختيار بعض قادة ماركوس وطرحهم كبدائل للدكتاتور فى حالة الإطاحة به ..

وفى إطار هذه الاستراتيجية ، تم اختيار الجنرال فيدل راموس رئيس الشرطة ونائب رئيس أركان الجيش المعروف بولائه لأمريكا لكى يقود حركة المطالبة بالاصلاح داخل المؤسسة العسكرية الفلبينية ، بينما وقع الاختيار على الزعيم السياسى خوان بولسية ، ازيل لقيادة حركة الاصلاح السياسى رغم أنه كان يعتبر من رجال ماركوس .

وكان هذا الاختيار موجهاً لأمريكا أيضاً لإقناعها بوجود بدائل لماركوس من الموالين لها والذين تستطيع الاعتماد عليهم بدلاً من الدكتاتور .

وفى عام ١٩٨٥ ، كشفت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية جهودها لاسقاط ماركوس من خلال دعم حركة الاصلاح . وبضغط من الرئيس الأمريكى رونالد ريجان أعلن ماركوس اجراء انتخابات رئاسية فى ٧ فبراير ١٩٨٦ أى قبل عامين من موعدها المحدد عام ١٩٨٨.

كان ماركوس واثقا من الفوز بالانتخابات ، وسافرت زوجته ايميلدا إلى نيويورك لتلتقى بالزعيم المعارض أكنيو وتقنعه بالعودة إلى الفلبين .

وفى يوم ٢٠ أغسطس ١٩٨٥ ، سافر بنينو أكنيو إلى الفلبين، حيث هبطت طائرته فى مطار مانيلا الذى احتشد فيه حوالى عشرة آلاف مواطن فلبينى للترحيب بزعيم المعارضة العائد من المنفى .

وبمجرد أن خرج أكنيو من الطائرة ونزل إلى أرض المطار تلقى رسالة غادرة فى مؤخرة رأسه أطلقها أحد رجال الأمن الفلبينيين ويدعى رولاند جالمان الذى لقى مصرعه بعد لحظات أيضا برصاص رجال الأمن حتى تطُمس أبعاد الجريمة التى دبرتها ايميلدا ماركوس وزوجها لاغتيال زعيم المعارضة .

وعلمت ايميلدا بتنفيذ مؤامرة إغتيال أكنيو وهى تتناول طعام الغذاء في أحد مطاعم مانيلا وأبلغت زوجها الذى كان فى فترة نقاهة بعد عملية زراعة للكلى وأعلن قصر الرئاسة الفلبينى إنه غير مسئول عن هذه الجريمة واتهم عناصر شيوعية بتدبيرها على أساس أن بنينو أكنيو سياسى يمينى ويعتبر من أهم رجال أمريكا فى الفلبين .

وبعد موت أكنيو ، اتضح أنة كان قد طلب من إيميلدا السماح له بالعودة إلى بلاده ليعيش أيامه الأخيرة فى وطنه نظراً لاصابته بمرض خطير فى القلب ، وحذرته إيميلدا من أن مؤيديها قد ينتقمون منه ويقتلونه دون أن تصدر لهم أوامر بذلك .

ورغم ذلك ، أصر أكنيو على العودة إلى الفلبين ليلقى مصرعه ، وظهر ماركوس على شاشة التلفزيون ليصف اغتيال بنينو أكينو بأنه عمل بربرى ، وقال أن عملية الأغتيال كانت فردية وقام بها رجل واحد يعمل لحساب الشيوعيين ، وقال صراحة إن زوجته ايميلدا بريئة تماماً من دم أكنيو .

وأخذت الشكوك تتجمع حول ايميلدا ، رغم ذلك، وتردد أنها دبرت مؤامرة اغتيال أكينو بدون علم زوجها الرئيس الفلبينى ، وقيل أن السبب فى ذلك هو كراهيتها الشديدة للزعيم الأيستقراطى الذى رفضها كأمرأة فى بداية حياتها .

هكذا ، أصبح الوضع يبدو وكأن قصة ايميلدا مع بينوا أكنيو هى مجرد تكرار لحكاية سالومى الفاجرة مع الرجل التقى يوحنا المعمدان .

وبعد موت بنينو أكنيو ، رشحت زوجته كورازون نفسها لرئاسة الفلبين وحظيت بدعم أمريكى فى مواجهة المرشح الآخر فرديناند ماركوس ،

وساند الشعب الفلبينى كورازون فى مواجهة الطاغية .

وفى يوم ١٦ فبراير ١٩٨٦ ، أعلن فوز كورازون أكنيو بانتخابات الرئاسة رغم محاولات تزوير الانتخابات من جانب رجال ماركوس وأصدر الكاردينال والأساقفة ورجال الدين الفلبينيون بيانا أعلنوا فيه أن ماركوس فقد الأسس الأخلاقية للحكم وطالبوه بالتخلى عن منصبه.

وقد حاول الرئيس الأمريكى ريجان مساندة ماركوس، ولكن ضغوط الكونجرس والمخابرات الأمريكية جعلته يتراجع بعد أن هنأ ماركوس فى الإنتخابات المزورة !

وأعلن وزير الدفاع الجنرال خوان بونسيه ازيل ونائب رئيس الأركان الجنرال فيدل راموس الاستقالة ، وطالبا جميع وزراء الحكومة الانضمام اليهما فى مواجهة الطاغية ماركوس الذى إتهماه بالتزوير وخداع الشعب .. ونزل مئات الألوف من أبناء الشعب الفلبينى إلى الشوراع .

وهكذا طلب الرئيس الأمريكى رونالد ريجان من ماركوس الرضوخ لحكم الشعب الذى إختار كورازون أكنيو للرئاسة ، ووصلت الأمور إلي حد تهديد ريجان لماركوس بقطع المعونات الأمريكية عن الفلبين اذا لجأ لأسلوب القوة والعنف فى قمع الشعب ، وعندما حاول ماركوس إستخدام الجيش ، إنضم الجنود إلى الشعب ، ورغم ذلك إستمر ماركوس فى العناد فأعلن أنه سينصب نفسه رئيساً للفلبين لفترة أخرى يوم ٢٤ فبراير ١٩٨٦ ولكن البيت الأبيض بعث اليه برسالة عاجلة تؤكد ضرورة تنحيه عن منصبه فوراً مقابل وعد أمريكى بضمان أمنه وسلامته .

وفى صباح يوم ٢٥ فبراير ، تم تنصيب كورازون أكنيو رئيساً للفلبين وعند ظهر نفس اليوم نصب ماركوس نفسه أيضاً رئيساً .

ولكن الشعب اندفع إلى قصر الرئاسة ، فأصيب ماركوس بالهلع، واتصل بالسفير الأمريكى فى مانيلا وطلب إرسال طائرة هليكوبتر لتنقله إلى خارج الفلبين .

وبالفعل ، تم ارسال أربع طائرات هليكوبتر ليستقلها ماركوس مع زوجته ايميلدا وباقى أفراد أسرته ومعاونيه . ونقلته هذه الطائرات إلى قاعدة كلارك الجوية الأمريكية ومنها إلى حياة

المنفى..

فى الطريق إلى المنفى كانت ايميلدا توجه الشتائم والسباب للشعب الفلبينى الذى تجرأ وتحدى الدكتاتورية. ومات ماركوس فى المنفى واضطرت إيميلدا إلى الرضوخ لارادة الشعب الذى بدأت تؤكد انتماءها له ورغبتها فى تمثيله سواء من خلال عضوية البرلمان الفلبينى أو عن طريق حلم ما زال يداعبها وهو تولى رئاسة الفلبين ..

الفهرس

المـؤلـف

حسين عبد الواحد

- كاتب صحفى بدار أخبار اليوم .
- حاصل على ليسانس اللغة الإنجليزية كلية الألسن جامعة عين شمس عام ١٩٧٤ .
- مواليد القاهرة فى ١٧ مايو ١٩٥٠ .
- بدأ حياته الصحفية كمحرر شئون خارجية بجريدة الجمهورية عام ١٩٧٥ .
- انتقل لجريدة الأخبار عام ١٩٨٠ .
- نشرت كتاباته فى جميع إصدارات مؤسسة أخبار اليوم والعديد من الصحف والمجلات العربية حيث تخصص فى الشئون العالمية الدولية .
- سافر المؤلف فى مهام صحفية إلى العديد من بلدان العالم فى الشرق والغرب مما أتاح له الفرصة لكى يتعرف بشكل مباشر على الحياة الحقيقية لشعوب هذه البلدان ويدرك أبعاد المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تواجهها ..
- **صدرت له مؤلفات عديدة منها :**

- عبادة الشيطان على ضفاف النيل		
(أخطر محاولات اختراق مصر المحروسة)	مركز الحضارة العربية	١٩٩٨
- بنات إبليس (نساء فى مملكة الشر)	مركز الحضارة العربية	١٩٩٨
- أميرة على قائمة الاغتيال		
(بالاشتراك مع الكاتب الصحفى محمد رجب)	مركز الحضارة العربية	١٩٩٨
- أمريكا .. حرية .. جنس وبولوتيكا		
(الانهيار السياسى والسقوط الأخلاقى فى عهد كلينتون)	مركز الحضارة العربية	١٩٩٧
- أغرب جرائم النصب فى العالم	دار سـلمى	١٩٩٧
- الرقص مع الحياة .. مذكرات أنتونى كوين	كتاب اليوم / أخبار اليوم	١٩٩٧
- امرأة من نار .. قصة حياة شارون ستون	دار الحسام	١٩٩٧

قائمة إصدارات
مركز الحضارة العربية

أساطير التوراة	عاطف عبد الغنى
حماس .. حركة المقاومة الإسلامية	خالد أبو العمرين
مخابرات ومخدرات	شفيق أحمد على
فى جنازة المقاطعة العربية لإسرائيل	شفيق أحمد على
الملف السرى للسادات والتطبيع	شفيق أحمد على
عبادة الشيطان على ضفاف النيل	حسين عبد الواحد
الماسونية (قديماً وحديثاً)	خليل إبراهيم حسونة
الحركات الهدامة	خليل إبراهيم حسونة
الصهيونية السياسية	خليل إبراهيم حسونة
العنصرية والإرهاب فى الأدب الصهيونى	خليل إبراهيم حسونة
الاستيطان الصهيوني	خليل إبراهيم حسونة
القدس	خليل إبراهيم حسونة
الإرهاب الأمريكي	خليل إبراهيم حسونة
يهود ضد إسرائيل	ياسر حسين
حلف الضحية والجلاد	ترجمة : زينات الصباغ
السلام القاتل	محمد خليفة
البديل الإسرائيلى للعروبة	سيد زهران
مشروع للانتحار القومى !	مصباح قطب
غزة أريحا - المأزق والخلاص	عبدالقادر ياسين
غزة أريحا - التسوية المستحيلة	جورج المصرى
صفقة التسوية الأردنية الإسرائيلية	د. السيد عوض
سلام أم استسلام	د. أحمد الصاوى
أوهام السلام	عبد الخالق فاروق
بروتوكولات حكماء صهيون	
التلمود	
التناقض فى تواريخ وأحداث التوراة	محمد قاسم
القوة العسكرية الإسرائيلية	جمال الدين حسين
سقوط نجم مخابرات إسرائيل	جمال الدين حسين
عملية السرب الأحمر	جمال الدين حسين
الإختراق الإسرائيلى للزراعة فى مصر	صلاح بديوى
إختراق الأمن الوطنى المصرى	عبدالخالق فاروق
المياه العربية	عبدالله مرسي العقالي
الإسلام والعرش	سيد زهران
من يحمى عروش الخليج	د. أحمد ثابت
إعدام صحفى	سعيد حبيب
الكرامة الضائعة	حمادة إمام
أزمة الانتماء فى مصر	عبد الخالق فاروق
التطرف الدينى ومستقبل التغيير فى مصر	عبد الخالق فاروق
كارثة المعونة الأمريكية	جمال غيطاس
العلاقات الليبية - الأمريكية	د. السيد عوض
بان أمريكان ١٠٣ (*اتهام ليبيا أم اتهام أمريكا*)	مجموعة مؤلفين
حلايب	أحمد محجوب
الإخوان والعسكر	حيدر طه
القوى الخارجية فى السودان	د. السيد فليفل
نظم الحكم العنصرية فى جنوب أفريقيا	د. السيد فليفل
الشيشان	عمرو ناصف
عبد الناصر .. هذا المواطن	سليمان الحكيم
حوارات عن عبد الناصر	سليمان الحكيم
عبد الناصر .. والإخوان	سليمان الحكيم
المرأة التى أحبها عبد الناصر	شفيق أحمد على
عبد الناصر وعبد الحليم حافظ والزمن الجميل	حسن صابر
البديل الناصرى	سيد زهران
عن الناصرية والناصريين	مجدى رياض
الأقليات التاريخية فى الوطن العربى	د.أحمد الصاوى
الناصرية والتاريخ	سيد حسان
الناصرية .. الأيديولوجيا والمنهج	سيد زهران
التنمية المستقلة فى النموذج الناصرى	جورج المصرى
فلسطين الانتفاضة .. جدل الوطن والأمة	د. أحمد ثابت
كاريزما الزعامة الناصرية	د. السيد الزيات
الناصرية والتجديد	مجدى رياض
الحركة الإسلامية فى مصر (دراسة موسوعية)	صالح الوردانى
الحركة الإسلامية فى مصر	صالح الوردانى
الكلمة والسيف	صالح الوردانى
عبود الزمر .. حوارات ووثائق	أحمد رجب
المسيح فى الإسلام	ترجمة : عادل حامد
المسيحية والإسلام	حسين السيد
الحكومة والسياسة فى الإسلام	ترجمة : سيد حسان

الوجيز فى بداية التكوين	عبد العزيز محمد، مصطفى الحولى
رسالة التوحيد للإمام محمد عبده	تحقيق د.محمد عمارة
الإسلام والعروبة	مجدى رياض
كيف نقرأ القرآن	محمد محمود عبد الله
كيف نجود القرآن	محمد محمود عبدالله
كيف نحفظ القرآن	محمد محمود عبد الله
التربية الإسلامية	محمد محمود عبد الله
القرآن : حل مشاكل الأمة	محمد محمود عبد الله
قبس من نور الأسماء	محمد محمود عبد الله
الأحرف السبعة وأصول القراءات	محمد محمود عبد الله
صوموا تصحّوا (الصيام والصحة)	محمد محمود عبد الله

الإبر الصينية في العلاج والتخدير	د . لطفي سليمان
الأعشاب الطبية	د . موسى الخطيب
أمن وحماية البيئة	خالد القاسمى/ وجيه البعيني

المساجد الأثرية فى الإسلام	د . أحمد الصاوى
معالم فى تاريخ حضارة آسيا الوسطى	د . أحمد الصاوى
النقود المتداولة فى مصر العثمانية	د . أحمد الصاوى
النقود الإسلامية فى مصر	د . رأفت النبراوى

إينـــارو	د. على فهمى خشيم
تحولات الجحش الذهبى	لوكيوس أبوليوس ترجمة د.على فهمى خشيم
مسالك الأحبة	خيري عبد الجواد
العاشق والمعشوق	خيري عبد الجواد
الخروج إلى النبع	محمد قطب
حافة الفردوس	نبيل عبد الحميد
المميرة	د. عبد الرحيم صديق
حمدان طليقا	أحمد عمر شاهين
ترانزيت	ليلى الشربينى
مشوار	ليلى الشربينى
الرجل	ليلى الشربينى
رجال عرفتهم	ليلى الشربينى

مطربة الغروب	جمال الغيطانى
مخلوقات الأشواق الطائرة	إدوار الخراط

حرب بلاد غنم	خيرى عبدالجواد
حكايات الديب رماح	خيرى عبدالجواد
حرب أطاليا	خيرى عبدالجواد
سيرة عزبة الجسر	سعد الدين حسن
خلف النهاية بقليل	وحيد الطويلة
الممنوع من السفر	شوقى عبد الحميد
شجرة الخلد	سعد القرس
شهقة	سعيد بكر
أيام هند	سيد الوكيل
فرد حمام	يوسف فاخورى
خبرات أنثوية	قاسم مسعد عليوه
الفوز للزمالك والنصر للأهلى	عبد اللطيف زيدان
ليس هناك ما يبهج	عبده خال
لا أحـــد	عبده خال
أحزان رجل لا يعرف البكاء	خالد غازى
الشاعر والحرامى	عزت الحريرى
رشفات من قهوتى الساخنة	محمد محى الدين

سراب القمر	فاروق خلف
إشارات ضبط المكان	فاروق خلف
قصائد حب من العراق	البيـاتى وآخرون
أول الرؤيا	إبراهيم زولى
رويدا باتجاه الأرض	إبراهيم زولى
نصف حلم فقط	عماد عبد المحسن
دنيـــا تنادينـا	طارق الزياد
صلاة المودع	صبرى السيد
من فصول الزمن الرديء	درويش الأسيوطى
غربة الصبح	محمد الفارس
الغربة والعشق	مجدى رياض
عطر النغم الأخضر	عمر غراب
العجوز المراوغ يبيع أطراف النهر	نادر ناشد
هذه الروح لى	نادر ناشد
فى مقام العشق	نادر ناشد
ندى على الأصابع	نادر ناشد
إذهب قبل أن أبكى	د. لطيفة صالح

هذه الليلة الطويلة	د.أحمدصدقى الدجانى
اللعبة الأبدية ... (مسرحية شعرية)	محمد الفارس
مملكة القرود	محمود عبدالحافظ
آلهة مصر العربية	د . على فهمى خشيم
رحلة الكلمات	د . على فهمى خشيم
بحثاً عن فرعون العربي	د . على فهمى خشيم
أباطيل الفرعونية	سليمان الحكيم
مصر الفرعوبية	سليمان الحكيم
هاجس الكتابة	د . أحمد إبراهيم الفقيه
تحديات عصر جديد	د . أحمد إبراهيم الفقيه
حصاد الذاكرة	د . أحمد إبراهيم الفقيه
الجات والتبعية الثقافية	د. مصطفى عبد الغنى
ضد هدم التاريخ وموت الكتابة	أحمد عزت سليم
فى المرجعية الاجتماعية للفكر والإبداع	محمد الطيب
زمن الرواية : صوت اللحظة الصاخبة	مجدى إبراهيم
البعد الغائب : نظرات فى القصة والرواية	سمير عبد الفتاح
أعلام من الأدب العالمى	على عبد الفتاح
المثل الشعبي بين ليبيا وفلسطين	خليل إبراهيم حسونة
أدب الشباب في ليبيا	خليل إبراهيم حسونة
العنصرية والإرهاب فى الأدب الصهيونى	خليل إبراهيم حسونة
كشف المستور من قبائح ولاة الأمور	د . أحمد الصاوى
رمضان .. زمان	د . أحمد الصاوى
القصص الشعبى فى مصر	إعداد خيرى عبد الجواد
إغاثة الأمة فى كشف الغمة	
الفاشوش فى حكم قراقوش	
الحكمة المدنية لابن المقفع	

ماهى السينما	صلاح أبو سيف
قضايا المونتاج المعاصر (جزءان)	د. عفت عبد العزيز
الصوت والضوضاء	د. مصطفى عبدالمطلب
عزة فى الفضاء	أم كلثوم إبراهيم
مهرجـــــان	أحمد زرزور/ممدوح طلعت
العصفـــور	أحمد زرزور/محمد فرح
علمني يا أبي حوار عن الصلاة	حسن سليمان
ما قالته الغيمة الأخيرة	أحمد زرزور
ويضحك القمر	أحمد زرزور
برلنتى والمشير (القصة الحقيقية)	سيد زهران
اعترافات الأميرة جيهان	ماجدى البسيونى
الجنس والشباب الذكي (كولن ولسن)	ترجمة:أحمد عمر شاهين
تجارة الجنس جاري جوردون	ترجمة زينات الصباغ
صناعة النجوم سكوت أونيل	ترجمة زينات الصباغ
أشهر فضائح القرن العشرين	حسن صابر
أسوأ حكام القرن العشرين	حسن صابر
نجوم في الوحل	حسن صابر
الأميرة العارية وعرش سيئ السمعة	حسن صابر
أمريكا .. حرية ، جنس وبوليتيكا	حسين عبد الواحد
بنات إبليس (نساء فى مملكة الشر)	حسين عبد الواحد
التفسير الجنسي للتطرف	حسين عبد الواحد
التطرف والعنصرية على الطريقة الأمريكية	حسين عبد الواحد
الأطباق الطائرة	حسين عبد الواحد
حسناء البنوك ومعالى الوزير	أسامة الكرم
أسرار ما وراءالجنس	كمال عبد الرسول
كنز المعلومات	كمال عبد الرسول
تسلية ثقافية للكبار والصغار	أحمد عمر
الحرب العالمية الرابعة	ياسر حسين

بنـــات إبليـــس

نساء فى مملكة الشر

يتضمن هذا الكتاب نماذج عديدة من النساء اللاتى سقطن فى هاوية الخطيئة أو مستنقع الرذيلة وارتكبن أبشع الجرائم ، ورغم ذلك فان الكتاب لا يتخذ موقفاً من المرأة ولا يعاديها لمجرد أنها إمرأة بل يتناول خطاياها من زاوية انسانية ويحاول البحث عن الجذور التى تدفع المرأة إلى السقوط فى بئر الشر والرذيلة . ولا شك ان النماذج النسائية الشريرة التى يتناولها الكتاب قد ارتكبت جرائمها لأسباب أبعد بكثير عن انتمائها الجنسى لعالم النساء . فالخطيئة موجودة على الجانبين ويكفى المرأة ان الشيطان نفسه يشار إليه بصيغة المذكر وان الرجل أيضاً مسئول عن الكثير من الجرائم والكوارث والويلات التى تعانى

